قراءة جديدة في

تاريخ سوريا الحديث

جعفر الكنج الدندشي

إلى أرواح الأبرياء الذين استشهدوا في سبيل حرية الوطن وكرامة الإنسان، وإلى روح الأخ، فاروق سبع الليل، أهدي هذا الكتاب.

ستراسبورغ في 2011/10/27

تمهيد

الحمدّ لله

حين بدأتُ وضع سطور هذا الكتاب، كان ذاك في نهاية شهر أيلول/ سبتمبر عام 2010، وكغيري كإنسان عادي، لم أكن أشعر بأنّ ربيع الثورات العربية سيطلّ علينا من تونس. وكنت قد قطعت عشرات الصفحات في هذا الكتاب...وكان الخيار للعنوان، قراءة جديدة في تاريخ سوريا الحديث، ليس مجرّد صدفة، ويمكن للقارئ أن يضع مكان هذا العنوان: قراءة مختلفة لتاريخ سوريا الحديث، فيَصل لذات المعنى.

إنّ كيان سوريا السياسي كما هو الآن، كيان غريب من نوعه إذا ما قورِن بتاريخها العريق. فهذه الحدود التي وضعتها فرنسا وإنكلترا منذ بداية عهد الانتداب فيها من الغرابة ما لم يسبقها إليها أحد، ولكن ما يعادلها في الغرابة هو تقسيم بلاد الشام والعراق بالشكل الحالي، فالحدود التي تفصل بين هذه الدويلات لم نستطع استيعابها، ولم نستطع فهم الأسس التي اعتُمِد عليها لوضع هذه الحدود، هل هي الجبال المنيعة أم الأنهار العظيمة أم اللغات المختلفة أم العروق الإنسانية أو العقائد المختلفة أو الآمال والآلام المشتركة أو المختلفة... فكل هذه الخلافات لا وجود لها بتاتا، وهذا ما جعل شعب سوريا وحكوماتها المتلاحقة يضعون نصب أعينهم ومنذ قبل الاستقلال بأنّ الوحدة العربية هي الخطوة التالية الأكيدة لهذه الأقطار، سوى *أنّ الرياح تجري بما لا تشتهي السفن*...وانزوى كلّ قطر عربي في حدوده كما نعيش الآن وحصّن كل نظام أسواره بما لم نعهده في العصور التي سبقت، وهكذا فُرِض علينا التعامل مع الواقع المفروض من قِبَلنا ومن قِبَل الدول العُظمى في العصر الحديث. وتمضي كل دويلة ضمن حدودها بضياع تام من المحيط إلى الخليج...

لهذا فإنّ حدود سوريا الحالية المعترف بها من المجتمع الدولي مفروضة كغيرها من حدود الدول المتوزّعة على وجه الأرض، ولكن وبالرغم من مرور 65 عاماً منذ الاستقلال لم يستطع السوريون فتح طيّات تاريخ مجتمعاتهم من أجل الوصول إلى صورة صادقة عن مجتمعهم الحالي، وهذا قد يكون عن قصد أو غير قصد، ويبدو لنا أنّ الانتماء الديني أو

الطائفي له مرتبة تكاد تكون الأهم في تسيير هذا المجتمع والتأثيرعليه باختلاف اتجاهاته. وكما هو واضح للعيان أنّ أقليات دينية ورثت عقائدَ بعضـُها شاذة، تقف عائقاً في وجه الوحدة الاجتماعية وبالنتيجة الوحدة الوطنية، هذه العقائد تـُسمّى بالباطنية، جعلت من سكان سوريا يعيشون في حذر فيما بينهم، تربّت فيها النفس الإنسانية على العداء، وصار الحذر بين أبناء المجتمع الواحد سيداً للموقف، وانزوى أكثر أبناء الوطن بشكل أو بآخر مع أبناء طائفته أو دينه خوفاً من الآخر، فمنهم من يريد أن يفهم الآخر بشكل واضح والآخر يحاول أن يفهم جاره بأنه لا يكنُّ له العداء، وتزداد الاتهامات المخفية والعلنية بين أكثر الأطراف، ويُثمر هدف بعض رجال الدين المتعصّبين، وبالنتيجة يزداد الخوف والحذر بين أبناء الشعب الواحد ...

في هذا الكتاب، أردنا أن نضع أمام القارئ الخطوط العريضة لتاريخ هذه البقعة من الأرض، عسانا نستطيع من خلالها أن نبدأ خطواتنا نحو مسيرة وطنية تعلو على المسيرة الطائفية، فنشرنا بعضاً من المخطوطات الممنوعة عن الفكر الديني للذين يعيشون في حذر من الآخرين وكذلك يعيشون في حذرٍ من تلك الأفكار ولا يتجرّؤون بالوقوف في وجه المنتفعين من خلالها... أولئك المنتفعون الذين لم يستطيعوا استيعاب مفهوم المصلحة الوطنية والتي يجب أن تعلو على كل المصالح الأخرى. فبمفهومنا أنّ العيش بسلام وطمأنينة في أي مجتمع هي الأساس لحياة كريمة للإنسان أينما كان. وإنّ تماسك المجتمع لا يقلّ أهميّة عن تماسك الهوية الوطنية، ولا يقلّ أهمية عن تماسك حدود الدول. وأيّة دولة على سطح الكرة الأرضية تماسكت حدودها على مدى التاريخ؟

إننا ندعو للوحدة الوطنية، من خلال فهم الآخر، وعلى كافة الجوانب في هذا الصراع الذي لم يتوقف لا من الخارج ولا من الداخل، أن يتراجع عن كل الأفكار العقائدية التي تدفعه لكره الآخرين والحقد عليهم والحذر منهم، وإلاّ فإنّ مستقبلاً مرعباً ينتظر جميع بلاد الشام والعراق، والتاريخ القريب والحاضر خير شاهدٍ على ذلك...

والله ولي التوفيق.

جعفر الكنج الدندشي.

ستراسبورغ 2011/10/27

المقدّمة

إنّ أشنع جريمة في الوجود أن يُقتلَ
الإنسانُ في الإنسان.

في وطنٍ عريق بتاريخه وأحداث ذلك التاريخ، من المفروض إعادة النظر فيه بأسلوب وبحثٍ علمي و بمنتهى الصراحة، ذلك بهدف استشراق المستقبل... وإن إعادة قراءة التاريخ دون صراحة تامة ووضوح، ودون أخذ ذلك بالاعتبار، ومحاولة التغطية على أية فئة دون أخرى، ليس بدراسة تاريخية ولكنه نوع من التلفيق لمصلحة فئة على حساب أخرى، وبالنتيجة فهذا خداع للانتماء الوطني، والذي قد يأخذ شكل الانتماء لطائفة أو لحزب أو لتقاليد متوارثة أو لإقليم دون آخر بل إنّه خداع للحقّ.

وتاريخ القطر السوري الذي لم يصلنا بأمانة، هو من أعقد دراسات التاريخ، في الماضي البعيد والمعاصر، ولأسباب قد يستطيع باحث أن يعرض بعضها ويحللها، ولكن يصعب عليه جمعها بكاملها، فهذا يتطلب مجموعة من المؤرخين يعملون ضمن مراكز أبحاث علمية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وأن يكون تحت تصرّفهم المراجع الكافية والعمل بحُرِّيّة، لإعادة قراءتها ولتثبيت معطياتها بشكل شبه جماعي لتشخيص الداء على أمل إيجاد الدواء.
تاريخ القطر العربي السوري، المؤرخون لم يتجرّأوا على كشف جميع أوراقه ومستنداته، إمّا خوفاً من السلطات التي توالت منذ انقلاب الثامن من آذار/مارس عام 1963، أو لاعتبارات أخرى في العهود السابقة، بقصد نسيان أو تناسي الماضي المؤلم، الذي كان فيه الكثير من سكان البلاد يضعون مصلحة الطائفة فوق كل المصالح. ولا أولئك الذين شاركوا في تسيير البلاد، أو مَن وصل منهم لحد الجرائم أو الإساءة في ممارسة واجبه من أجل مصلحة جماعة أو مصالح شخصية أو حزبية على حساب المصلحة الوطنية، فكان الخطأ بأنظارهم من الآخرين، وهم أبرياء أو شبه أبرياء من النتائج التي أوصلت سكان هذا الوطن لبقعة على وجه الكرة الأرضية خارجة عن القانون، ولم يعد فيها أي معنى للدولة، أو أنهم من الجانب العلمي والعملي، لم يكونوا في أماكنهم المناسبة من حيث ثقل المسؤولية... على أن لا ينسى سكان هذه البلاد بأنهم هم الذين أسسوا أول دول في العالم على أساس القانون الذي يعطي لكل فرد حقوقه في المجتمع الحضري ويفرض عليه واجباته... وكما نعلم أنّ (المدينة=الدولة) أول ما تمّ إنشاؤها في منطقة الهلال الخصيب. وأغرب ما في الأمر أنّ الهلال الخصيب بدويلاته أكثر افتقاراً لأُسس الدولة في العالم، وذلك الأمر نراه في سوريا كما نراه في العراق ولبنان وفلسطين والأردن.

وإن كنّا في عصرنا الراهن قد اختزلنا أسس المشاكل بأنّها تأتينا من الاستعمار والامبريالية العالمية، فإن هذه الحجة قد أصبحت واهية يمكن أن نصفها بأنه لا محل لها من الإعراب،

فالحريةُ تؤخذ ولا تُعطى، وعلى تراب الوطن يمكن قيام الدولة، وليس على أسس الطوائف والأديان (*وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القُرى*- سورة يوسف 109). ففي القرى والمدن يثبت الدين والدولة، وليس في الصحارى والأدغال. ومصلحة المذاهب والأديان تقتضي التعايش بسلام تحت ظل دولة مبنية على القوانين الواضحة العدالة لكل الفئات، تتحدّد الحقوق كما تتحدّد فيها الواجبات أمام قانون عادل. وهذا ما افتقرت وتفتقر إليه دويلات الهلال الخصيب.

ولا نهدف بهذه الدراسة اليوم استعراض تاريخ بلاد الشام أو القطر العربي السوري منذ فجر الحضارات، ولكن سنحاول أن نستوضح هذا التاريخ منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وأن نمسّ من خلاله الآثار التي تركتها العصور السابقة من قريب أو بعيد، وكيف تؤثّر على طوائفه المتعددة والتي لا زالت على حدّ قول أحد القناصل الفرنسيين في طرابلس، الذي كتب لحكومته تقريراً عام 1856 لوصف المجتمع الشرقي بالصيغة التالية: *((إنّ من أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد دراسة هذه البلدان، المكانة التي يحتلّها الدين في نفوس الناس، فالدين يظهر في كلّ أمر وفي كل مكان في المجتمع الشرقي، يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة وفي اللغة وفي الأدب وفي جميع المؤسسات الاجتماعية، والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولِدَ فيه – الشرقي ليس له وطن- بل إلى الدين الذي ولِدَ فيه. وكما أنّ الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن فإنه في الشرق ينتمي إلى دين. وأمّة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه هو، وكل فردٍ خارج عن حظيرة دينه هو بالنسبة إليه رجل غريب)) (1)*

هذه الحالة الاجتماعية تحوّلت لحالة سياسية بعد سقوط الامبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأُولى، والتي كان محتّما عليها السقوط بعد وصولها لدرجة الهرَم، كأية دولة عُظمى في التاريخ، أي بعد سبعة قرون تقريباً منذ نشأة سلالة بني عثمان. والتي أطلقت عليها الدول أو الامبراطوريات الصاعدة منذ مطلع القرن التاسع عشر، إسم الرجل المريض حين حلّ بها الضعف. وكان العرب قبل سقوطها تحت سيطرتها إسمياً كما كانت الحالة في مصر وشمال أفريقيا، أو فعلياً كالهلال الخصيب وإقليم الحجاز.

الرجل المريض، أو الخلافة العثمانية، كانت الدول والامبراطوريات العظمى في القرن التاسع عشر، تختلف في تقرير مصيرها. بريطانيا العظمى كانت تريد بقاءها ولكن على أن تبقى ضعيفة ومريضة، وروسيا القيصرية تريد إنهاء وجودها لاحتلال القسطنطينية، بينما كان لفرنسا أطماع باحتلال ولايتها، وهكذا فعلت في الجزائر وتونس منذ القرن التاسع عشر. بينما ازداد نفوذ ألمانيا في ما تبقى منها في آسيا الصُغرى والمنطقة العربية، أي العراق والشام والحجاز.
تمّ تحديد مصير الشام والعراق خلال الحرب العالمية الأولى، وحتى قبل بدء مراسلات الشريف حسين مع مكماهون، السفير البريطاني في مصر. خلال تلك الحرب التي اندلعت منذ عام 1914، والتي تحالفت فيها الدولة العثمانية مع ألمانيا والنمسا ضدّ فرنسا وبريطانيا، حصلت اتفاقيات ثلاث بتخطيط من الانكليز في فترات متقاربة. اتفاقية سايكس-بيكو، المستشاران الانكليزي والفرنسي، لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية في الهلال الخصيب عام

1916. والاتفاق الثاني بين بريطانيا ويهود العالم لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بتاريخ 2 تشرين ثاني/نوفمبر سنة 1917، ولم تكن تعلم فرنسا به،

2(1) Paris, *Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Turquie*, Vol.II- N° 3
نقلا عن كتاب *نشوء القومية العربية*، ص. 185 لزين نور الدين زين

والاتفاق الثالث ما بين البريطانيين والعرب، يمثّلهم الشريف حسين بن علي وأولاده، لإقامة دولة عربية تشمل الحجاز والشام والعراق مقابل مساندة العرب لهم في الحرب العالمية الأولى ضدّ الدولة العثمانية حليفة ألمانيا والنمسا، ولم يكن العرب يعرفون شيئاً عن الاتفاقيتين ما بين بريطانيا واليهود ولا بين بريطانيا وفرنسا.
هذه الاتفاقيات عَلِم بها الأمير فيصل بن الحسين، بعد الثورة البلشفية في روسيا، بواسطة جمال باشا، الملقّب بالسفّاح، حيث أرسل له لينين كل تلك الوثائق المتعلّقة بتلك المؤامرة.
وهكذا ابتدأت الحرب العالمية الأولى عام 1914، شارك العرب فيها منذ عام 1916 مع الجناح الذي انتصر في نهاية الحرب، عام 1918 أي فرنسا وانكلترا، وانتهت تلك الحرب في أوروبا، ولم تنتهِ في بلدان الهلال الخصيب حتى الساعة، مع فارق مؤلم وهو أنّ حلفاء الأمس، أي المعسكر الغربي، تحوّلوا إلى أعداء اليوم ضدّ الذين حالفوهم وساهموا معهم في حربهم ضد ألمانيا وحلفائها، بينما أعلنوا حروباً بدون توقّف على مَن ساعدهم. ونعني بذلك تقسيم بلاد الشام لسبعة دويلات وهي فلسطين، شرق الأردن، لبنان الكبير، دولة حلب، دولة دمشق، إمارة جبل الدروز، دولة العلويين، بالإضافة للواء الإسكندرون. وكما نعلم أنه تم انضمام دولتي حلب ودمشق تحت إسم الجمهورية السورية، ثم إمارة جبل الدروز ودولة العلويين لهذه الجمهورية.
وهؤلاء، أي حلفاء الأمس، هم الذين طردوا الشريف حسين من الحجاز، وأقاموا دولة سرطانية على تراب فلسطين تحت إسم إسرائيل، وهم ومن يأتمر بأمرهم والذين أصبحوا الآمرين والنّاهين عليهم وعلى ثرواتهم، ونعني بذلك حكومات الولايات المتحدة، ومن كانوا وراء تحطيم العراق، وجعل كامل ثروات الجزيرة العربية ومقدراتها ملكاً لشركاتهم بشكل مخيف... يمكن أن نتوقف على شرح بعضها في الصفحات التالية، ولكن سيكون محور قراءتنا الأساسي لهذا التاريخ، القطر العربي السوري، مع عرض للفكر الديني للطوائف الباطنية موثّقة ببعض المخطوطات التي تعطي صورة عن عقائدهم والتي لم يسبق نشرها سابقاً على الملأ عامّة...

الباب الأوّل

الانتداب الفرنسي على سوريا

لإعادة قراءة التاريخ، أولاً يجب معرفة معاني الكلمات التي نتداولها. فنحن نستعمل في أكثر الأحيان عبارة الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان، ولكن هذه العبارةَ خطأٌ لغويّ. فالاستعمار

لا يتوقف على احتلال البلاد، وإنما أن* يضاف عليه توطين جماعات غرباء عن أهل تلك الدولة المحتلة ليستوطنوا في البلاد المحتلة ويسيطروا على قطعات من الأرض ويقتطعوها للمحتلين الجدد، كما حصل في الجزائر وكما حصل ويحصل في فلسطين أو جنوب أفريقيا وغيرها من البلدان في العصور الحديثة، وكما حصل مع الفينيقيين في العصور القديمة إلخ.
أمّا في حالة سوريا ولبنان بعد الحرب العالمية الأولى فقد كان احتلالا عسكرياً تحت قانون ما يُسمّى بالانتداب.

ما هو تعريف الانتداب وشروطه الذي اخترعته فرنسا وفرضته على عصبة الأمم التي كان مركزها جنيف في سويسرا في فترة ما بين الحربين، وناقضته الحكومة الفرنسية بذاتها إلى أقصى الحدود.
تقول المادة 22:*((بعض الأمم التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية، قد وصلتْ لحدٍ من التقدّم مما يؤهّلها أن تصبح دولاً مستقلّة، يمكن الاعتراف بها بشكل احتياطي، شرط أن تعينهم على ذلك دولة مُنتَدبةٌ لمساعدتهم في الأمور الإدارية، حتى يستطيعوا تحمّل مسؤولياتهم بأنفسهم. ولكن لشعوب هذه الأمم الحق في اختيار الدولة المُنتَدَبة، ويُرفض أي شكل من أشكال الاستعمار... وكذلك على الدولة المنتدبة الحفاظ على وحدة البلاد وبدون تقسيم، والدفاع عن حدودها بكافة الأشكال وبشتى الوسائل))*
هذه العهود في عصبة الأمم لم تكن سوى حبراً على ورق، المصالح الاقتصادية لفرنسا من ناحية، ونعني بذلك بشكل خاص معامل النسيج في مدينة ليون وحاجاتها للحرير الطبيعي والقطن من بلاد الشام، تمت دراسته منذ سنة 1914، والمصالح الثقافية أيضاً بشكل خاص في لبنان بعد الحرب الأهلية ما بين الدروز من جانب، والمارونيين من جانب آخر، الذين كانت تدعمهم فرنسا، ثمّ التبشير الديني في لبنان وجبال النصيرية بواسطة الآباء اليسوعيين بشكل خاص. وكان على رأسهم الأب اليسوعي، هنري لامانس...

أمّا إنكلترا فكانت تريد حفظ الشاطئ الشرقي لقناة السويس بواسطة دولة حليفة أو دولة أُلعوبة أو كما كانت تشاء بريطانيا العظمى في ذلك العهد، ومن ثم حاجتها فيما بعد لأموال اليهود لتمويل الحرب العالمية الأولى، واكتشاف البترول في العراق الذي أصبح من أهم موارد الثروات في العالم مستقبلاً. كذلك كانت نظرة بريطانيا للمدى البعيد أعمق من نظرة فرنسا (1).

سكان البلاد المعنية رفضوا بشكل قاطع أي انتداب من قبل فرنسا أو انكلترا، وإن كان لا بدّ، فَيُسمحُ بلجانٍ إدارية أمريكية للمساعدة على تسيير أمور البلاد لفترة مؤقّتة. كان ذاك بعد إرسال لجان من بلدان مختلفة للاطلاع على آراء السكان في المنطقة بعد خروج العثمانيين، منها لجنة كنغ-كراين الأمريكية، التي شكلتها عصبة الأمم، وقامت باستطلاعاتها في فلسطين أولاً وباقي مناطق بلاد الشام فيما بعد، خلال شهري حزيران وتموز/يونيو ويوليو، من عام 1919، فقد زاروا خلالها 36 مدينة واستقبلوا ممثلين عن 1500 قرية، وتسلموا 1863 احتجاجاً من مُختلف أنحاء البلاد. وتضمّن تقريرهم الذي قدّموه لعصبة الأمم بتاريخ 22 آب/أغسطس 1919، النتيجة التالية: *أن شعب المنطقة يرفض بشكل كامل اتفاقية سايكس*

بيكو، كما يرفضون وعد بلفور وأي شكل من المراقبة الأجنبية، ما خلا ربما ، مساعدة أمريكية محدودة، وإن لم يمكن فمساعدة بريطانية، ولكن ترفض أي تدخل فرنسي

(1) للاطلاع على أحداث ومؤتمرات ومؤامرات تلك الفترة، أنظر:
André RAYMOND, *La Syrie d'aujourd'hui*, pp.55-59.

وبأي شكل من الأشكال(1). لكن للقوة لغة ولإرادة الشعوب الضعيفة لغة أخرى. بهذه العبارات من الرئيس الفرنسي كلومانصو، تمّ تعيين الجنرال غورو قائداً عاماً للقوات الفرنسية في المشرق: *((بإرسالنا إلى المشرق أحد أكبر جنودنا المُنتصرين، في الحرب العالمية، أرادت الحكومة الفرنسية أن تبدي للسوريين مدى اهتمامها الخاص بهم))(2)*

En envoyant au Levant l'un de nos plus grands soldats de la victoire, nous voulons montrer aux syriens les intérêts particuliers que nous leurs porterons.

كانت سورية في تلك الفترة بحاجة لمهندسين وإداريين مرموقين متدرّبين أكثر من حاجتها لجنرال متكبّر يقف أمام قبر صلاح الدين الأيوبي، ويقول بكل وقاحة أمام الضريح: *"ها قد عدنا يا صلاح الدين".* بينما قال اللينبي قائد القوات البريطانية في فلسطين: *اليوم انتهت الحروب الصليبية.* وكان ذلك يتناقض مع إعلان الرئيس الأمريكي ويلسون في الثامن من كانون الثاني/ينايرمن عام 1918(3) .

اجتمع أعضاء المؤتمر العربي في دمشق وأعلن المؤتمر استقلال بلاد الشام أو سوريا الكبرى، متّحدة تحت قيادة الأمير "فيصل بن الحسين" بصفة ملك دستوري على البلاد، مع رفض كل المعاهدات التي قامت بين بريطانيا العظمى وفرنسا من جانب وبريطانيا العظمى ويهود العالم من جانب آخر.

من جانبيهما، فرنسا وبريطانيا، اعتبرتا قرار المؤتمر العربي في دمشق باطلاً، واجتمع ممثلوهما في مدينة "سان ريمو" بإيطاليا، بغياب أي ممثل عن العرب، ليقرروا مصير بلاد الشام كالتالي: إهداء فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان، وإهداء بريطانيا الانتداب على فلسطين والعراق، بكل بساطة. كان ذاك في شهر نيسان/أبريل عام 1920.

في الرابع عشر من تمّوز/يوليو سنة 1920 أرسل الجنرال غورو إنذاراً إلى الملك فيصل يتضمّن خمسة فروض، وعليه أن يقبله بكامله خلال أربعة أيام:

(1) Voir J.P.PASCUAL, *La Syrie d'aujourd'hui*, p.61.
(2) P. LAUYTEY, *Le drame de l'Orient et le rôle de la France*, P160.
(3) إعلان الرئيس نيلسون يتألف من 14 فقرة، *تقول الفقرة الخامسة منه: الشعوب والأقاليم المحررة يجب أن لا توضع في مجال التسويق، للانتقال من سيطرة إلى سيطرة أخرى*
Voir J. LAPIERRE, *Le Mandat français en Syrie*, P.53.

1– قبول الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان.
2– إيقاف التجنيد الإجباري وإعادة قوة الجيش إلى ما كان عليه سنة 1919.
3– تسليم الخط الحديدي الممتد من رياق إلى حلب للجيش الفرنسي.

4– التعامل بالعملة الورقية التي أصدرتها فرنسا من مصرف سوريا ولبنان وسحب العملة الذهبية من أيدي الناس.
5 – الضرب على أيدي الثوّار الذين تصدّوا لفرنسا في شمال لبنان(الدنادشة وصالح العلي وأتباعهم)

وحيث أنّ الملك فيصل لم يُجب في الوقت الذي حدده له غورو، وحيث اصطدم على جسر العريضة، بقرب تلكلخ، رجلان من الدنادشة، هما أسعد الفياض الدندشي ومحمد المحمد الدندشي، بضابطين فرنسيين وقتلوهما بتاريخ 18 تموز/يوليو(1)، فإن الجيش الفرنسي زحف يوم 23 تموز/يوليو1920، نحو دمشق بعدته وعتاده: ثمانين ألف جندي تساندهم الدبّابات والمدفعية والطائرات، وخرج الجيش العربي تحت إمرة يوسف العظمة، وعدّتهم ستمئة جندي وألفين وأربعمئة متطوع، ليلتقوا في خان ميسلون بقرب دمشق، واستمرت المعركة عدة ساعات(2)، وكان يوسف العظمة دارياً بقوة الجيش الفرنسي وعالماً بنتيجة المعركة مُسبَقا، وهو خريج المدرسة العسكرية في الأستانة التي كان يقوم على تدريب ضبّاطها خبراءٌ عسكريون ألمان... ولكنه أراد أن يعطي درساً للأجيال المقبلة في التضحية والفداء... وكان على الملك فيصل، برأينا، أن يفعل مثله بدلاً من الخروج من سوريا ليعتلي عرش العراق. وإننا نرى أنه استبدل وطناً بعرش، فقد إئتمنه الشعب على الوطن في مسرّاته وأحزانه، في مصاعبه وراحته، وهو الذي قال تلك الكلمة المشهورة والتي غدت مثلاً: *الحرية تؤخَذُ ولا تُعطى*، فكان عليه أن يبقى على رأس المقاومة حتى الشهادة أو الاستقلال، ولكنه لم يفعل. استمرّ الانتداب الفرنسي خمسة وعشرين عاماً، كان ذاك مواجهة بين الوطنين ومصلحة البلاد، والقوة المنتدبة، ومصلحة المحتل.

(1) فرّ الاثنان إلى مصر وعاشا في المنفى حتى وفاتهما.
(2) Voir J.P.PASCAL,*op.cit.*pp.65-68 et Ph .RONDOT, *La Syrie*, PP.25-28.

سياسة الانتداب الفرنسي في سوريا

اتخذت قوات الانتداب الفرنسي سياسة العمل مع الأقليات والتعاون معها كوسيلة للتحكّم بالبلاد، وبشكل خاص الطوائف الدينية. وذلك لتلقى **دعماً من الوصوليين** في شتى أنحاء البلاد وبكافة الأشكال. وفرنسا الاستعمارية في ذلك الوقت من خلال تجربتها في امبراطوريتها الشاسعة كان لها خبرة كافية. ومن المعلوم أنّ أكثر الجنود الذين قاتلت بهم فرنسا في المشرق العربي واستخدمتهم لاحتلال سوريا ولبنان كانوا من المنخرطين في الجيش الفرنسي من المغرب العربي والسنغال... وأمّا الذين اعتمدت عليهم من الداخل فكان أكثرهم من النصيريين والدروز، من رجال الدرجة الثانية، إمّا من المقدمين أو من رجال الدين. ولكن الثورات بدأت في وجه الاحتلال منذ دخول قواتها المنطقة، فكانت أوّل ثورة قامت ضدها هي ثورة الدنادشة حول منطقة تلكلخ، تكفّلوا هم بأنفسهم بالسلاح والعتاد، عشيرة عربية أقسمت الولاء للوطن والعروبة تحت راية الشريف فيصل، وكان يساعدهم بعض الرجال من آل الآتاسي والدروبي والجندلي من حمص والبرازي من حماه. وقاد تلك

الثورة الشيخ "عبدالله الكنج الدندشي"، وكان أولُ شهيد في تلك الثورة "أحمد الحسين الدندشي". وأُحرِقت منازل وتشرّدت عائلاتهم، واستشهد من الثوار إثنان وانتهى اثنان آخران في المنفى حتى وفاتهما، وقُتل من القوات الفرنسية ضابطان وأربعة جنود، ولكنّ ثوار الدنادشة استمروا بجهادهم بمساعدة ثورة الشيخ صالح العلي التي اندلعت بجوارهم أيضاً ضدّ الاحتلال الفرنسي، وسياسياً بالتفاعل مع الحركة الوطنية وتأسيس أحد أبناء الدنادشة، "عبد الرزاق الدندشي"، لعصبة العمل القومي، والتي تركّز نضالها على "عروبة" لواء الإسكندرون بشكل خاص.

أمّا ثورة الشيخ صالح العلي التي اندلعت بعد شهرين من ثورة الدنادشة، فكان سببها الأول هو خلاف بين النصيرية والاسماعيلية على بلدة القدموس، ويعود سبب هذا الخلاف لعهد الحروب الصليبية، فقد استولى الاسماعيليون على القدموس والكهف ومصْيَد ومصياف منذ أن أرسل حسن الصباح من قلعة اللاموت في إيران، راشد الدين سنان، خلال القرن الثاني عشر لنشر المذهب الإسماعيلي، وقد استعاد النصيريون مصْيد بقيادة آل رسلان منذ سنة 1808(1) وأراد الشيخ صالح العلي استعادة القدموس في أواخر سنة 1918، فتحالف الإسماعيليون مع الروم الأرثوذكس للدفاع عن البلدة، وأخذت القوات الفرنسية موقفاً بجانبهم، مما أدى لوقوف جبل النصيرية بكامله مع الشيخ صالح. ولم يكن الشيخ صالح رئيساً لعشيرته، الخياطين، بل كان يرأسها جابر بيك العباس. واشتد أمرهذه الثورة حين أحبطت قوات الشيخ صالح العلي هجوماً للقوات الفرنسية حول قريته، الشيخ بدر، وكانت المساعدات تأتيهم من الكماليين الأتراك والملك فيصل ومن الدنادشة وابراهيم هنانو، واستمرّت تلك الثورة مدة عامين حتى استطاعت القوات الفرنسية إخمادها. ويُذكرُ للشيخ صالح العلي أنّه من قلائل النصيريين الذين لم يطمعوا برئاسة العشيرة، بعكس أولئك الذي كانوا أعضاءاً في المجلس التمثيلي في دولة العلويين أو حكومة اللاذقية فيما بعد، واستمر بالطاعة لآل العباس، رؤساء عشيرته، الذين اتخذوا موقفاً وطنيا ضد الاحتلال...

ما الذي حذا بفرنسا لاتباع سياسة الاعتماد على الأقليات؟

من الجانب العسكري، أكثر ما لمع هم العلويون والإسماعيليون والشراكس، بالنسبة للشراكس فهم لم يتدخّلوا في السياسة لا خلال فترة الاحتلال الفرنسي ولا خلال الفترة التي تلت جلاء القوات الفرنسية، أي بعد عام 1946. ولكنّ الأمر اختلف بالنسبة للنصيريين العلويين والدروز، والسبب في ذلك أنّ هناك **مطامح سياسية** طائفية لدى الأكثرية من العلوية النصيرية، أهمها برأينا، **الصعود على أكتاف رؤساء العشائر** ولو كان ذلك على حساب الوطن، وسخّروا في ذلك كل وسائل التعصب الديني أو الطائفي المتوارث منذ قرون.
بعد دخول القوات الفرنسية إلى دمشق، صمّم غورو على تقسيم البلاد بشكل طائفي، من دولة لبنان الكبير، والتي كان أكبرَ مشجع لتشكيلها بطريركُ الطائفة المارونية وأتباعه

(1) Voir René DUSSAUD, *Histoire et religion des nossayris*, p. 32 et M. M. MUSSA, *Etudes sociologiques de religion des alawites nusayris*, t.I, p.79

الذين كانوا ينظرون باستهزاء لباقي سكان البلاد، فقد أعلنت الطائفة المارونية صراحة عدم قبولها الاندماج في مجموعة سورية الكبرى. ولقد ترأس البطريرك الحويِّك وفداً مارونيا ذهب إلى باريس يرفض انصهار لبنان ضمن بلاد الشام تحت راية الشريف فيصل.

أعلن غورو قيام دولة لبنان الكبير بضم المدن الساحلية إلى ما كان يسمّى بمتصرفية جبل لبنان التي كانت تحظى باستقلال ذاتي في السنوات الأربعين الأخيرة من العهد العثماني، تلك المدن التي ضُمّت هي: طرابلس وصيدا وصور، بالإضافة لقضاء الهرمل وسهل البقاع وجبل عامل...

وكان الوطنيون العرب اللبنانيون يشعرون بأنهم سيكونون قلّة في تكوين هذه الدولة، فعارضوها، وكان على رأسهم رياض الصلح وعبد الحميد كرامي، وحصلت سياسة المزايدة بينهم وبين المارونيين، على أساس دولة مارونية تابعة للغرب بحدود صغيرة أو دولة لبنانية كجزء من العروبة ضمن الحدود الحالية، كان ذاك تحت شعار خذ وطالب من قبل الوطنين، وسياسة فرّق تَسد من قبل قوات الاحتلال الفرنسي. وهكذا فُرِض المشروع الثاني ولا يزال حتى يومنا هذا.

هذه السياسة اتبعها غورو، أي "فرّق تسُد". وحين اعترض عليها الوطنيون في بلاد الشام وأرسلوا البرقيات والرسائل والاعتراضات إلى ممثّلي الحكومة الفرنسية في باريس، ردّ الجنرال غورو، مما ردّ، في قيام دولة العلويين بالرسالة التالية:

(1) حول هذه الحقبة التاريخية العصيبة، أنظر: *كتاب الأعلام*، المجلد الثالث، صفحتين 278-79
Paul JACQUOT, *L'Etat des Alaouites*, pp.16 et 118

*"أُفيدكم بهذا الصدد، أنّ النصيريين الذين يستيقظ شعورهم الإقليمي للحكم الذاتي، منذ لم يعد للأتراك دورٌ هنا لتذويبهم مع المسلمين، قد ساعدوني كثيراً على قمع الفتنة التي أثارها الشريف فيصل في منطقة تلكلخ. فقد تلقيتُ برقيةً تفيدني بأن 73 زعيماً نصيرياً، يتحدّثون باسم جميع القبائل، ويطالبون بإنشاء اتحاد نصيري مستقلٍ تحت حمايتنا، وكما هو حاصلٌ في حوران(1)، يقتضي تأمين الاستقلال الذاتي والعلاقات المباشرة للدولة النصيرية مع فرنسا...إن **انقسامات سوريا** التي ينبغي أن تساعدنا على تنظيم البلاد بشكل عملي وملائم لسلطتنا، هي الآن **ذات فائدة** كبيرة لنا من أجل احتواء الحركة المنظّمة ضدنا"(2)*

(1) سنتوقف في الصفحات المقبلة لعرض ما حصل في إمارة جبل الدروز بالتفصيل.
(2) انظر ، كوثراني، *بلاد الشام*، ص. 211.

دولة العلويين منذ بدء قيامها حتى عام 1936

في التاسع من تشرين الأول/أكتوبر 1918، غادر آخر موظف تركي مدينة اللاذقية، وأقيمت بعدها حكومة من وجهاء المدينة، وانتصبت في دار الحكومة، السرايا، وأعلنت انتمائها لحكومة الشريف فيصل في دمشق. وكان أمراً طبيعياً، حيث أنّ أكثر سكان المدينة من السنّة. لكنّ سلطة هذه الحكومة لم تكن تتعدّى أبواب المدينة... حيث أنّ الفوضى كانت تعمّ المناطق الأخرى بسبب التنازع بين العشائر النصيرية التي كانت تحت تصرّف المقدّمين، أي الطبقة الثانية بعد رووساء العشائر(1). في التاسع من تشرين ثاني/نوفمبر، دخلت فرقة من الخيّالة الفرنسية وأقالوا الممثلين عن الشريف فيصل وأعلنوا ضمّ هذا الإقليم تحت السيادة الفرنسية(2).

هذه السيطرة لم تكن بتلك السهولة، فكما أسلفنا سابقاً أنّ ثورتين قامتا ضدّ الاحتلال الفرنسي في المنطقة التي سيتشكل على ترابها دولة العلويين، وهما ثورة الدنادشة وثورة الشيخ صالح العلي اللتان أُخمِدتا واحدة تلو الأخرى. وبعد إخمادهما أعلنت دولة الانتداب المحتل المنطقة مستقلةً ذاتياً تحت سيطرة الانتداب الفرنسي منذ 31 آب/أغسطس سنة 1920(3).

سيطر الهدوء على المنطقة بشكل عام، حتى خلال فترة الثورة السورية الكبرى التي اندلعت في جبل الدروز عام 1925.

واستمرّ الأمر حتى تمّ انضمام هذه الدويلة للجمهورية السورية عام 1936

Voir, J. WEULERSSE, *Le pays des Alaouite*.P.118 (1)
p.16. (2) Cf. Ibid et P.JACQUOT, *L'état des Alaouite*,
(3) Voir, M.M.MUSA, *op.cit*. p.56.

ففي عام 1921 هاجر ما يُقارب من 1000 عائلة علوية نصيرية من قلقيلية(كليكية)، التي تنازلت عنها فرنسا، لتركيا الكمالية، إلى ما أُطلِق عليه اسم دولة العلويين اعتباراً من 12 تموز/ يوليو 1922. وأضافوا لهذه الدويلة المدن الساحلية ذات الأكثرية السنيّة، وهي اللاذقية وجبلة وطرطوس وبانياس ومنطقة تلكلخ، كما أضافوا مدينة ذات أكثرية مسيحية وهي صافيتا، وكذلك بلدة مصياف ذات الأكثرية الاسماعيلية(1)

المستشار السامي الفرنسي، الجنرال فيغاند، أعلن أنّ بلاد النصيرية هذه تترقى إلى مستوى الدولة، وتحمل إسم دولة العلويين، سيكون فيها مجلس تمثيلي مُنتخب لمدة عامين ومن ثمّ لمدة خمسة أعوام، ثلاثة منهم يعيّنهم المستشار السامي الفرنسي، مساحة هذه الدويلة 6,500 كم2، كان عدد سكانها 300 ألف نسمة تقريباً، وكان العلويون النصيريون يشكلون فيها ثلثي عدد السكّان، نسبة المقاعد في المجلس التمثيلي كانت: تسعة من العلويين، ثلاثة من السنّة، اثنان من المسيحين الأرثوزكس، واحد من الإسماعيليين، وممثل واحد عن الروم الأرثوزكس والمارونيين والأرمن. عاصمتها مدينة اللاذقية.(2) وذلك بذات الطريقة التي حصلت للتجميع الذي حصل بتأسيس دولة لبنان الكبير. بحيث أن تكون أكثر الطوائف عدداً هي العلوية في هذه الدويلة كما كانت حالة المارونيين في دويلة لبنان الكبير

خلال أوّل محاولة لجمع شتات الدويلات الخمسة، في شهر حزيران من عام 1922، على شكل الولايات المتحدة الأمريكية، ونعني بذلك: لبنان ودمشق وجبل الدروز وحلب ودولة العلويين، رفض اللبنانيون هذه الفدرالية، وطلبوا من الدولة المنتدبة مجرّد اتفاقية تحت رعايتها، فانسحب العلويون من هذه الفيدرالية في بداية عام 1924 بتشجيع من الإدارة

) Cf. J.WEULETSSE ; *op.cit*. p.1201(
Cf. *op.cit*.p.121(2)

الفرنسية (1) ومن ثمّ أصبحت دويلتهم تقاد مباشرة من فرنسا مع الغش والخيانة من قِبل أعضاء المجلس التمثيلي والذي كان منقسما لاتجاهين. الاتجاه الأول إنفصالي عن الاتحاد مع سوريا وكذلك طائفي، كان فيه ثمانية من العلويين النصيريين وإسماعيلي وأحد المسيحيين، والاتجاه الثاني كان وحدوياً فيه أحد العلويين وهو جابر بيك العبّاس، والثلاثة السنّة واثنين من المسيحيين. ولم يحصل الطرف الثاني سوى على مطلب سياسي واحد، كان ذاك عام 1930، وذلك بتغيير اسم دولة العلويين إلى حكومة اللاذقية (2).
بعد أن ساد الهدوء في البلاد، مع نهاية عام 1927، إزاء ثورتي جبل الدروز وغوطة دمشق وريفها، أخذت الأمور منحى سياسياً من أجل وحدة البلاد... فبعد انتخابات شهر نيسان/ أبريل عام 1928، في الدولة السورية التي تشكّلت تحت رايتيّ دولة حلب ودولة دمشق، تمّ

التصويت في هذا المجلس وفي الجلسة الأولى على المطالبة بضمّ شمْل البلاد التي فُرِض عليها الانتداب الفرنسي، كلـِّها في دولة واحدة، وقد رفض المستشار السامي الفرنسي هذا المطلب، ومع إصرار الوطنين وتحريضهم للجماهير، فإن المستشار السامي حلّ ذلك المجلس المُنتخب من الشعب عام 1930. ثمّ قامت انتخابات جديدة عام 1932 كانت أغلبيتها من الكتلة الوطنية والتي حملت محمد علي العابد لرئاسة الجمهورية (3).
بتاريخ السابع عشر من شباط/فبراير1933، أُقيم بمدينة حلب اجتماع للكتلة الوطنية، برئاسة هاشم الأتاسي، مؤتمرٌ أفصح فيه جميع الأعضاء الذين تنبثق منهم الحكومة السورية، برفض توقيع أيّة اتفاقية مع السلطة المُنتدَبة على حساب الوحدة الوطنية للبلاد. وكان الداعي لهذا المؤتمر، أنّ المندوب السامي الفرنسي كان قد عرض على عصبة الأمم في جنيف أن يُعطى الاستقلال للجمهورية السورية، على أساس ولايتي دمشق وحلب. وبالنتيجة، تبادل السيد محمد العابد، رئيس الجمهورية، عدة رسائل، مع المستشار السامي الفرنسي، داعما لمطالب الكتلة الوطنية، بينما حاول المستشار السامي المراوغة حول هذه المطالب(4)

(1) Ch. 0'ZOUX,R. *Les Etat du Levant sous le mandat français*, pp.76-77

(2) Cf. J.WEULERSE, *Op.cit*.p 121.

(3) Ch. A. RAYMOND, *La Syrie d'aujourd'hui*, P. 73.

(4) .Cf. *L'Asie Français*, n° Avril. 1933 ; P. 146-47

مع إصرار محمد علي العابد، رئيس الجمهورية السورية، بالمطالبة لضم لواء اللاذقية وإمارة جبل الدروز إلى الجمهورية السورية، وازدياد الإضرابات بالمد الشعبي، ومحاولة الدولة المنتدبة استغلال طلب الجمهورية السورية للانضمام إلى عصبة الأمم، والتي وافقت عليه، ولكن على شرط دخول حكومة اللاذقية وإمارة جبل الدروز بذات الصيغة كدولتين منفصلتين عن سوريا، فكانت هذه الموافقة، التي يمكننا تسميتها بـِ "خسيسة"، رفضت الحكومة السورية وعلى رأسها رئيس الجمهورية الدخول في منظمة عصبة الأمم دون أن يكون لواء اللاذقية جزءاً منها، كما كان يدعوه أتباع الجبهة الوطنية، وكذلك إمارة جبل الدروز تحت لواء الجمهورية السورية. وهكذا فإنّ المستشار السامي الفرنسي دومارتل، عطّل الدستور، وأقال رئيس الجمهورية، وفرض مكانه تاج الدين الحسيني، المقرّب من سلطة الانتداب، لتشكيل وزارة لتسيير الأمور وذلك في شهر آذار/مارس 1934. رفضت الكتلة الوطنية كل المراوغات التي كانت تدور حولها سياسة الانتداب، وكثر أتباعها في جميع أنحاء البلاد، سواء في جبل الدروز أو حكومة اللاذقية. ومع ازدياد المدّ الوطني، وبعد وفاة ابراهيم هنانو، في نهاية عام 1935، بدأت مظاهرات ضخمة في حلب تطالب باتحاد سوريا وإنهاء الاحتلال الفرنسي، وامتدت هذه المظاهرات إلى باقي المحافظات وأسفرت بإضراب الستين يوماً،(1) على غرار ما كانت تقوم به الهند تحت لواء المهاتما غاندي.

كتب الاستاذ علي الطنطاوي، يرحمه الله، عن دمشق: "*لا تجد فيها حانوتاً واحداً مفتوحاً، مقفرة أسواقها... فتعطلت تجارة التاجر، وصناعة الصانع، وعاش هذا الشعب على الخبز القفار، وطوى ليله من لم يجد الخبز، ثم لم يرتفع صوت واحد بشكوى، ولم يفكر رجل أو امرأة أو طفل بتذمر أو ضجر، بل كانوا جميعاً من العالِم إلى الجاهل، ومن الكبير إلى الصغير، راضين مبتهجين، يمشون ورؤوسهم مرفوعة وجباههم عالية، ولم نسمع أن (دكاناً)*

من هذه الدكاكين قد مُسَّ أو تعدى عليه أحد، ولم يُسمَع أن لصاً قد مدَّ يده خلال هذه الأيام إلى مال، وقد كانت الأسواق كلها مطفأة الأنوار ليس عليها حارس ولا خفير..

.

Cf. A.RAYMOND, *op-cit*.p 73.(1)

الكونت دي مارتل ، والذي كان المفوض السامي الفرنسي آنذاك، قرر إغلاق مكاتب حزب الكتلة الوطنية وقامت القوات الفرنسية بالإعتقالات. فما كان من الكتلة الوطنية إلاّ أن دعت إلى إضراب كبير في البلاد وكان تجاوب الشعب لذلك فعّالاً وكبيراً جداً، فاستمر الإضراب 60 يوماً وتضمّن جميعَ المرافق حتى المدارس والجامعة والأسواق والقضاء والخدمات العامة. وقامت المظاهرات والتي سقط فيها من أبناء الشعب العشرات، واعتقل منهم المئات، وتداعى الشعب العربي والمسلم في كافة الأقطار إلى التعاضد مع الإضراب السوري وحتى الشيوعيون الفرنسيون، فأضرب طلاب الأزهر في مصر، وأرسلوا بعد إعلانهم الاضراب برقية احتجاج إلى عصبة الأمم تأييداً لسوريا، وبعثوا كذلك إلى الرئيس هاشم الأتاسي ببرقية قائلين: *"الحيي فيكم الشجاعة الباسلة، ونشاطركم في جهادكم، فللشهداء الرحمة، وللزعماء التحية، وللشباب الإعجاب والتقدير"*، وأرسل أعضاء مجلس الشيوخ العراقي ومجلس النواب مذكرات احتجاج إلى عصبة الأمم، يؤيدون فيها الإضراب السوري، وزار وفدٌ من مجلس الشيوخ العراقيين دار المفوضية الفرنسية ليسجلوا احتجاجهم، وأضربت المدن اللبنانية تضامناً مع سوريا وأُرسلت برقيات احتجاج إلى عصبة الأمم باسم مدن بيروت وطرابلس وصيدا وصور وجبيل وغيرها، وأضربت انطاكية، ودعا الحزب العربي الفلسطيني في القدس بالاضراب تأييداً للسوريين، وراحت البرقيات تنهال على الأتاسي من زعماء العالم العربي تعلن دعمها، ومن هؤلاء مصطفى باشا النحاس، رئيس الوزراء في مصر الذي قال في برقيته إلى الأتاسي: *"أدمَت قلوبَنا حوادثُ سوريا، فأبعثُ إليكم وإلى القطر الشقيق باسم مصرَ، خيرَ ما تكنه نفوسُنا من عطفٍ على ما أصابكم في محنتكم وإعجابٍ بوطنيتكم واسترحامٍ لشهدائكم، وأرجو من الله أن يكلل جهودكم بالفوز والفلاح"*.

وأصدر زعيم الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي في 9 شباط/فبراير بياناً باسم الكتلة يحمّل الفرنسيين وانتدابهم مسؤولية أعمالهم ودعا إلى التمسك بالمطالب الوطنية والوحدة والاستقلال. وبدا واضحاً أن القمع والعنف الذي مارسه الفرنسيون لم يأت إلا بالنتائج السلبية عليهم ولم يضعف من همة الوطنيين وزعماء البلاد، بذلك أُرغم الفرنسيون على إجراء المفاوضات تجاوباً مع التأييد العظيم الذي لقيته الكتلة الوطنية وزعيمها....

وفي أوائل شهر شباط/فبراير عام 1936 تفاوض المستشار السامي الفرنسي مع الرئيس الأتاسي وأخبره عن عزم الحكومة الفرنسية على استقبال وفد سوري للمساومة على معاهدة بين البلدين، فألقت الكتلة الوطنية في 28 شباط من ذلك العام بياناً في الإذاعة باسم رئيسها معلنة رغبتها بقبول العرض الفرنسي، تحت شعار *"خذْ وطالب"*، بالمفاوضة على معاهدة تضمن حقوق واستقلال ووحدة البلاد السورية على غرار معاهدة العراق مع بريطانيا. ثم قام الزعيم الأتاسي، ومعه قادة الكتلة وأعيان دمشق، وبحضور الملأ من الجماهير، بقص شريط الحرير الأخضر على باب سوق الحميدية، معلناً نهاية الإضراب الذي كانت قد دعت إليه الكتلة، وعادت الحياة إلى متاجر وأسواق المدن االسورية.

وفي الأول من آذار /مارس عام 1936 اجتمعت الكتلة في مقر المفوضية الفرنسية وحصل اتفاق بينها وبين المفوض الفرنسي والحكومة السورية على تشكيل وفدٍ يرأسه هاشم الأتاسي ويتألف من فارس الخوري وسعدالله الجابري وجميل مردم بيك مندوبين عن الوطنين، وإدمون الحمصي والأمير مصطفى الشهابي ممثلين للحكومة، ونعيم الأنطاكي سكرتيراً للوفد ومستشاراً حقوقياً، وادمون ربّاط أميناً للسر، وأحمد اللحام خبيراً عسكرياً.

في الرابع من آذار/مارس 1936 قام وفد من حكومة اللاذقية، بقيادة نائب طرطوس، السيد منير العبّاس، بالالتقاء بالمستشار السامي الفرنسي في بيروت، الكونت دومارتل، وقدّم له عريضةً مطالباً بالاتحاد مع سورية بهذه الصيغة: *إنّ تقسيم البلاد بهذا الشكل لا يتلائم مع مطالب السكان ولا مع مصالحهم، فنحن لسنا من عداد الموجودين اليوم في هذا العالم، م ادمنا لا نشكّل جزءاً من سوريا، وإن مبدأ الاتحاد السوري ليس له معارضين بين العلويين. هذه الوحدة التي نُطالب بها لن تؤدي بنا أبداً لخسارة هويتنا أو انتمائنا. هنالك بعض الحالات في بلاد العلويين تتطلب شروطاً خاصة. ولكن بنود الاتفاق ما بين حكومة فرنسا والوطنين توفّر لنا بشكل كافٍ رغباتنا، وفيه المطالب الكافية لنا في الإدارة اللامركزية (1).*

في ما يخص حكومة اللاذقية وإمارة جبل الدروز من المعاهدة السورية الفرنسية التي قام توقيعها في آذار عام 1936، شملتْ هذه المعاهدة ثلاث نقاط وهي:

1- محافظة اللاذقية وجبل الدروز هما جزءٌ من الدولة السورية.

2 – هاتان المحافظتان تحظيان، ضمن الدولة السورية، بنظام إداري ومالي خاص.

3- ما خلا هاتين النقطتين فإن المنطقتين الآنفتي الذكر تخضعان لدستور الجمهورية السورية (2).

إلاّ أن الأعضاء الإنفصاليين في المجلس التمثيلي من العلويين النصيريين أرسلوا عدة رسائل للحكومة الفرنسية ضدّ الاتحاد مع الجمهورية السورية ما بين 8 و 15 حزيران/ يونيو من ذات العام، وهذا من بعض نصوصها:

نص الرسالة الأولى:

دولة ليون بلوم ، رئيس الحكومة الفرنسية بمناسبة المفاوضات الجارية بين فرنسا وسوريا، نتشرف نحن زعماء ووجهاء الطائفة العلوية في سورية أن نلفت نظركم ونظر حزبكم إلى النقاط التالية: إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة، بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس، هو شعب يختلف بمعتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني. ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل.

1- إن الشعب العلوي يرفض أن يلحق بسوريا المسلمة، لأن الدين الإسلامي يعتبر دين الدولة الرسمي، والشعب العلوي، بالنسبة إلى الدين الإسلامي، يُعتبر كافرا. لذا نلفت نظركم إلى ما ينتظر العلويين من مصير مخيف وفظيع في حالة إرغامهم على الالتحاق بسوريا

عندما تتخلص من مراقبة الانتداب ويصبح بإمكانها أن تطبق القوانين والأنظمة المستمدة من دينه.

Cf. *Asie Française*, Mars 1936, p.99.(1)
Cf. *Loc-cit*; Avril.1936, p.135, J.WELERSSE,*op-cit*, p.122 et A.RAYMOND, *op-cit*,p.74. (2)

2 - إن منح سوريا استقلالها وإلغاء الانتداب يؤلفان مثلاً طيّباً للمبادئ الاشتراكية في سوريا، إلاّ أن الاستقلال المطلق يعني سيطرة بعض العائلات المسلمة على الشعب العلوي في كيليكيا واسكندرون وجبال العلويين. أما وجود برلمان وحكومة دستورية فلا يظهر الحرية الفردية. إن هذا الحكم البرلماني عبارة عن مظاهر كاذبة ليس لها أية قيمة ، بل يخفي في الحقيقة نظاماً يسوده التعصب الديني على الأقليات. فهل يريد القادة الفرنسيين أن يسلطوا المسلمين على الشعب العلوي ليلقوه في أحضان البؤس؟

3 - إن روح الحقد والتعصب التي غرزت جذورها في صدر المسلمين العرب نحو كل ما هو غير مسلم هي روح يغذيها الدين الإسلامي على الدوام. فليس هناك أمل في أن تتبدل الوضعية. لذلك فان الأقليات في سوريا تصبح، في حالة إلغاء الانتداب، معرضة لخطر الموت والفناء، بغض النظر عن كون هذا الإلغاء يقضي على حرية الفكر والمعتقد، وها إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق المسلمين يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على توقيع وثيقة يتعهدون بها بعدم إرسال المواد الغذائية إلى إخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين. وحالة اليهود في فلسطين هي أقوى الأدلة الواضحة الملموسة على عنف القضية الدينية التي عند العرب المسلمين لكل من لا ينتمي إلى الإسلام. فإن أولئك اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام، ونشروا فوق أرض فلسطين الذهب والرفاه، ولم يوقعوا الأذى بأحد، ولم يأخذوا شيئاً بالقوة، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة، ولم يترددوا في أن يذبحوا أطفالهم ونساءهم بالرغم من وجود إنكلترا في فلسطين وفرنسا في سوريا. لذلك فإن مصيراًأاسود ينتظر اليهود والأقليات الأخرى في حال إلغاء الانتداب وتوحيد سوريا المسلمة مع فلسطين المسلمة. هذا التوحيد هو الهدف الأعلى للعربي المسلم.

4 - إننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري وعلى الرغبة في تحقيق الاستقلال، لكن سوريا لا تزال في الوقت الحاضر بعيدة عن الهدف الشريف الذي تسعون إليه لأنها لا تزال خاضعة لروح الاقطاعية الدينية. ولا نظن أن الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي يقبلون أن يُمنح السوريون استقلالاً يكون معناه، عند تطبيقه، استعباد الشعب العلوي وتعريض الأقليات لخطر الموت والفناء. أما طلب السوريين بضم الشعب العلوي إلى سوريا فمن المستحيل أن تقبلوا به أو توافقوا عليه، لان مبادئكم النبيلة، إذ كانت تؤيد فكرة الحرية، فلا يمكنها أن تقبل أن يسعى شعب إلى خنق حرية شعب آخر لإرغامه على الانضمام إليه.

5 - قد ترون أن من الممكن تأمين حقوق العلويين والأقليات بنصوص المعاهدة، أما نحن فنؤكد لكم أن ليس للمعاهدات أية قيمة إزاء العقلية الإسلامية في سوريا. وهكذا استطعنا أن

نلمس قبلاً في المعاهدة التي عقدتها إنكلترا مع العراق التي تمنع من ذبح الأشوريين واليزيديين. فالشعب العلوي، الذي نمثله، نحن المجتمعون والموقعون على هذه المذكرة، يستصرخ الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي ويسألهما ضماناً لحريته واستقلاله ضمن نطاق محيطه الصغير، ويضع بين أيدي الزعماء الفرنسيين الاشتراكيين، وهو واثق من أنه واجد لديهم سنداً قوياً أميناً لشعب مخلص صديق، قدّم لفرنسا خدمات عظيمة، مهدد بالموت والفناء.

الموقعون:عزيز آغا الهوّاش، محمد بك جنيد، سليمان المرشد، محمود آغا جديد، سليمان الأسد(1)، محمد سليمان الأحمد

الرسالة الثانية

فخامة السيد السامي، بواسطة دولة حاكم اللاذقية الأفخم.

نتشرف نحن رؤساء العشائر والزعماء والنواب العلويون بعرض ما يلي:

لقد جاءت حكومة الانتداب إلى بلادنا ونحن مستقلون عن كل سلطة في الداخل بقوة سلاحنا ومنعة جبالنا. وهذا الاستقلال الغريزي دفع فريقاً منّا في بادئ الأمر إلى محاربة الجيش الإفرنسي احتفاظا فيه، ولكن الفريق الأكبر منا وثق بشرف فرنسا وتاريخها، فوضعنا يدنا بيد الانتداب الذي قدّر لنا هذه الثقة، فحفظ لنا استقلالنا ونظمه.

(1) المؤرّخ العظيم مصطفى طلاس وضع إسم سليمان الأسد بين العلويين الوطنيين الذين الذين طلبوا الانضمام إلى سوريا، أنظر *مرآة حياته*، ج2، ص, 597.

ومنذ ذلك الحين أخلصنا لفرنسا إخلاصاً لا حدّ له، وزاد في هذا الإخلاص أنّ جميع المفوضين السامين كانوا يصرّحون ويعدون باسم فرنسا بضمان هذا الاستقلال وحمايته، وكنّا نتقبّل هذه الوعود والتصريحات كما نتقبّل كلام الله، إذ لم يخطر على بالنا قط أنه يمكن لفرنسي يمثّل حكومته أن يعد ثم يحنث في وعده.

وكم كانت دهشتنا عظيمة حين رأينا الإفرنسيين المسؤولين لأول صدمة صغيرة يتلقونها من السوريين يتناسون جميع وعودهم السابقة ويعدون السوريين بتصريح أنه بإمكان إلحاقنا في سورية. كأنّ استقلالنا هو هبة من فرنسا تعطيها حين تريد وتنزعها حين تريد. وزاد في دهشتنا أنّ قضيتنا مع الأسف لم تكن- أثناء المفاوضات السورية الفرنسية- موضع نظر وعطف ومحافظة من الإفرنسيين على شرف وعودهم بل كانت- كما كتبت جميع الصحف- موضع مساومة، بل كانت أكثر من ذلك، عملية بيع وشراء، كأننا من عبيد أفريقيا، يُباعون لأسيادهم دون أخذ موافقتهم – وهذا أمر لم نكن نتصوره ولا في الأحلام.

تجاه ذلك، رأينا أن نحدد موقفنا من فخامتكم بصراحة متناهية، لأننا أمام كارثة عُظمى وعلى وشك الاستشهاد في ميدان الشرف.

إننا نطالب فرنسا العظيمة بالمحافظة على وعودها وشرف قراراتها ونزاهتها، على ذلك، أننا لا نسمح حتى ولا لفرنسا الكريمة المحسنة أن تتصرف باستقلالنا وتَهَبُهُ لمن تريد، متناسية إخلاصنا وتضحيتنا وثقتنا من جهة، ووعودها وتأكيداتها من جهة أخرى، غير مهتمة بحكم التاريخ. إننا لا نزال على شيءٍ من الثقة في فرنسا، فإذا أرادت أن تحافظ على هذه الثقة، فعليها أن تجيبنا إلى أحد هذين المطلبين:

1– إصدار وثيقة رسمية تعلن فيها فرنسا احترامَها وضمانَها لاستقلال العلويين تحت إشرافها.

2- إرسال وفد علوي رسمي يمثّل حكومة اللاذقية للدفاع عن الاستقلال العلوي تحت إشرافها ومساندته من الحكومة الافرنسية المسؤولة.

فإذا لم تتفضّل الحكومة الافرنسية بقبول أحد هذين المطلبين، فإننا نصارحها القول أننا نحبها ولكننا نحبها لأنها تريد لنا الخير، فإذا تلاشى هذا الأمل تماما، فنحن أحرارٌ باتخاذ الموقف الذي تقضي به تقاليدنا ورجولتنا وغريزة الاستقلال المتأصّلة فينا، مبتدئين في إعلان العصيان المدني في جميع المنطقة.

إننا لا نهدد فرنسا، فنحن نعرف أنها قادرةٌ على سحقنا حين تريد، ولكننا مع ذلك سندافع عن استقلالنا بجميع الطرق والوسائل حتى الموت، ونحن نفخر أن يسجل التاريخ أننا متنا في ميدان الشرف نضالا عن قوميتنا، وأن فرنسا أمّ الحرية سحقت شعبا صغيرا لأنه طالب بحريته ولأنه وثق بها وبوعودها وأخلص لها.

وبانتظار جواب فخامتكم المستعجل، نرجو أن تتفضّلوا بقبول احترامنا الأكيد.

محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية- سوريا/لبنان-مجلد 492-493"

8 حزيران 1936

عزيز هواش – محمد سليمان الأحمد – محمد جناد – صقر خير بيك – ابراهيم الكنج – يوسف الحامد.

الرسالة الثالثة

دولة ليون بلوم رئيس مجلس الوزراء الفرنسي

((سيدي: عطفاً على برقياتنا وكتبنا السابقة، نتشرّف بعرض ما يأتي _

إنّ العلويين الذين يشكّلون الأكثرية الساحقة من سكّان حكومة اللاذقية، يرفضون الرفض الجازم رجوعهم إلى النير الإسلامي السنّي، ويذكّرون فخامتكم ورجال البرلمان الإفرنسي على اختلاف الأحزاب بتعهدات المفوضين الساميين باحترام الاستقلال العلوي وعدم إحداث تغيير إلا بعد أخذ رأي العلويين ومواقفهم، وهذه التعهدات تشهد في نظرنا على الأقل كل حكومة فرنسية، بل تفيد شرف فرنسا وكرامتها.

إننا نؤكد لفخامتكم بمناسبة المفاوضات الإفرنسية – السورية أن كل اتفاق مع السوريين على قضيتنا مهما كان صغيراً لا يفيدنا مطلقا ولا نعترف به ولا بقانونيته بل نعدّه خروجاً من قبل المفوض الإفرنسي على مبادئ فرنسا السامية وعلى وعودها بل وعلى مبادئ الإنسانية التي لا تجيز لشعب أن يتحكّم بمستقبل شعبٍ آخر دون رضاه.

ونعتقد بأنّه يستحيل على فرنسا الممثلة بأحزابها البرلمانية أن تؤثر عبودية شعب صغير صديق لأعدائه التاريخيين الدينيين، ولكي تتأكدوا من عمق الهوة التي تفصل بيننا وبين السوريين وتتصوروا الكارثة المفجعة التي نحن على أبوابها نرجوكم التفضّل بإرسال لجنة تحقيق نيابية لتطلع على الحالة كما هي ولترى هل في الإمكان إلحاق العلويين بسوريا دون التعرّض لمأساة دامية تكون لطخة سوداء في تاريخ فرنسا، مع إيقاف المفاوضات الإفرنسية – السورية، فيما يختص بالعلويين لانتهاء مهمة هذه اللجنة. ولا يمنع هذا إصرارنا السابق على ذهاب وفد منّا إلى باريس، ونعيد ثانية إلى فخامتكم أننا لا نعترف – مهما كلفنا الأمر- بكل حل أو تعهّد في قضيتنا لا يأخذ رأينا أو موافقتنا عليه، وإذا كنتم تريدون تطبيق مبادئكم الإنسانية على الشعب السوري السني، رغم عداوته لكم، فلنا وطيد الأمل تطبيقه علينا نحن العلويين، لأننا أصدقاء مخلصون.

وتقبّلوا يا صاحب الفخامة بقبول أخلص الاحترام

محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية- سوريا/لبنان-مجلد 492-493"

في 11 حزيران 1936

رئيس المجلس التمثيلي: ابراهيم الكنج

من رسائل الوطنيين لحكومة الانتداب

الرسالة الأولى:

إلى وزارة الخارجية الفرنسية، بعد أن جرّبنا الانفصال عن سوريا ستة عشر عاماً، لا يمكننا إلاّ أن نلمس الأمور التالية:

1-لم يكن العلويون قط منقسمين كما هم اليوم، وهذا التفسّخ نتيجة الإدارة.

2-إنّ بلاد العلويين تتحمّل أبهظ الضرائب في سوريا وذلك لتغذية الاستقلال المحلي (الأتونومي)الذي لا يؤمّن حاجة من حاجتنا والذي أوجد سوء حالتنا المادية والمعنوية.

3- إن هذا الانفصال يتغنّى به بحماسة بعض العلويين النفعيين ليس سوى سلّماً للتبشير اليسوعي، وبالتالي لإفناء العلويين التدريجي.

4- إنّ هذا الانفصال يحول دون تحقيق وحدتنا القومية، هذه الوحدة التي هي حجر الزاوية في تحريرنا واستقلالنا.

الموقعون: صالح علي سليمان، علي محمد سليمان، صالح ناصر الحكيم، جابر العبّاس، جابر حرفوش، محسن حرفوش، علي شهاب ناصر، أحمد ديب الخيّر، خالد محمد يونس، عبد الحميد الصالح، علي محمود كامل، صالح محمود، مصطفى عمران، عبد الكريم عمران، محمد محمود مصطفى.

الرسالة الثانية:

معالي وزير الخارجية- باريس

جئناكم وقد نفذ صبرنا نشكو سياسة التفرقه المشؤومه التي ما زال يسير عليها ممثلو فرنسا حتى يومنا هذا. إن أغلب الموظفين الموجودين في بلادنا منذ سنوات عديده يستخدمون سلطاتهم المطلقه لمحاربة كل فكرة للتوحيد بين سكان البلد الواحد. وهم لا يفتأون بمختلف الوسائل تغرير القلة من المنتفعين الذين جمعوهم حولهم للمطالبه بالإبقاء على الوضع الراهن. ولا غاية لهم سوى ضمان الاستمرار في مراكزهم, وتأمين مصالحهم الخاصة حتى ولو كان ذلك على حساب بلادهم، ويبدو أنهم في الآونه الأخيره قد تفتق ذهنهم عن وسيله جديده للوصول الى غايتهم.

فبمقابل البيان المتحرر الصادر عن مجلس الوزراء الفرنسي الجديد والمتعلق بتحقيق استقلال سوريا ووحدتهاأاخذوا يستنفرون أنصارهم و وقّعوهم على عرائض جديده تشير بصوره غير مباشره، إلى إبقاء حكومة اللاذقيه على وضعها الحالي. وبالرغم من التكتم الشديد التي تحيط بها تحركاتها الحكومه المحليه، الممثله منذ 12 عاما بالسيد شوفلير والكابتن فيلليو ضابط الاستخبارات، فد أمكننا الكشف عن نوايا أنصار الحكم الذاتي ويبدو ان هؤلاء قد ادعوا أن العلويين ليسوا مسلمين ولا عرب. ولخدمة مآرب ذاتيه البعض ممن سيقضي زوال الوضع الحالي على طموحاتهم الشخصيه. فلو كانت حقيقة الوضع كما يصورون فكيف يمكن تفسير تواجد أكبر الزعماء ورجال الدين

بين صفوفنا، والذين يمثلون باعتراف الجميع الأكثريه الساحقه من مواطنيهم المقيمين في حكومة اللاذقيه. ومن بين هؤلاء الزعماء، "جابر أفندي عباس" حامل وسام جوقة الشرف والذي يشهد له كل المندوبين الساميين الذين عينوا في سوريا بأنه يمثل أكبر مرجعيه دينيه وسياسيه، وابنه السيد "منير العباس" النائب، والآخرون من الرؤساء الدينيين والدنيويين من نواب حاليين وسابقين وجميعهم يحتج بحزمٍ على الادعاءات العاريه عن الصحه التي أطلقها البعض دون وازع من ضمير. الجميع هنا من فرنسيين وسوريين مقتنعون في قرارة أنفسهم من عدم جدوى انضمام إقليمنا إلى لبنان، وهو المرتبط منذ اأازل بسوريا، ويشكل جزءا لا يتجزأ منها ولم ينفصل عنها برغبة سكانه بل بالاراده السياسيه لحكامه الفرنسيين. إن هذه الترهات الجديده لا ترمي سوى الى تشويش جو المباحثات السوريه الفرنسيه وتأخير اختتامها بأمل الحفاظ على النظام الحالي اكبر وقت ممكن، ومعه نزوات شوفلير الديكتاتوريه وعلى مكر واستبداد الكابتن فويللو. نعتبر أن مثل هذه المناورات التي تفصح عن حقيقتها بنفسها سوف تعمل الحكومه الفرنسيه على وضع حد لها لمصلحة فرنسا ولمصلحة بلدنا الذي تكبد خسائر ماديه ومعنويه جسيمه. إنّ هذه الايحاءات ذات مغالطه صريحه لكل الحقائق التاريخيه واللغويه والدينيه التي جميعها تؤكد أن إقليمنا لم يكن يوما بشكل منفصل عن سوريا. يجابهوننا بحجة أن معظم سكان الإقليم العلويي المذهب وحدة، ولا يمكن أن تكون الديانات كقاعدة لتكوين الشعوب، ومن جهة ثانيه فالعلويون مسلمون كما أن الأغريق أرثوذكس والبروتستانت مسيحيون، لماذا لا يفكر المسيحيون في طلب الأنضمام الى لبنان حيث يشكل أبناء دينهم أكثريه؟ وأين في العالم كله البلد الذي يتبع سكانه مذهبا واحدا؟ هذا واننا نسجل بكل أسف أن سياسة الموظفين الفرنسيين في سوريا عامة وفي مناطقنا خاصة لم تكن يوما ملائمة لرغبات الشعب ولا لمصلحة فرنسا نفسها. أخيرا إننا على ثقه أن الأحداث أثبتت بما فيه الكفايه أن الوفد السوري الموجود حاليا في باريس يمثل رأي آمال الأغلبيه العظمى من سكان سوريا، تلك الأكثريه التي سوف تبلغ الإجماع حالما تتوقف السلطات الفرنسيه عندنا –ولا بد من التنويه بذلك-من أن تتلاعب المسار الطبيعي للأمور. فلتتفضل فرنسا وتقتنع أن تبادل العلاقات بإخلاصٍ مع سوريا سوف يكسبها صداقة وامتنان كل السوريين..

وعلى أمل أن تحققوا رغبات الأكثريه الساحقه من سكان بلاد العلويين وفق ما عبر عنها مندوبونا في باريس، تفضلوا يا معالي الوزير بتقبل خالص تحياتنا.

اللاذقيه في الثاني من تموز 1936.

الموقعون:

علي كامل: نائب وزعيم عشيرة، حامد المحمد: نائب وزعيم عشيرة، منير عباس: محامي ونائب. علي ملحم رسلان: زعيم عشيرة، علي شهاب: زعيم عشيرة، اسماعيل هواش-العضو في المجلس الاتحادي السوري، أحمد ديب الخيار: رئيس ديني نائب اللاذقيه، عزيز طاهر الموعي: زعيم عشيره، علي سليمان الأحمد: عضو سابق بالجمعيه التأسيسيه،

نديم عزيز اسماعيل: عضو سابق بالجمعيه التأسيسيه، الشيخ صالح العلي: زعيم ديني، إبراهيم مصطفى جابر: زعيم، راشد العمر: زعيم عشيرة، يونس اسماعيل: زعيم عشيرة، محمد علي: محامي علوي، عبد اللطيف يونس: شيخ علوي، سليمان فايد: من الأعيان، جميل عثمان: مهندس علوي، شوكت عباس: محامي علوي، عبد الله عبد الله: محامي علوي، محمد ياسين عبد اللطيف: شيخ علوي، عبد اللطيف مرهج: شيخ علوي، رضا عباس: شيخ علوي، وجيه محي الدين: طبيب علوي، حسن ضحيه: شيخ علوي، إسماعيل يوسف: شيخ علوي، محمد رمضان- شيخ علوي، الشيخ صالح ناصر الحكيم- شيخ وزعيم ديني، محمد محي الدين: شيخ علوي، عبد الكريم عمران: شيخ علوي، جابر مرهج: شيخ علوي، علي محمد سليمان: شيخ علوي، محسن حرفوش: شيخ علوي، سعيد محمد سعيد: شيخ علوي، غانم حفار: شيخ علوي، يونس حمدان، محمد حسن، كامل محي، صالح ناصر زوبار- علي عبد الحق- كامل الحاج- غانم يوسف- محمود القاضي- نصر يوسف خدام- بايوسف خدام- يونس علي - عبد الحميد صالح يونس- شيبان حامد- محمد علي حلوم- داود كالوري- سليمان غانم- أحمد يوسف، وجميعهم مشايخ علويّون...

ومن غير العلويين:

مجد الدين أزهري- نائب رئيس غرفة التجارة، عبد الواحد هارون- زعيم سني نائب سابق في البرلمان العثماني، محمود عبد الرزاق: نائب، فايز الياس: نقيب المحامين، عبد القادر شريتح: زعيم سني- نائب سابق، أسعد هارون- عضو البلديه _ زعيم الشباب الوطني، حليم بشور- من الأعيان المسيحيين، الدكتور ميخائيل بشور-عضو سابق بالجمعيه التأسيسيه، الدكتور اسكندر بشور- نقولا بشور- اسبر بشور - عزيز عرنوق - اسبر الطيار - رفيق البيطار- زاهي عرنوق- ابراهيم خوري- الأب يوسف بطرس -الأب اسطفان سابا- سليمان شدياق – عبدالله روفائيل- الأب موسى ديب- ياخوس عركوش.(1)

بالرغم من الاعتراضات من قِبل الانفصاليين في حكومة اللاذقية، ففي الرابع من كانون الأول/ديسمبر سنة 1936 وبعد اجتماع في بيروت بين المستشار السامي الفرنسي الممثل لسلطة الانتداب مع الرئيس هاشم الأتاسي وأعضاء من المجلس التمثيلي لحكومة اللاذقية، وحول حوار سيطرت عليه روح الوفاق والتفاهم، تم ضم حكومة اللاذقية للجمهورية السورية، تحت إسم محافظة اللاذقية، وسميَّ منير العباس محافظاً لها.(1)

(1) محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية- سوريا/لبنان-مجلد492-493" برقية المطالبين بالوحدة مع سوريا في منطقة العلويين- مرسله من اللاذقية في الثاني من يوليو-تموز-1936

يرى جاك فوليرس، في كتابه، *بلاد العلويين*، صفحات 120 – 121، أن سلطة الانتداب الفرنسي، والتي كانت تشجّع استقلال دولة العلويين، تراجعت عن تلك السياسة لسببين،

السبب الأول أن الطبقات الشعبية لم تصل إلى مستوى فهم الفرصة التاريخية لبناء دولة، والسبب الثاني أنّ دولة العلويين كانت من الناحية الاقتصادية فقيرة جداً لتحمل أعباء مصاريف دولة، فكان على سلطة الانتداب ضمها لباقي دول المشرق التي كانت تحت الانتداب الفرنسي.

ولا بدّ من كلمة هنا، وهي أنّ الكاتب الآنف الذكر قد أورد في إحصائياته، أنّ دولة العلويين، كانت تضم 1552 قرية، يتملّك منهم السنة والمسيحيون 129 قرية، وباقي القرى كانت من ممتلكات الإقطاعيين العلويين أو أصحاب الملكيات المتوسطة أو الصغيرة من العلويين أنفسهم... ونحن لا زلنا نسمع يمنة ويسرة أنّ المسلمين السنة كانوا يستخدمون بنات العلويين كخادمات قبل وصول البعث إلى السلطة... ولكن ذلك لم يكن حصراً على الفقراء من أبناء الطائفة العلوية، بل على كل الفقراء من أبناء العائلات الفقيرة في سوريا، وكذلك لم تكن العائلات السورية في المدن وحدها التي كانت تستخدم الخادمات من فقراء الطائفة العلوية، بل كان أغنياء العلويين أشدّ قسوة عليهن وعلى عائلاتهم من الآخرين، ونحن لا نعلل القسوة ولا الفقر بأي شكل من الأشكال ولأي إنسان كان، ولكن يستحسن من الذين أشاعوا ويشيعون هذه الفكرة، أن يتبنوا كلمة علي بن أبي طالب (رض) "كلمةُ حق يراد بها باطل"، حيث لا يزال أكثر من نصف أبناء الطائفة العلوية يعيشون بحالة الفقر، وكان أذناب السلطة ولا يزالون يرددون هذه الذكريات لتبرير مصالحهم على حساب الوحدة الوطنية. أليس العلويون الفقراء هم الذين هتفوا في مطلع الثمانينات من القرن الماضي: *للطائفة القبر ولآل الأسد القصر*؟

Asie Française, décembre 1936 ; p.340. (1)

لا بدّ من التوقّف عند حوادث تاريخية حصلت فيما كان يُسمّى بدولة العلويين أو حكومة اللاذقية، خلال فترة الانتداب الفرنسي وهي مسألة **المرشدية**.

في عام 1923 بدأت ظاهرة جديدة في منطقة جبال العلويين تتشابه بظاهرة إسماعيل رسلان (1) في ذات المنطقة، منذ بداية سنوات الخمسينات من القرن التاسع عشر، وهي التناسخ بادعاء الأُلوهية. كان سليمان المرشد فتى قد بلغ السابعة عشر من عمره، ولِد في قرية جوبة البرغال بقرب اللاذقية، وكان يعمل راعياً، وبعد حمّى أصابته، بدأ يهزر، أنه رأى الإمام علي(رض) وادّعى أنه تناسخ في جسده، وراح يوجهه شيخان، أحدهما زوّجه ابنته فيما بعد، وصار بسطاء الناس يتوجهون إليه، وآمن به العديد من أبناء قريته والقرى المجاورة، ونتج عن هذا ميلاد مذهب المرشدية، مما أدّى إلى اضطرابات وشجار مع باقي أتباع المذهب النصيري، وبنتيجة هذه الاضطرابات قُتل ما يعادل خمسين شخصاً

من الجانبين. وأكثر من ذلك كجرحى، بعد تدخّل سلطة الانتداب. نفته سلطة الانتداب لمدينة الرقة لمدة عامين بأمر من المستشار السامي الفرنسي هو وتسعة من أتباعه. حصل ذلك سنة 1926. وبعد ولادة ابنه مجيب، والذي كان برأيهم سينقذ العالم من الجور والبطش، (1)

ازداد أتباع سليمان المرشد أثناء غيابه في المنفى وخاصة بعد أن اعتنق رئيس عشيرته، العمامرة، علي بدّور مذهبه.

بعد إطلاق سراحه، أخذ حواريّوه التسعة بنشر خبر عودته إلى الأرض، تارة من السماء وتارة من المشرق وربما من المغرب... وحين عاد بين أتباعه راح يتكلم بينهم عن اقتراب الساعة ويوم القيامة... من جانب آخر بدأت أحواله المادية تتحسن، فأصبحت قريته عاصمة لأتباعه، ومياه العين التي يشرب منها أبناء القرية أضحت دواءً لشفاء

(1) كان ذاك عام 1855 حين استطاع اسماعيل رسلان السيطرة على جزء كبير من جبال النصيرية، وحين حاول السيطرة على حصن الأكراد، أي قلعة الحصن، تدخلت الدولة العثمانية بقيادة باشا ولاية طرابلس، أسعد باشا الدندشي، وتم اغتياله بمؤامرة مع بعض أتباعه، وانتقلت بعدها عائلته لمدينة حمص واعتنقوا المذهب السني، انظر:
J. Weulersse, *Le pays des Alaouites*, p. 115.

الفقراء والبسطاء والأغبياء مقابل بضعة قروش لكلّ مستهلك، تزوج ثلاث عشرة امرأة، دخله ازداد إمّا كان نقداً أو التبرك به بإعطائه المواشي أو ضريبة على مزارعي التبغ والتنباك، وانتشرت ديانته بين الحدود التركية والحدود اللبنانية...

(1) << تسبيح إلى مولانا مجيب سليمان المرشد الرب العظيم. مولانا لك العزة والمجد والتهليل والتكبير، سبحانك ربنا، أشياعك الذين يسبّحونك وينزهونك عن الصورة البشرية، وأنّك وعدتنا قبل أن تصعد إلى سمائك وتجلس على عرشك العظيم، كما أنّك وعدتنا وأنت خير من يوعد بأنّك ترسل على الذين يظلمون من الحكّام والبشر النقمة والغضب، تنقذنا من يد الأشرار، كما قلت: أنني سأجعل لكم من لدنّي عوناً ونصيرا غريباً عن دينكم وغريباً عن وطنكم ليكون سنداً لكم إلى يوم الحساب الأكبر. إننا ثابتون على صحة يقيننا وعلى صحة هذا الدين، ولا نشكّ بوعودك الصادقة، إنك كريم رحيمٌ يا مولانا يا مجيب المرشد.

سبحانك إنّك الرب الرب العظيم، إرحمنا من الحكّام الأشرار وأرسل لنا الذين وعدتنا ينقذوننا من الحكّام الفجّار والقوم الأشرار إنّك على ذلك لقدير. لقد بزغت شمس وجودك من المغرب، كما كان غيابك في المغرب، مولانا أرسل لنا الجحافل والناصرين لإنقاذنا من الظالمين الذين يمنعوننا من عبادتك وعن مدّ يد التسبيح لأهل بيتك، إنّك على ذلك لقدير.
نختتم دعائنا بكلمة: سبحانك أنت الرب العظيم.
نقدّم هذا التسبيح إلى البهاليل ليذكروا ربهم في كل حين>>.

بدأ الانقسام بين العشائر العلوية، وأطلق سليمان المرشد على أتباعه إسم عشيرة الغساسنة التي ضمّت من جميع العشائر العلوية تقريباً أتباعا لها، وأصبحت تعدُّ في أوائل الثلاثينات 40 ألف نسمة، انتخب كعضوٍ في المجلس التمثيلي في حكومة اللاذقية عام 1934، وبعد معاهدة 1936 بين فرنسا وسوريا، انتُخب كنائب في البرلمان السوري سنة 1937.
نشاطه السياسي والديني حمله ليكون من أبطال أتباع المذهب العلوي النصيري لدى المظلومين ممن اعتنقوا مذهبه في وجه أكثر رووساء العشائر.

استغلّت قوى الانتداب هذا الموقف والموقع الذي احتله سليمان المرشد، وراحت تشجعه للتمرد ضدّ الحكومة الوطنية، ابتداءً بموظفي الدولة المدنيين ومن ثمّ ضدّ قوى الأمن والجمارك. رجاله حملوا إسم **الفدائيين**(1). معجزات سليمان المرشد راحت تتكامل، المعطف المطلي بمادة الفوسفور الذي كان يلبسه ليلاً أمام بسطاء الناس، والأشجار التي كانت تحمل بنادق وتلدها، بالاستعانة بالحيل التي كانت تدبّرها قوّات الانتداب الفرنسي، والتي جعلت من سليمان المرشد شوكة في حلق الحكومة الوطنية في دمشق (2).

المستشار السامي الفرنسي في سوريا ولبنان، جبرائيل بيو، كتب في كتابه *سنتان في المشرق*، 1939- 1940، ص. 141، عن مساعداته لسليمان المرشد ما يلي: *((لقد قوّى موقعه وتمثيلياته بمساعدة القوى الفرنسية الخاصة (المكتب الثاني) الذين كانوا يرون فيه قبضة في وجه جبهة دمشق، هذه السياسة أعطت ثمارها حين أتيتُ إلى سوريا، عدة السلاح البسيطة بنظري والتي أرسلتها بالخفاء لسليمان المرشد، لم تكن فقط كافية لتهديد قوى الأمن السورية فقط، بل كان بإمكانه أن يضايق بها سلطة الانتداب)).*
لم يكن سليمان المرشد وحده الذي أعلن العصيان ضد الحكومة الوطنية، كذلك فعل عزيز الهواش، من عشيرة المتاورة (3)

(1) هذا الأسم كان أول من حمله الإسماعيليون في جبال النصيرية، منذ أيام راشد الدين سنان في القرن الثاني عشر
Cf. B. LEWIS, *Les Assassins*, p. 86.
Cf. J.WEULERSSE, op-cit, pp. 334-39, J. et J. THAROUD, *Alerte en Syrie*, (2) pp.61-75
وكذلك باللغة العربية: منير الشريف، *المسلمون العلويون، مَن هم وأين هم؟* صفحات 116- 123 *وكتاب الأعلام للزركلي*، الجزء 3 ص. 170.
J. THAROUD, *Alerte en Syrie*, pp.75-78 , J. et(3)

سلخ لواء اسكندرون

خلال سنتي 1938 – 1939، كان همّ فرنسا تخفيف حدة التنافر مع تركيا، والعالم على أبواب الحرب العالمية الثانية. نقضت فرنسا عهودها وواجبتها وذلك بعدم احترام المادة الرابعة من قانون الانتداب الذي صاغته هي بالذات وفرضته على عصبة الأمم، وهو: تأمين سلامة الأراضي السورية وعدم التفريض بأي جزء منها لأيّة دولة أجنبية ولأيّة سلطة كانت، وفي تلك الفترة كانت عصبة العمل القومي، بقيادة عبد الرزاق الدندشي تكرّس كلّ جهودها لتقاوم ما تنويه سلطة دولة الانتداب، كما كتب سامي الجندي في كتابه **"البعث"**. وبعد وفاة عبد الرزاق الدندشي في حادث مؤلم، انفضت عصبة العمل القومي، وتمّ سلخ اللواء، ونتيجة لذلك التجأ حوالي ستة آلاف علوي إلى دمشق واللاذقية (1) ومن بين أولئك اللاجئين كان شاعر البعث، سليمان العيسى، ومؤسس حزب البعث، زكي الأرسوزي.

كان الأرسوزي من مفكري الحزب الأوائل ومنظِّريه، وكان الدكتور سامي الجندي، وزير الإعلام السوري سابقاً، وسفير سوريا في باريس ومن مؤسسي الحزب، ومن أبرز زملاء الأرسـوزي، يحدثنا عنه وعن نشأة الحزب بقوله: " *كنا مثاليين نقيم علاقة المجتمع على الحب، كان الأستاذ الأرسوزي" يتحدث كثيراً عن المسيح••• ويرى أن الجاهلية مثله الأعلى يسميها المرحلة العربية الذهبية•••* و ذهب إلى أبعد من ذلك، *إذ تبنّى ما كان جاهلياً في الإسـلام فقط، كان إنسـان الرفض، ورفضنا معا، ناقشته عام*

E. PICART ; Retour au Sanjak ; in *Maghreb-Machric*, n° 99, mars – juin, 1983, pp. 47-60 (1)
etو أنظر منير الشريف، *المرجع السابق*، ص 60

1945م، بالقرآن، فعاب عليّ نزعتي الدينية قائلاً: (أنت راهب في ثياب ثوري)•• وقد لا يعلم كثيرون أنه بدأ يدْرُس العربية سنة 1940م، إذ كان يفضِّل الحديث قبل ذلك بالفرنسية(1).
كانت العروبة في وادٍ والأرسوزي في وادٍ آخر، مما لا شكّ فيه أنّ العصر الجاهلي كان فيه مستوى من الأخلاق لا يُنكر، حتى قال بعضهم، كما نقل لنا ابن عبد ربه الأندلسي قول بعضهم: *وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية*(2). ولكن الأرسوزي الذي درس الفلسفة في أرقى جامعات العالم حينذاك، ونعني بهذا جامعة السوربون، كأنه لم يفهم شيئاً من نشوء الأمم، لابن خلدون وجهة نظر رائعة في تكوين الأمم وزوالها، وتشذّ الأمة العربية عن جميع الأمم بفضل القرآن الكريم، امبراطورية الإسكندر الأكبر التي كانت خلاصة فكرية لأعلى رتب الفلسفة انحصرت حدودها في اليونان في عصرنا الحديث، الامبراطورية الرومانية التي حوّلت البحر المتوسط إلى بحيرة تحت سلطة روما انحصرت في شبه الجزيرة الإيطالية، دولة المغول التى امتدت على أوسع رقعة في الأرض اضمحلت في منغوليا، وحين أثمرت كان ذاك بفضل الإسلام، والهند تحت حكم المغول خير دليل على ذلك. ونصل الآن إلى الأمة العربية، التي تخيّلها الأرسوزي متحدة من سلطنة مراكش حتى شمال العراق، ما الذي جعله يتصورها بهذا الشكل، ويناقض نفسه بنفسه! *ما كان جاهليٌّ في الإسلام*، هل كان يعني به المكان؟ إذن ففلسفته تتوقف على حدود جزيرة العرب وليس على حدودها من المحيط إلى الخليج، وإن كان يعني الفكر، فإنّ الشعر العربي والأمثال والخطب في تلك الفترة هي مكانة فخر لنا في هذا العصر، ولكنها لا تبني أمماً ولا توحّد جزيرة عربٍ كان الناس الذين يعيشون في حالة البداوة يشكلون 90% من سكانها، ومن المستحيل جمعهم على مبدأ اقتصادي لتشكيل دولة أو أمّة سوى على أسس العقيدة. ثمّ أنّه كان على الأرسوزي أن يُعاشر البدو من العرب كي ينظّر عن كثبٍ للعروبة حتى يفهم بشكل أوسع وأعمق لمعانيها، كي تتشكل لديه الصورة الحقيقية للعرب والعروبة، كما كان يفعل أصحاب القواميس الكبرى كصاحب لسان العرب وصاحب مختار الصحاح...

(1) *البعث*، ص. 43.
(2) *العقد الفريد*، الجزء السادس، ص. 3.

ولا نخفي عن الذين لا يزالون يرون في فكر زكي الأرسوزي شيئاً يصلح للعروبة، بأنّ العروبة لدى العرب الأقحاح البسطاء ليست عنصرية كما عرضها الآرسوزي متأثراً بالفكر النازي الهتلري وفاشية موسليني، بل نسمع من سياق الحديث مثلاً لبدوي يقول: ***"الصين عربهم كثر والألمان عربهم شُقر"*** إلخ... وهذا يعني بمفهومنا أنّ كل الشعوب بنطرة العربي البدوي، عرب، وليس للعنصرية مكان كما راح الأرسوزي يفلسف بآرائه حول العرب والعروبة والقومية العربية. وفي هذا الخضّم ما بين التعصب والجهل والوصولية نشأ حزب البعث الأرسوزي تحت إسم حزب البعث العربي. ونضيف للذكرى بأني تلقيت شخصياً من المكتب الثقافي، مشكوراً، في السفارة السورية بباريس، أربعة أجزاء من أعمال الأرسوزي الكاملة (وهي ستة أجزاء) حين كنت أحضّر لموضوع دكتوراه دولي في جامعة باريس الثالثة، عن العروبة والإسلام، وبعد قراءتي لهذه الأجزاء كباحث، أعطيتها لكثير من الجامعيين العرب السوريين، ومنهم أعضاء عاملين بحزب البعث السوري، حيث أصابهم الملل من قراءاتهم للصفحات الأولى في كل جزء، فإن كان الشعب في وادٍ والمنظّر في وادٍ آخر، فالنتيجة حتمية لأن يكون هذا الحزب ليس سوى تجمّعاً لعصابة أودت بالبلاد والعباد معاً.

إنّ رسالة العرب الخالدة، شئنا أم أبينا، هي رسالة محمد بن عبدالله، وكل عربي مسؤولٌ عنها، ولكن هل آن الآوان أن نراجع شكلها دون المساس بجوهرها، فجوهرها الرحمة من صانع الكون، وشكلها يساهم في بناء الدولة الخاضعة للقانون، المتمرّسة في كل زمان ومكان ولكن بتديّن وبدون تعصّب.

في بداية سنوات الأربعينات من القرن الماضي، عمّ السلام بمنطقة جبال العلويين، وأصبح لمنطقة اللاذقية مقام المحافظة، وعينت الدولة السيد منير العبّاس، حفيد جابر بيك العباس محافظاً عليها(1)

(1) PUAUX, *op.cit.*, p. 140. Cf ; G.

يكتب المستشار السامي الفرنسي، جبرائيل بيو، في المصدر السابق، ص. 148، إنّ سلطة الانتداب اضطرت لضم بلاد العلويين للدولة السورية بسبب أن العلويين لم يصلوا إلى مستوى حكم أنفسهم بأنفسهم، حتى عاصمتهم اللاذقية، لم تكن قط علوية من حيث السكان، فهي مدينة سنية أولاً ويتبعهم الروم الارثوزكس من حيث العدد.

سؤال لا بدّ منه، وهو: لماذا اتخذ قسم كبير من العلويين النصيريين موقفاً لصالح سلطة الانتداب المحتل، ضدّ الوحدة مع سوريا؟
بعض زعماء العشائر، من الدرجة الثانية أرادوا أن يظلوا زعماء على عشائرهم، حيث أنّ دولة الانتداب هي التي دفعتهم على حساب رؤساء العشائر الذين كانوا يترأسونهم قبل الاحتلال الفرنسي، ونذكر منهم أحمد الحامد من عشيرة الحدّادين الذي أراد أن يحل محلّ

ابن عمه، حسن الحامد، وكذلك سليمان المرشد من عشيرة الخياطين التي كان رؤساؤها من آل العباس وغيرهما كإبراهيم الكنج... وفي حالة انضمام حكومة اللاذقية للوطن الأم ستأخذ الأمور مجراها وتعود الأمور لنصابها فيخسرون مكانتهم لصالح رووساء العشائر وهذا ما حصل بعد الاستقلال...(1)
من جانب آخر، اتخذ بعضهم هذا الموقف كرهاً بالمسلمين السنّة كما توضح رسائلهم لوزارة الخارجية الفرنسية التي نشرناها في الصفحات السابقة.
كذلك، الجهل والأميّة عند غالب طبقة الفلاحين، وحيث إنّ رؤساء العشائر والمقدمين والمشايخ رأس حربة في وجه التعليم أو تعليم الخزعبلات والخرافات التي تؤدي بالفرد للخوف من مرؤوسيه وبالنتيجة الانصياع له(2)..
كان المشايخ ينشرون الخوف في نفوس البسطاء بالاتفاق مع رؤساء العشائر حين أرادت سلطة الانتداب فتح مدارس في بعض المناطق، فيهددونهم بالعذاب الأعظم إن هم أرسلوا أولادهم لتلك المدارس التي تعلّم برأيهم الكفر والإلحاد، مما يسبب غضب

(1) أنظر منير الشريف، *المرجع السابق*، ص.119
(2) Cf. L. JALABERT, *Syrie et Liban, réussite française* ? p.96.

الله عليهم في الدنيا والآخرة، وكل مَن يترك طريق التدين الذي كان عليه الآباء والأجداد سينزل به سخط الله(1)
ورغم انضمام حكومة اللاذقية للدولة السورية، بقي أكثر العلويين متعلّقين بفرنسا، وفي 17 نيسان/أبريل عام 1946 خرج آخر جندي فرنسي من سوريا، أكثر العلويين أصابتهم خيبة أمل، وبعضهم كان يظن أنّ الجبهة الوطنية ستنتقم منهم بسبب موقفهم مع قوات الاحتلال، ولكن القيادة الحكيمة في دمشق كانت على المستوى الوطني والسياسي الذي لا تشوبه شائبة بمواقفها ضد أي فتنة طائفية في البلاد، وكما يضيف منير مشابك موسى، فإن العلويين الذين أُشيع بينهم أنهم سيعذّبون وسيذبحون، فلا هذا ولا ذاك حصل بعد خروج قوات الاحتلال وتحوّل اسم حكومة اللاذقية إلى محافظة اللاذقية(2).

(1) Cf. Munir Mushabik MUSA, *Etudes sociologiques de Alawites Nusayris, t.II, pp.922-23*
(2) Idem, p. 928.

الباب الثاني

نشــأة الديانــة العلويــة النصيرية(1)

ينـحدر المذهب العلوي النصيري من مذهب المُفضّلية، أتباع المفضّل بن عمر الجُعفي. وقد عاصر المفضّل أبا الخطّاب، الذي يـعتبر أوّل مؤسس للمذاهب الباطنية في التاريخ الإسلامي(2) حيث أن أكثر هذه المذاهب انحدرت عن مذهب الخطّـابية. وكان ذلك خلال إمامة جعفر الصادق، الإمام السادس عند الشيعة الإمامية. ومما لا شك فيه بأن الباطنية لم تلد بين ليلةٍ وضحاها. ومما هو معلوم أيضاً أن ميمون القدّاح الذي عاصر الإمام الخامس، محمّد الباقر، كان له دوره في ترويج هذه الفكرة. ومن أشهر المذاهب الباطنية التي انحدرت عن مذهب الخطابية، مذهب الإسماعيلية، الذي شغل مكانة هـامة في تاريخ الأمة الإسلامية. ومن مذهب الإسماعيلية انحدرت مثلاً الخلافة الفاطمية، وخلال فترة الخلافة الفاطمية في مصر انسلخت الدرزية عن المذهب الإسماعيلي بمباركة الخليفة الفاطمي الثامن، الحاكم بأمر الله، و وزيريه الدرّازي وحمزة بن علي بن أحمد.

(1) إذا أطلقنا على المذهب المذكور الاسم المدوّن أعلاه (النصيرية) فلأنّهم عرفوا به قبل سنة 1920. وقد أُطلق عليهم إسم العلويين بعد الانتداب الفرنسيي على سورية، بطَـلبٍ منهم، والسبب في ذلك كما يقول غالب الطويل في كتابه: *تاريخ العلويين* ص 488 أن السلطان العثماني سليم الأول في مطلع القرن السادس عشر للميلاد، الحادي عشر للهجرة، قد حرَمهم اسم العلويين. لكن هذا الكلام يتعارض مع المراجع التاريخية والتي يعود بعضها إلى القرن الرابع للهجرة، أي ما يعادل 35 سنة بعد وفاة محمد بن نصير. أنظر مثلاً: *كتاب المقالات والفِرق* لسعد القمي، *وكتاب فرق الشيعة* للنوبختي، *وسلسلة الرجال* للنجاشي، هؤلاء من كُتّاب الشيعة وكتبهم تعود للقرن الرابع للهجرة. عدا عمّن ذكرهم من كتّاب السنّة، كعبد الكريم الشهرستاني وابن بطوطة وابن تيمية. فكانوا يسمون بهذا الاسم قبل العثمانيين.

(2) يجب التمييز بين التقية والباطنية، فالتقية هي طريقة لإخفاء القيام بعبادات بين جماعة غريبة عن الجماعة الدينية التي ينتمي إليها من يمارس التقية، على أنّ ممارسة هذه العبادة تكون جهراً في مجتمعات أو مناطق أخرى. بينما الباطنية فهي

علم وعالمٌ مستقلٌ وقائم بذاته، يعتبر من قبل أتباعه علمٌ خاص بدرجة الإنسان، بينما يعتبرون أن علم الظاهر علمٌ خاص بدرجة الحيوان.

وكان من أتباع أبي الخطّاب، المُفضّل بن عمر الجُعفي، الذي توفي ما بين سنة 167 و170 للهجرة. وقد حمل أتباعه إسم أتباع محمد بن نصير، أو النصيرية، بعد أكثر من قرن من وفاته. فالنصيرية العلوية انفصلت عن الإسماعيلية منذ وفاة الإمام جعفر الصادق، ودليلنا على ذلك أن الإسماعيلية لم تتبنى الكتب المنسوبة للمفضل الجعفي، *ككتاب الصراط*(1) *وكتاب الهفت والأظلّة*(2)، مع العلم أنّ المفضل قد شهد ميلاد المذهب الإسماعيلي كما يطالعنا أتباع هذا المذهب(3) وكما رفضت الإسماعيلية أن تعترف بإمامة موسى الكاظم وبقية الأئمة في مذهب الإثنى عشرية، كما هي الحالة لدى النصيرية، بل تعتبر أن آخر إمام هو إسماعيل بن جعفر الذي توفي حوالي سنة 132 أو 134 للهجرة.

أمّا عن مذهب النصيريـة، فقد دخل التاريخ تحت هذا الإسم منذ النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، وكانت نشأته أولاً في جنوب العراق، حيث ترعرعت أكثر المذاهب الباطنية. وكان مؤسسه أحد أتباع المفضّلية وهو محمّد بن نصير العبدي البكري النميري، ويكنّى بأبي شعيب، ودليلنا على ذلك ما ورد في السورة الرابعة من كتاب المجموع، الذي يعتبر من الكتب المهمّة لدى أتباع المذهب المذكور، وفيه نقرأ ما يلي: "*أحسنَ توفيقي بالله وطريقي لله، وأُحسن سمعي واستماعي من شيخي وسيدي ومرشدي المنعم علي بمعرفة ع.م.س. وهي بشهادة أن لا إله إلاّ علي بن أبي طالب الأصلع الأنزع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمّد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود.* ،

(1) *كتاب الصراط*، يشكل جزءً من المخطوط 1449، القسم العربي، في المكتبة الوطنية في باريس، وأصدرناه في كتابنا مبدأ الثنوية في المذهب العلوي النصيري عام 2008 ، مضمونه مبدأ الثنوية ما بين العالم النوراني الكبير والعالم الجسماني الصغير. وقد استوحى المفضل آراءه *من مذهب منّو سمرتي* الهندي من القرن السادس قبل الميلاد (أنظر ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، لإحسان حقي، الباب الثاني عشر) وكذلك من مذهب المانوية، أتباع ماني الإيراني..

(2) *كتاب الهفت والأظلّة*، طُبِع في بيروت سنة 1960، مع مقدمتين، الأُولى باللغة العربية لعارف تامر والثانية بالفرنسية للأب عبدو خليفة وهو لا يخرج أيضاً في أفكاره عن مبدأ الثنوية...

(3) أنظر المرجع السابق، مقدّمة عارف تامر، المختص بالإسماعيلية، وهو أيضاً من أتباع المذهب الإسماعيلي. أمّا عن المفضل فقد صنّفه النجاشي في كتابه، *الرجال*، الجزء الثاني، تحت رقم 1113، ص 359، بأنه غير موثوق به وعرّف عنه بما يلي" *مفضّل بن عمر، أبو عبدا لله، وقيل أبو محمد الجعفي، كوفي فاسد المذهب، مضطرب الرواية، وقيل أنه كان خطّابياً وقد ذُكرت له مصنّفات لا يعول عليها... والرواة له مضطربون الرواية له"*.

وهذا ما سمعته من سيدي(...) ومعتق رقبتي(...) و والدي الحقيقي(1) أحمد وقد أُلقي إليّ هذا السر العظيم في سنة كذا وكذا وفي شهر كذا ويوم كذا منه، وسمع أحمد من إبراهيم، وسمع إبراهيم من قاسم(...) وسمع حمدان الخصيبي من محمّد بن جندب الجنبلاني الفارسي، وسمع محمد بن جندب من محمد بن نصير العبدي البكري النميري الذي هو باب الحسن العسكري(2)ومن محمد بن نصير أقام النسب والدين"(3). وقد عاش محمد بن نصير في زمن الأئمة: علي الهادي والحسن العسكري ومحمد المهدي ومات سنة 270 للهجرة، /844 للميلاد.

(1) لحظة الولادة الحقيقية عند أتباع هذا المذهب تبدأ عندما يتطلع الفتى على أسرار ديانته، في هذه الحالة يعتبر والده هو الشيخ الذي يقوم بتعليمه. وقد نقل هذا، سليمان أفندي الأضني أو الأُذني في كتابه *التكية السليمانية* والذي طُبع ببيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واعتمد عليه أكثر المستشرقين منهم رينيه دوسو ولويس ماسينيون وغيرهما...

(2) يعتبر أتباع المذهب النصيري أنّ لكلّ إمامٍ بابٌ وهم: 1-الإمام علي(رض.) وبابه سلمان الفارسي 2- الحسن(رض) وبابه قيس بن ورقة. 3- الحسين(رض) وبابه رشيد الهجري 4- زين العابدين (رض.)وبابه عبدالله بن غالب الكابلي 5- محمد الباقر وبابه يحي بن معمّر الثمالي، 6- جعفر الصادق وبابه جابر بن يزيد الجُعفي،7- موسى الكاظم وبابه محمد بن أبي زينب الكاهلي 8- علي الرضا وبابه المفضل بن عمر الجعفي،9- محمدالجواد وبابه محمد بن المفضّل، 10 - الهادي وبابه عمر بن الفرات، 11 - الحسن العسكري وبابه محمد بن نصير. وبما أنّ الإمام الثاني عشر، محمّد المهدي قد اختفى وهو صغير السنّ وليس له باب، فإنّ خاتم الأبواب بالنسبة لهم هو محمّد بن نصير.

(3) انظر *كتاب المجموع* الذي طبعه رينيه دوسو في أطروحته باللغة الفرنسية، *تاريخ وديانة النصيرية*، الصفحات 182 إلى 198، وقد كتب عن محمد بن نُصير، الطوسي في *كتاب معرفة الرجال*، المشهور بـ*رجال الكشي*، صفحة 521 ما يلي: *وقالت فرقة بنبوة محمد بن نُصير، وذلك أنه ادعى بأنه نبي، وأنّ علي بن محمد العسكري (رض) أرسله وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن(عليه السلام) ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول أنه من الفاعل والمفعول به أحدى الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرّم شيئاً من ذلك، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذُكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً، وغلامٌ على ظهره، يريد أنّ الغلام ينكحه، وأنه عاتبه على ذلك، فقال إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبّر، وافترق الناس فيه بعده فرقاً*" وعلى أن هذا

الكلام قد أصاب أيضاً أتباع ماني الإيراني من قِبل بعض المؤرّخين المسلمين، إلا أن البيروني في *كتابه الآثار الباقية من الأمم الخالية*، ص 208 يعتبر أن هذا الكلام لا يمت إلى الصحة بشئ حيث أنه عاشر أتباع مذهب ماني وبالنتيجة أعطى رأيه بهم، وكم من السهل اتهام الآخرين بأشنع الصفات، فبرأينا أنه من الصعب تقبّل هذه الفكرة، وإن كنّا أوردناها فلأننا نعلم أنها منتشرة في بعض الأوساط، ونترك للقارئ تحكيم العقل والمعقول...

دخل المذهب العلوي النصيري بلاد الشام خلال القرن العاشر للميلاد والرابع للهجرة، عن طريق أحد الدعاة الفرس(1) ويدعى محمد بن جندب الجنبلاني. وابتدأ دعوته في مدينة حلب، وكان ذلك في عهد الحمدانيين. وقد اعتنق مذهبه أحد المصريين، واسمه حمدان الخصيبي. وبعد وفاة محمد بن جندب الجنبلاني سنة 340 للهجرة/952 للميلاد، تسلّم الدعوة حمدان الخصيبي، ودخل مذهب بن نصير بفضله إلى منطقة جبل السمّاق (جبال العلويين حالياً) لذلك فهم يدعون طريقتهم بالطريقة الخصيبية الجنبلانية(2) أما الخصيبي فقد توفيً سنة 358 للهجرة/969 للميلاد.

(1) نضيف إلى معلومات القاريء أنّ ابن نصير أيضاً من أصل فارسي وقد كان من موالي بني نمير في البصرة ومن أهم كتبه *كتاب الأكوار والأدوار النورانية*، وقد ذكر منه الطبراني في *كتاب مجموع الأعياد* بعض المقاطع. أمّا محمد بن جندب الجنبلاني فله عدة كتب نشر إحداها هاشم عثمان في بيروت، وهو *كتاب الهداية الكبرى*، ضمن *كتابه العلويون بين الحقيقة والأسطورة*، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1985.

(2) انظر *كتاب التعليم*، السؤال رقم 100، المخطوط 6182 في المكتبة الوطنية بباريس.

الجذور التاريخيـة القديمة للمذهب العلوي النصيري

إن أصـول العقيدة العلويـة النصيريـة تعود إلى مـذاهب وحركات دينيـةٍ مختلفـة، انتشـرت في بلاد الشام وغيرها من بـلدان الشرقين الأدنى والأوسط قبل الإسلام، أقربهم جغرافياً لمنطقـة جبال العلويين كان مذهب نومونيوس الآفامي(من مدينة أفاميا، بقرب مدينة حماه وعلى سفوح جبال العلويين الشرقية) الذي عاش خلال النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، وكذلك من مختلف الحركات الغنوسطية التي نشأت في سورية، وفي فلسطين بالذات، ثم انتشرت في مصر واليونان والعراق وفارس، وكان أشهر وجوهها شمعون الساحر، أبو الهراطقة(1)، وكذلك أخذوا من ديانـة ماني الإيراني، الذي عاش في القرن الثالث للميلاد، كما اقتبس مذهبهم من أتباع الفلاسفة أي أتباع أرسطو وسقراط وأفلاطون والاسكندر الأفريدوسي، حيث ترد أسماؤهم كثيراً ضمن كتبهم الدينية، ك*كتاب التعليم*(2)

(1) أنظر *أعمال الرسل، الإصحاح الثامن*، وانظر أطروحتنـا باللغة الفرنسية، *الإسماعيليون والنصيريـون والدروز فـي ســـوريا*، ص 24-25، عام 1983، وهو شمعون الصفا، واعتبره أتباعه كأول تناسخ للآله، كذلك يعتقد الإسماعيليون والدروز، فيعتبرونه أساساً للمسيح(عليه السلام) أما العلويون فيعتبرونه تناسخاً لله، كما يعتبرون أرسطو أيضاً تناسخا لله كما ورد في*كتاب التعليم*.

(2) انظر *كتاب تعليم الديانة النصيرية* السؤال 43 وجوابه، مخطوط رقم 6182 في المكتبة الوطنية في باريس. والغنطوسية هي ديانة تعتمد على معرفة الله عن طريق العقل والمنطق. وتطالعنا الدراسات الحديثة أن مولدها كان مع شمعونن الساحر، وانتشرت في الشرق الأوسط خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وكان من كبار أقطابها، فلاطن الذي عاش في مصر ونومونيوس الآفامي وسيروس الحمصي ودماسيوس الدمشقي، وكان أكثرهم من عمداء مدرسة أثينا الفلسفية والتي توقّفت بعد عام 527 للميلاد، ويصعب علينا عرض هذا البحث ضمن صفحات هذا الكتاب وللإطلاع أكثر حول هذا الموضوع انظر كتاب*الديانة الغنوسطيه* للباحث هـ. جوناس صفحة 582 باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية. وكتاب *الغنوسطية الخالدة* باللغة الفرنسية للباحثين هـ. كورنيلي و ليونارد. ومن المستحسن علميا عدم تداول المراجع التي طرحت موضوع مذاهب الغنوسطية التي كُتبت حتى منتصف القرن العشرين، لكونها ضعيفة.

ونؤكّد بان الدراسات لهذا الموضوع في المستقبل لا يمكن لها أن تفك طلاسم تلك الديانة التي رافقت المسيحية في الشرق الأوسط كندٍ مهمٍ وخطير إلاّ بالرجوع للمذاهب الباطنية في الإسلام، لكونها الوريث الفكري لها.

والمخطوط رقم 1450 الصفحات 25 إلى 30 في المكتبة الوطنية في باريس(1) والمخطوط رقم 19 من مكتبة كييل في ألمانيا، وكذلك من مختلف مذاهب الديانة المجوسية الفارسية كالكيومارثية والزرفانية والزاراديشتية(2) وأخيراً من مذهب منّو سمرتي الذي ورد ذكره ومن مذهب بتنجلي الهندي الذي عاش في القرنين الثاني والثالث للميلاد(3)

إن أكثر هذه الحركات الدينية الباطنية في الأمة الإسلامية كان مزيجاً من الفلسفة اليونانية والفارسية والسورية والمصرية واليهودية الكبلستية والمسيحية، وقد مزج العلويون كغيرهم من الديانات الباطنية الأُخرى الوجوه الرئيسية في تلك الديانـات، بـآراء تتلاءم مع مـواقـف سياسية أو اجتماعية أو فكرية في عصرٍ معين، استطــاعت هذه الأفكار أن تعبُر الزمن ضمن معتقدات أتباعها. وقد أدخلوا إلى هذه الأفكار الوجوه الرئيسـية في التاريخ الإسلامي فأعطوها وجهاً خيراً أو شكلاً شـريراً، كجميع الحركات الدينية السرية أو الباطنية منذ فيثاغورث الذي يعتبر أول مؤسسٍ لمذهبٍ باطني في التاريخ ليومنا هذا، وحتى الحركات السرية الدينية في العصر الحالي، ففي هذه الحركات وأتباعها نجد بينهم الطيبين والمسيئين. وفكرة الباطنية لم تبدأ بالمذهب العلوي النصيري ولن تنتهي بـه.

وبما أن المذاهب الباطنية بشكل عام قد استمدت فكرتها الفلسفية الدينية من مجموعات مختلفة من الحركات والمذاهب الدينية والفلسفية، التي أوردنا ذكر بعضها، فإن كلاً منها كان قد أثـّر على الآخرين بشكل سطحي أو عميق، وهذه الحالة تـنـطبق بشكل خاص على الفكرة التي تميز بين الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل عند الطائفة العلوية النصيرية، وذلك بتأثـّرهم بالمجوسية أتباع زارادشت، ومن أتباع ماني الإيراني الذي استقطب لمذهبه خلال النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد أتباعاً ما بين مصر والهند. ولقد عمّق العلويون

(1) يوجد ضمن هذه المخطوطة نصاً غير معروف نُسب إلى أفلاطون الورقات 27 حتى 31، ويتعلّق بوصية له لأتباعه كي يتصلوا بالحرّانيين(الصابئة)ولكي يـأخذوا عنهم علم التنجيم.

(2) قارن بين *كتاب تحقيق ما للهند* للبيروني، ص 23-26 *وكتاب الأوسوس*، الجزء الثاني من كتابنا الذي حققناه *في مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*.

(3) انظر الموسوعة الإسلامية باللغة الفرنسية، الطبعة الثانية، مجلد 2، ص 1119

النصيريون هذه الفكرة بتناسخ الخير والشر، مابين (الإله أو الجوهر أو المعنى) وما بين ضدّ الإله(إبليس، أو الأهرمان الفارسي، أو ديابولوس اليوناني)

أما عن مفهوم الإله في معتقدهم، فإنّهم يؤمنون بأنـه تـنـاسخ سبع مرات خلال وجود العالم الجسماني الصغير، أي العالم الذي نعيش فيه، ذلك التناسخ، أي تناسخ الله قد تمّ في عصر آدم بجسد هابيل وفي عهد نـوح بجسد يافث وفي عهد يعقوب بجسد يوسف(1)، وفي عهد موسى بجسد يـوشع وفي عهد سليمان بجسد آساف، وفي عهد عيسى بجسد شمعون الصفا وفي عهد محمّد في جسد علي(2) أمّا عن علي (كرّم الله وجهه) فإن مرتبة الألوهية محفوظة له في حالتين هما: الباطن والمعنى(3) حيث أنهم يعتقدون بأنّ الله حلّ في جسد علي بن أبي طـالب منذ ولادته حتى خلّص عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي، اللاهوت من الناسوت(4) ويرمز لـه بالحرف ع . هذا الحلول تمّ أيضاً سبع مرات في عوالم الصفا

(1) من الملفت للنظر أنّ المذاهب الباطنية الأخرى، تعتبر أن التالي قد تقمّص في عهد إبراهيم بجسد إسماعيل(عليهما السلام)، ولا يذكرون يعقوب ويوسف، ومن المدهش أيضاً، وخلافاً لكافّة المذاهب والطوائف الإسلامية، فإنّ العلويين النصيريين يعتبرون أن إسحق (عليه السلام) هو الذبيح وليس إسماعيل.(أنظر *كتاب الأسوس* في الجزء الثاني) رغماً عن أنّ القرآن الكريم لم يحدّد بالضبط أيّ من أبناء إبراهيم(عليهم السلام) كان سيُذبح.

(2) انظر *كتاب الباكورة* المطبوع في المجلّة الأمريكية للمجتمع الشرقي الجزء الثامن ص 277-78 وانظر أيضاً *كتاب التعليم* السابق الذكر، السؤال الخامس وجوابـه. مع العلم أنّ فكرة تناسخ الإله بهذا الشكل مأخوذة من مذهب المانوية، حيث يرى ماني، مؤسس هذه الديانة بأنّ منقذ البشرية قد تناسخ سبع مرّات عبر التاريخ وذلك بآدم وشيث ونوح وعيسى وبوذا وزارادشت وماني.ولزيادة المعلومات انظر كتاب هنري كربان باللغة الفرنسية، *الغنوسطية الإسماعيلية*.

(3) انظر أبو محمّد عيسى الجسري، *رسالة التوحيد*، الورقات 4-5 من المخطوط رقم 1450 من المكتبة الوطنية في باريس القسم العربي، وهذا نصه: *" قلنا: نشهد أنّ المعنى هو الله ربّ العالمين. قال محمّد بن سنان: على أيّ معنى توحّدون، على أنه مُحتَجَب أم ظاهر؟ فقال:على أنّه ظاهرٌ وهو المعنى المُحتَجِب. فقال : من قال أنّ علياً الظاهر هو الله فقد كفر(...) ومن زعم أنـه يعرف الله بالباطن فقد لحق"*

(4) انظر محمد كرد علي، *خُطط الشام*، جزء 6، ص 272. على أنّ تخليص اللاهوت من الناسوت لا تمتّ بأية صلة بمسألة صلب المسيح، عليه السلام، فعلي ليس ابن الله ولكنّه الله. انظر الشيخ النشّابي في المخطوط 1450 من المكتبة الوطنية في باريس، الورقات 136-37.

النوراني وفي كل مرّة كان الله يتناسخ سبع مرات في عهد كل نبي(1) وتلك العوالم خلقها الله قبل أن يخلق الأرض.

في المرتبة التالية يتبعه الاسم أو الحجاب، النبي محمّد (ص). هذا الاسم يحجب خلفه المعنى، ويسمّى أيضاً بالعقل الفعّال. وقد خلقه المعنى(علي) حسب معتقدهم، من نور ذاته. هذا الاسم أو الحجاب أو العقل الفعّال، يُرمَز له بالحرف م(2).

في المرتبة الثالثة، تأتي درجة الباب، باب الله أو باب المعنى، وهو الصحابي سلمان الفارسي، خلقه الحجاب حسب معتقدهم، من نور نورهِ، أي من محمّد، ويسمّى أيضاً بالسبب القديم، وكذلك بالنفس الكلية ويرمز له بالحرف س. (3)

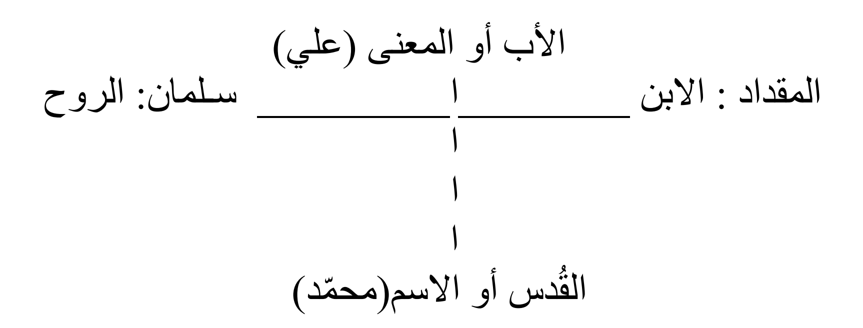
هذا الثالوث يُسمّى:بسر (ع. م. س.) ويعادل (علي – محمد- سلمان) يليهم في الأهميّة المقداد بن الأسود الدوسي، ويحتلّ مرتبة اليتيم الأول، الذي خلقه سلمان الفارسي. وله أيضاً في نظرهم، مرتبة الأم أو مرتبة الأرض، ويستشهدون على ذلك من القرآن الكريم، لقوله تعالى: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم (4) وتارة تكون

(1) انظر المفضّل بن عمر الجعفي،*كتاب الهفت والأظلّة*، ص 34-35.

(2) انظر المخطوطة 1450 المذكورة آنفا الورقة 90، حيث نقرأ ما يلي: ثمّ ظهر عنه هذا العقل المشار إليه بالميم(...) الذي هو حجاب الله والعقل الفعّال.

(3) المصدر السابق، الورقة 25 "*إنّ الباب العظيم والسبب القديم، هو النفس الكلّيّة المُختَرَعة عن العقل الأول الذي هو حجاب الله*" وفي كتاب المجموع، السورة الخامسة، نقرأ مايلي:"*أشهد أنّ مولاي أمير النحل اخترع السيد محمد من نور ذاته وأشهد أن السيد محمّد خلق السيد سلمان من نور نوره*". وفي المخطوط 1450 ورقة 89 يقول النشّابي:" *فهو يحجب ذاته بنوره ويحجب نوره بضيائه، ويحجب ضياءه بظلّه*"، أما عن أمير النحل فهو بنظرهم علي بن أبي طالب، إذ يُشبّهون أتباع مذهبهم بالنجوم التي تنتشر بكثرتها في السماء كالنحل، وأمير تلك النجوم هو الإمام علي.
(4) انظر سورة طه، الآية 55 وانظر *كتاب المجموع*، السورة الخامسة والتي نقرأ منها ما يلي:" *وأشهد أنّ السيد سلمان خلق الأيتام الخمسة...*"

للمقداد درجـة الإبـن "القول النصـارى: باسم الآب والإبن والروح القدس، فـالأب إشـارة إلى المعنى، والقدس إشـارة إلى الإسم، والروح السيد سلـمان، والابن المقداد (1).



وفي حالات أخرى يـمَثّـل المقداد كوكب زحل والذي خلق بـدوره باقي الأيتـام أو بـاقي الكواكب(2) وهم أربعـة: أبو ذرّ الغفاري ويمثّـل كوكب المشتري، وينال مرتبـة اليتيم الثاني، وعبدالله بـن أبي رواحـة، ويمثّل كوكب المريخ وينال مرتبـة اليتيم الثالث، وعثمان بن مظعون النجاشي ويمثل كوكب الـزُّهرة وينال مرتبـة اليتيم الرابع. وأخيراً كندر بـن كـادان الدوسي ويمثل كوكب عطـارد ويـنـال مرتبـة اليتيم الخامس(3).

وإذا رتّبنـا الشخصيات الرئيسية المقدّسـة لدى أتباع المذهب العلوي النصيري بتناسخهم في (الدور المحمّدي)، أو بتعبير آخر، في العصر الإسلامي، فيمكننا وضع ذلك وفق الجدول التالي:

(1) *كتاب نـص الشرائع*، من المخطوط 1450 السابق الذكر، الورقة 110، يقول صاحب الكتاب:" يصحّ توحيد الثلاثـة وتثليث الواحد، ولا فرق ولا فاصل لأنـه شيء واحد متعدّد، فهو عالم مفردٌ وهم أنوار، وما دون ذلك أجرامٌ وأجسام".

(2) هذه الفكرة عن أنّ كوكب زحل هو الذي خلق الكواكب الأربـعة الأخرى، مستعارة من الحركات الغنوسطية القديمة، حيث كانوا يعتقدون بأن كوكب زحل هو الذي خلق الكواكب الأربعة الأخرى وينقل لهم الرموز النورانية، أنظر هـ.كورنيلي و ا.ليونارد "*الغنوسطية الخالدة*"، ص 50. ونعتقد من جانب آخر أن الأصول القديمة لهذه الفكرة أتت من صابئة حرّان، والله اعلم.

(3) مجمل هذه الأفكار متأثرة بالأفلاطونية الجديدة، والغنوسطية والبازلية المصرية والزارادشتية و وريثتها المانوية والصابئة والأديان الهندية. ولقد تأثر بها أيضاً الإسماعيليون والدروز بشكل مختلف . وأساس فكرة وجود العالم بشكل عام كما يراها أتباع هذه المذاهب الثلاثة أتت من الأفلاطونية الجديدة بشكل خاص، وتتلخّص تلك الفكرة كالتالي: أنه لا يمكن للعقل الإنساني أن يدرك الله، وغايـة الإنسان هي الاتحاد بالله. إلاّ انـه عاجزٌ عن ذلك. فخلق الله له العقل الكلّي بإرادةٍ منه، أي كن عقلاً فكان. وخلق العقل الكلي بإرادة خالقه النفس الكلّية والضدّ(إبـليس) فسكن الضدّ الجنوب من الكون أو منطقـة الظلمة، وأنجب قوى الشر المتمثلة بالدخان والعواصف والنار والضباب والريح، وأنجبت النفس الكليّة التي سكنت الشمال أو منطقـة النور قوى الخير الخمسة وهي العقل والذكاء والفكر والإرادة والتأمّـل. ولزيادة المعلومات، راجع أطروحتنا السـابقـة الذكر، ص 13-15 وانظر أيضاً المخطوط رقم 1450 من المكتبة الوطنية في باريس، مناظرة الشيخ يوسف الحلبي المعروف بالنشابي الأوراق 100-102.

1 – الله = علي = المعنى ، رمزه (ع).
2 – محمد = العقل الأول = العقل الفعال = الحجاب، رمزه (م).
3 – سلمان الفارسي = النفس الكلية = الباب، رمزه(س).

1- المقداد بن الأسود اليتيم الأول أو الإبن أو الأرض	2- أبو ذرّ الغفاري اليتيم الثاني أو كوكب المشتري	3 -عبدالله بن أبي رواحة اليتيم الثالث أو كوكب المريخ	4- عثمان بن مظعون اليتيم الرابـع أو كوكب الزهرة	5-قنبر بن كادان اليتيم الخامس أو كوكب عطارد

ينقسم المذهب العلوي النصيري إلى أربعة تيارات، أو إذا صحت التسمية، إلى أربعة مذاهب. وهي تختلف فيما بينها على ما يرمز إليه الثالوث "ع.م.س." بالنسبة للشمس والقمر والسماء والهواء. فتيّار الحيدرية يقتبس اسمه من حيدرة أبي تراب (علي رض.) فيرون أنّ علياً هو السماء التي تضمّ كل شيء، ومحمد(ص) هو الشمس، وسلمان الفارسي هو القمر(1). أمّا تيار الشمالية أو الشمسية فيعتقدون أن علياً هو الفجر الذي خلق الشمس من نور ذاته، والشمس هي محمد، ومحمد خلق القمر من نور نوره، الذي هو سلمان ، ويستندون باعتقادهم هذا على السورة الخامسة من كتاب المجموع(2). وتيار الكلاّزية، أتباع الكلازي (3) فيرون بأن الإمام علي هو القمر(4) والنبي محمّد هو الشمس وسلمان الفارسي هو السماء. وأخيراً طريقة الغيبية أو من يسمَّوْن بعَبَدة الهواء فيعتبرون أن علياً(رض) هو الهواء. وحين تهب الريح يقولون: السلام عليك أبالحسن(5).

يعتقد أتباع الديانة العلوية النصيرية بأنّ لكل رجل دورٌ عابرٌ في الحياة الدنيا، أي العالم الصغير الجسماني، وما الحياة الدنيا بالنسبة لهم إلا امتحان للعبور إلى العالم النوراني الكبير، حيث كانوا يعيشون بين النجوم في الأزمان التي سبقت وجود الحياة على الأرض. وفي تلك الأزمان كانت تعيش عوالم الجن والبنّ والطمّ والرم والجان(6) ويعتقدون أن

(1) انظر رينيه دوسو، *تاريخ وديانة النصيرية*، (كتاب المجموع) ص 188
(2) بعد أن هبطت مركبة الفضاء الأمريكية (أبولو) على سطح القمر في صيف 1969 جرت حادثة طريفة ومؤلمة بآن واحداً في منطقة وادي النصارى بمحافظة حمص، حيث يعيش علويون ومسيحيون في قرى متجاورة. وقد جرت مشاجرة بين علويين من مذهب الكلاّزي ومسيحيين، تحمّلوا مسؤولية تدنيس وجه القمر من قبل إخوانهم المسيحيين في أمريكا، وأدى ذلك إلى شجار من أبناء الطائفتين ذهب ضحيته بعض الجرحى من الطرفين.

(3) أنظر في فصل المراجع الكتب المنسوبة إلى الكلاّزي مخطوط رقم 1450 ، المكتبة الوطنية في باريس..
(4) أنظر محمد كرد علي، *خطط الشام*، جزء 6، ص 268 والملاحظ عند كرد علي أنـه يعتمد في دراسة النصيرية على القلقشندي في كتاب *صبح الأعشى*.
(5) أنظر *كتاب التعليم* السابق الذكر، السؤال 52 وهوامشه بذات الورقة، وقارن بكتاب شريعة منو أو *منو سمرتي*، ترجمة إحسان مقدسي، الباب الثاني عشر.

(6) أنظر *كتاب التعليم*، السؤال 80 *وكتاب الباكورة* ضمن المجلة الأمريكية للمجتمع الآسيوي، المجلّد الثامن 1866، الصفحة 301. وهذه الفكرة اتفقت عليها العديد من المذاهب والحركات الدينية التي عرفتها سوريا في العهد الروماني والبيزنطي، فالحركة الغنوسطية ترى بأنّ درب التبان هو نهرٌ من النار يجب أن تعبره الأرواح، أنظر هـ. كورنيلي و ا. ليونارد، *الغنطوسية الخالدة*، ص 50 و هـ. جوناس، *الديانة الغنطوسية* ص 81. أمّا ماني الإيراني فيقول: إن الإنسان هو سجين جسده المادي، لكنّ نـومونيوس الآفـامي ردّد العبارة ذاتها التي يدين بها النصيريون، منذ القرن الثالث للميلاد. أنظر هـ. بيوش، *بحث في الغنوسطية*، الصفحات 30-48

أرواحهم قد سُجنت في الأجسام البشرية عقاباً لهم، بعدما اقترفوا ذنباً وهو عدم قدرتهم بالتعرّف على المعنى(علي الإله) عندما ظهر لهم متنكّراً بأشكالٍ مختلفةٍ، بصورة الشيخ الوقور والشاب والأسد... فعاقبهم إذ مسخهم بالأجسام البشرية وحكم عليهم بالعيش في العالم الجسماني الصغير. لذلك فهم ينتظرون الدور النوراني الذي يأملون قدومه، فيقولون في ذلك: *" ومتى خلّصنا علي من هذه الكثائف البشرية، ترتفع أرواحنا إلى بين تلك الكواكب المتلاصقة في بعضها، التي هي درب التبّان، ونلبس هياكل نورانية*(1).

أمّا عن الفرائض في هذا المذهب، فهي تختلف اختلافاً كلّياً عن فرائض الأديان والمذاهب المجاورة لها، وبشكلٍ خاص الإسلامية منها. فهم يقومون بفرائض ظاهرة كما يقومون بفرائض باطنية. فالعبادات الظاهرة تتلاءم مع الوسط الديني الذي يعيش ضمنه الفرد العلوي، ففي المجتمع الإسلامي يمارسون العبادات الإسلامية، وفي مجتمع مسيحي يمارسون العبادات المسيحية. وهذا يعتبر بالنسبة لهم تقيّةً، منطلقين من فكرةٍ وهي *: أنهم يعتبرون أنفسهم الجسد، وباقي الأديان والطوائف ما هي إلاّ اللباس، فأي لباسٍ يلبسه المرء لا يضرّه*(2).

لكنّ الفرائض الباطنية، وإن كانت مُقتبسة من أركان الإسلام، إلا أنها تختلف اختلافاً تامّاً. فصلاتُهم عبارة عن أربعة قدّاسات(3) وهي قدّاس الطيب، وقدّاس البخور، وقدّاس الآذان، وقدّاس الإشارة(4).

والزكاة تُدفع لرجال الدين، المشايخ، وهي تعادل خُمس دخل الفرد (5). ويستبدلون زيارة البيت الحرام (الحج) بزيارة مقابر رجال الدين التي تسمّى بالمزارات (6).

(1) انظر *كتاب الباكورة*، المصدر السابق، ص 298.

(2) وجود القدّاسات في العبادات النصيرية دعت الأب اليسوعي هنري لامنس لكتابة مقاله: *النصيريون هل كانوا نصارى*؟وذلك في مجلة "دراسات" الفرنسية، عام 1923. لكن هذا المقال لم ينل أية مكانة علمية لسببين، أولاً لأن الأب اليسوعي أراد نشر المسيحية بين صفوف الطائفة العلوية خلال الانتداب الفرنسي على سوريا، ولأنّ المقال كبحث علمي لا يمت إلى الواقع مطلقاً.

(3)انظر *كتاب الباكورة*، المصدر السابق، ذات الصفحة.
(4)انظر ذات المصدر الصفحات 274-282
(5) انظر *كتاب التعليم*، السؤال 101
(6) انظر أطروحتنا السابقة الذكر صفحات 48-49

لقد أصبح الباب موصدا اليوم، أمام كل من يريد اعتناق المذهب العلوي النصيري، إن لم يكن مولوداً من أبٍ وأمٍ نصيريين، ما خلا الفرس، حيث يفيدنا سليمان أفندي الأذني (أو الأضني) في كتابه، *الباكورة*، بما يلي:

" ولا يقبلون أحداً من الطوائف الغريبة إلا إذا كان من أهل العجم، لأنّ أهل العجم يعتقدون بألوهيّة علي بن أبي طالب"(1).

يجب أن نضيف، بأنّ النصيريين العلويين لا يفشون أسرار ديانتهم "النسائهم" *لأنهم يعتقدون بأن الله خلق لهم النساء من ذنوب الأبالسة"* (2) ولذلك أيضاً فهم يرون أن النساء ناقصات العقل.

ومن الملفت للنظر، فإن استشهادهم بالإنجيل والفلاسفة يتكرّر في أكثر كتب العقيدة. وهذا لا يعني مطلقاً أن عقيدتهم خليطٌ من دياناتٍ مختلفةٍ، بل هي ديانة منفردة كلياً عن الديانات السماوية كلّها. ويمكن تصنيفها من بين المذاهب الوارثة للفلاسفة في العصر الهلنسي والتي انتشرت بشكل واسعٍ في مصر وسوريا ولبنان، بعد التزاوج الفكري الذي نتج عن لقاء الفلسفة اليونانية بالفكر الديني في سورية. وهي أيضاً تشكل تياراً من تيارات الديانات الفارسية التي سبقت الإسلام، كالزارادشتيه والمانوية والمجوسية.

(1) أنظر *كتاب الباكورة*، ذات المصدر، ص 293. يجب أخذ العلم بأنّ الدرزية قد أوصدت نهائياً باب اعتناق مذهبهم منذ وفاة حمزة بن علي بن أحمد مؤسس المذهب.

(2) أنظر رينيه دوسو، ذات المصدر، الصفحات 70-73

إن الغاية من نشر هذه المخطوطة، وبكل بساطة وصراحة، وضع أوراق جميع الطوائف المخبّأة أمام أعين المواطنين جميعاً، الأكثرية الساحقة من أبناء سوريا يقرأون ويكتبون، والذين يضعون مصلحة الطوائف قبل مصلحة الوطن سيظلّون على عنادهم وتعصّبهم، والذين يرون أنّ مصلحة العيش بسلام على تراب الوطن سينظرون لهذا الأمر ببصيرتهم أكثر مما ينظرون بعيونهم.
هذا الكُتيّب هو المخطوط رقم 6182 ، القسم العربي من المكتبة الوطنية في باريس، يتألّف من 39 ورقة، وهو مقسوم لقسمين، القسم الأول يتألفّ من مئة سؤال وجواب، قدّم له لأول مرة وترجم بعض أسئلته وأجوبته إلى اللغة الألمانية الدكتور "فولف" في ZMGD دورية المجلّد الثالث، الصفحات 303 إلى 309 من عام 1849
ونقل منها عبد الحسين مهدي العسكري في كتابه *"العلويون أو النصيرية"* قِسماً غير متكامل، حيث أنه كان يبغي ما نسميه "بفضح الباطنية"، وليس النصح للجهلاء، ونشك بأنّ مؤلف الكتاب وضع اسمه الحقيقي.
لسنا لنتوقف الآن عند درجات التعليم في المذهب العلوي النصيري، فقد أوفيناها دراسة للقارئ الكريم في الكتابين الذين أصدرناهما منذ زمن غير بعيد، وهما: *"مدخل إلى المذهب العلوي النصيري" و "مبدأ الثنوية في المذهب العلوي* النصيري". ولكن هذه المخطوطة كانت موجهة للمبتدئين الذين ولِدوا في المذهب، وربما لا يزال عند البعض أو ربما الكثير يُستخدم كنقطة انطلاق في التعصب المذهبي والطائفي، وإذ نقوم بإصدارها الآن فنحن نتوجه بنشره أولاً للواعين من أبناء الطائفة العلوية النصيرية وكذلك للتاريخ وأمام جميع أبناء الوطن العربي السوري، عسى أن نكون قد ساهمنا في نشر بعضٍ من الأفكار القوية التي تجعل أكثر أبناء تلك البقعة من الأرض متربصين ببعضهم دون شفقة، وتاريخ سوريا المعاصر أكبر دليل على ذلك.

فالمرشح أو التلميذ الذي سيجيب على هذه الأسئلة في هذا الكتاب وفي هذه الدرجة من درجات التعليم التي تُسمّى الرضاعة، يجب أن يكفله شخصان من عائلته وممن حظيا بالاطلاع على أفكار المذهب، كذلك يلزمه كفيل من بين المشايخ لا صلة له بعائلته، وفي هذه الفترة يعتبر الشيخ الذي يمتحنه أبوه الحقيقي، حيث أنّ الاطلاع والدخول في المذهب هي ولادة جديدة(1).
أمّا عن المخطوطة من حيث الشكل فيمكن أن نقدّر أنه تم نسخها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو بداية القرن التاسع عشر، وبرأينا أنه تمّت كتابتها حديثاً بالنسبة للكتب الدينية للمذهب النصيري، حيث لم يرد ذكرها في كتب أخرى كما هي حالة كتاب الأسوس الذي نشرناه منذ أعوام، وأوفينا في الصفحات الأخيرة منه الكتب والمصادر في مذهب النصيرية والتي تتعدّى الستين كتاباً ورسالة. ثم أننا وجدنا أن الناسخ يستخدم حرف "س" بدلاً من سؤال وحرف "ج" بدلاً من جواب، ونظن أنّ هذا الاستخدام حديث، ومما لا شك به أنّ المضمون مأخوذ من كتاب *الهداية الكبرى* لحمدان الخصيبي والذي طبعه هاشم عثمان في بيروت، عام 1985، ضمن كتابه *"العلويون بين الأسطورة والحقيقة"* .

إنّ الغاية من نشر هذه الكتب الباطنية قبل كل شيء، هي وضع أوراق جميع الطوائف والمذاهب أمام أعين الجمهور بدون استثناء حتى يعلم كل فرد في أي مجتمع يعيش ومع من يتعامل، وكيف سيرفض ذوي العقليات المتفتّحة تربية للنفس الإنسانية كهذه التربية، كما سنرى في مضمون هذا الكتيّب.

(1) أنظر كتاب المجموع، السورة الرابعة، والمنشور في كتاب تاريخ وديانة النصيرية
René DUSSAUD, *Histoire et religion des Nosairis*, P.166

فاتحة الكتاب

بسم المعنى القديم والاسم العظيم والباب المقيم(1) وهو الله الرحمن الرحيم. اللهمّ يا عنصر العناصر وجوهر الجواهر، يا سرّ السرائر وعالم ما في الضمائر، الظاهر من عين الشمس، القابض على كل نفس، إننا نحمدك على ما أوحيته لنا من سرائرك الإلهية وأظهرته لنا من نور أنوارك الشعشعانية، كما نحمدك حمداً سرمدياً على ما علمتنا إيّاه من حقائق دينك القويم الكائن بمعرفة معناك القديم واسمك العظيم وبابك المُقيم المتّحد بك والموجود فيك الذي لا يتجز(أ) ولا يتبعّض ولا ينفصل عنك، وفي ظهورك العجيب في عبدك عبد النور الذي حللته وكرّمته لأوليائك العارفين بك، حلالاً طلقاً، وحرّمتَه على أعدائك الجاحدين المنكرين لك حراما(وردت حرام) نصّاً (2). اللهم إنّا نحمدك حمداً لا نهاية لآخره على أنعامك هذا العظيم وفضلك العميم إلى دهر الداهرين.
أمّا بعد، نبتدئ بكتابة التعليم، وهو هذا ويتلوه المشيخة والعقاد...

س1– مَن هو ربنا الذي خلقنا ؟
ج – هو مولانا أمير المؤمنين أمير النحل(3) علي بن أبي طالب، وهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.
س2– من أين نعلم أنّ مولانا أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب هو الله ؟
ج– من شهادته ووصفه لنفسه في خطبة له مشهورة نطق بها على المنبر أمام كافة مَن حضر وعلِمَها أهل العقل والنظر، فقال: أنا عندي علم الساعة وعليّ دلّت الرسل

(1) المعنى القديم هو علي بن أبي طالب، والاسم العطيم، هو النبي محمد(ص) والباب المقيم هو سلمان الفارسي.
(2)عبد النور يعني الخمر، أنظر السؤال 91 وجوابه. والجاحدون المنكرون هم المسلمون بشكل عام.
(3) يشبّه النصيريون أنفسهم بالنحل، ويعتبرون علياً أميراً للنحل.

وبتوحيدي نطقت وإلى معرفتي دعت. أنا سمّيتُ أسماءها وأسطحت أرضها وأرسيتُ جبالها وأجريتُ أنهارها وأخرجت أثمارها، أنا غسقتُ الغسق، أنا أطلعتُ شمسها وأنرتُ قمرها، أنا خلقتُ الخلق وبسطت الرزق، أنا ربّ الأرباب ومالك الأرقاب، أنا العلي العلاّم، أنا قرم من حديد، أنا المبدي المعيد، أنا أولجتُ عيسى في بطن أمّه إيلاجا، أنا أرسلتُ الرسل ونبأتُ النبيين.

س3– مَن دعانا إلى معرفة مولانا أمير المؤمنين؟

ج– رسوله محمد صلعم، كما قوله في خطبة بيعة الدار: اسمعوا الآن ما أقول لكم وإياكم تشكّون، اعلموا أني أدعوكم إلى علي بن أبي طالب كما أدعوكم إلى الله عزّ وجلّ، إلا أنّ عليا مولاي ومولاكم لأنكم أخواص أنصاري. أقول لكم كما قال عيسى بن مريم للحواريين: نحن أنصاراً إلى الله (1) فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فأيّدْنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحو ظاهرين. فهم شهود الله ونقباؤه، وأدعوكم إلى علي، على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين، أدعوكم إلى علي بأمر(وردت بأمرا) منه وإياكم الريب، ألا أنّ نبوّتي تحل ولاية علي، لأن علي الذي نبّأني إليكم وهو الذي خلقني من نور ذاته وهو ربي وربّكم وخالقي وخالقكم، فاتقوه و(أ)طيعوه ووحدوه وسبحوه وقدّسوه واعبدوه، لأنه هو الله الذي لا إله إلا هو، إلى آخره.

س4– إذا كان مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو الله، فكيف تجانس مع المتجانسين؟

ج– إعلم أنّ مولانا أمير المؤمنين لا يتجانس مع المتجانسين، بل أنه احتجب بمحمد في كوره ودوره وتسمّى عليا.

س5– كم مرة احتجب مولانا وظهر بالإنسانية؟

ج– إحتجب سبع مرات(وردت سبعة) ففي الأولى احتجب في آدم في كوره ودوره، وتسمّى هابيلا، وفي الثانية في نوح وتسمّى شيثا، وفي الثالثة في يعقوب وتسمى

(1) الآية القرآنية الكريمة تقول: كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَن أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله إليك، سورة الصف، الآية 14.

يوسف وفي الرابعة بموسى وتسمّى يوشعا وفي الخامسة بسليمان وتسمّى آصفا، وفي السادسة بعيسى وتسمى شمعونا، وفي السابعة أخيراً بمحمد وتسمّى عليا، وهو خالي من الأسماء التي تسمّى بها(وردت الذي تسمّى بهم) وهم لا يخلون منه.

س6– كيف احتجب مولانا في الحجب في كورهم ودورهم وظهر بالإنسانية؟

ج– إعلم أن سرّ الاحتجاب سرّ عظيم لا يعلمه سوى الله وحده، كقوله تعالى: فلا يعرفون منّي إلا ما حملته قلوبهم وعاينته أبصارهم واحتملته عقولهم.

س7– هل أنّ مولانا أمير المؤمنين يحتجب ويظهر بالعالم مرة أخرى؟

ج– يظهر من دون احتجاب في آخر الزمان بمجد وبهاء عظيم ويخلّص أرواح المؤمنين من قبورها التي هي قمصانها اللحمية ويجعلها أن تسكن بالأنوار الأبدية(1)

س8– ما هو الظهور الإلهي ؟

ج– هو ظهور الباري بواسطة الحجب بالإنسانية وألطف غلاف في جوف غلاف.

س9– فسّر لي قولك هذا وكيف مولانا ظهر بالإنسانية ؟

ج– إعلم أنّ المعنى دخل بالباب واحتجب بالاسم وتسمّى به كما قال مولانا جعفر الصادق، علينا من ذكره السلام، اذكروا الله حق ذكره واذكروا اسمه وبابه.

س10– ما هو الاسم والمعنى والباب؟

ج– هو ثالوث غير منفصل تدل وحدانيته على ألوهية(وردت الهية) مولانا، ولهذا نقول بسم الله الرحمن الرحيم، فلفظة الله تدلّ على المعنى، ولفظة الرحمن الرحيم تدل على الاسم والباب.

س11– كيف المعنى اخترع الاسم وكيف الاسم اخترع الباب؟

ج– إعلم أنّ عنصر العناصر وجوهر الجواهر قد اخترع الاسم من نور وحدانيته وجعله نوراً منجبلا من جوهر معنويته وحركة من سكونه واصطفاه(وردت واسطفاه) وسمّاه باسمه واجتباه ولم يكن له ربٌّ سواه وجعله وحده الخالق ولسانه الناطق وأقامه

(1) النصيرية لا تؤمن بالجنة بمفهوم الديانات السماوية، ولكن تؤمن بأن أرواحهم ترتفع إلى بين تلك الكواكب المتلاصقة في بعضها التي هي درب التبّان وتلبس هياكل نورانية (*أنظر كتاب الباكورة من الدورية الأمريكية للمجتمع الأسيوي، ص. 301)*

بالأمر العظيم والسبب القديم، وجعله دائرة الوجود ومحراب السجود بأمر العلي المعبود وقال له: كن مسبب الأسباب ومبوب الأبواب. فعندها الحجاب خلق الباب بأمر مولاه، وأمره أن يخلق العوالم العُلْوية والعوالم السفلية.

س12– هل أن الباب والمعنى ينفصلان عن الاسم؟ (وردت ينفصلوا من الاسم)

ج– كلا بل إنهما متصلان به (وردت إنهم متصلين إليه) كما قال تعالى في خطبة الأوهام وتحياته الزكية عن(وردت على) حجابه المتّصل ولا عنه منفصل.

س13– ما هي الأسماء المتعلّقة بالمعنى والإسم والباب وكيف تُقسّم؟

ج– إن الأسماء المتعلّقة بالمعنى والإسم والباب تقسم إلى مثلية وذاتية وصفاتية. فالمثلية المعنى، والذاتية الإسم، والأسماء الصفاتية هي التي تسمّى بها الاسم وهي للمعنى خاصة، كقولنا: الرحمن الرحيم، الباري...

س14– أخبرني عن الأسماء الثلاثة وستون، المثلية المعنى والذاتية الاسم وهي التي (وردت الذي) قام فيها في النبوة والرسالة؟

ج– إعلم أنّ هذه الأسماء المثلية المعنى والذاتية الاسم هم سيدنا آدم وأنوش وقينان ومهلاييل ويارد وإدريس والمتوشلح ولمك ونوح وأرفخاد ويعروب وهود وصالح ولقمان ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإلياس وقصي وإسحاق ويعقوب وشعيب وموسى وهارون وكولب وحزقيل وشومئيل وطالوت وداود وسليمان وأيوب ويونس وأشعيا واليسع والخضر وزكريا ويحيى وعيسى ودانيال والإسكندر والأردشير وسابور ولؤي ومرة وكلاب وقصي وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب وعبدالله ومحمد المصطفى والحسن المجتبى والحسين الشهيد بكربلاء وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري والإمام محمد بن الحسن الحجي القائم المهدي البشير النذير المؤمل المنتصر صاحب العصر والزمان، علينا من فضل ذكرهم السلام.

س15– ما هي الأسماء الصفاتية التي تسمّى بها الاسم وهي للمعنى خاصة؟

ج– إعلم أنّ الأسماء الصفاتية التي تسمّى بها الاسم وهي للمعنى خاصة هي الرحمن الرحيم البارئ المصوّر الفاطر الأول الآخر الباطن الظاهر الملك العزيز الجبار المتكبر المؤمن السلام المهيمن القادر السميع البصير العليم الحكيم القوي الشديد الغني الحميد المبدي المعيد الواحد الخالق المنّان الديان الخبير القدير المنير السراج العلي المولى الكبير القديم سبحانه وتبارك الحمد.

س16– ما هي أسماء الاسم في اصطلاح اللغة؟

ج– أسماء الاسم في اصطلاح اللغة هي أحمد محمّد المصطفى الأمّي الأمين الدليل العاقب الناجي الحاشر الباعث، الحواميم الثلاثة الطواسين الثلاثة كهيعص ألم ألمص الر طه التين الزيتون المزمّل المدّثر ص ق ن المجيب، وفي التوراة ماد الماد الوفي الأمين وفي الإنجيل الفرقليط وفي الزبور مهيمنا وفي القرآن محمد.

س17– أخبرني عن أسماء الإسم في التسعة الذاتية.

ج– إعلم أنهم آدم ويعقوب وموسى وهارون وسليمان وعيسى وعبد الله ومحمد رسول الله ومحمد بن حسن الحجة.

س18– أخبرني عن أسماء الاسم في الأظلة(وردت الأضلة)

ج– إعلم أنّ أسماء الاسم في الأظلة هي المشيئة والفطرة والعلم والقدرة واللطف الخفي.

س19– أخبرني عن أسماء الاسم في القبة الابراهيمية.

ج– أسماء الاسم في القبة الابراهيمية هم: إبراهيم وإسماعيل وإلياس وقصي وإسحاق.

س20– أخبرني عن أسماء الاسم في القبّة الموساوية.

ج– إعلم أنهم موسى وهارون وشير وشبير ومشير.

س21- ما هي أسماء الاسم في القبة المحمدية؟

ج– هم محمد وفاطر والحسن والحسين ومحسن.

س22- ما هي أسماء باب الله العظيم الجليل الكبير المنير المطوّق بالنور؟

ج – هم سيدي جبرائيل ويائيل وحام ودان وعبدالله وروزبه وسيدنا سلمان الفارسي، علينا من ذكرهم السلام، وسفينته أبو(وردت أبي) عبد الرحمن وهو قيس بن ورقة الرياحي ورشيد الهجري وكنكر أبو خالد وهو عبدالله بن خالد الكابلي ويحيى بن معمّر بن أم الطويل التمالي وأبو الطيبات محمد بن أبي زينب الكاهلي وهو البزاز والموصلي والمفضّل بن عمر الجعفي وعمر بن الفرات (وردت الفراة) الكاتب والسيد أبي شعيب محمد بن نصير وسلسل وسلسبيل ودحية بن خليفة الكلبي وسيدتنا أم سلمة المخوّلة بالأنعام الدالة بولايتها على ظهورات المعنى والاسم والباب.

س23– أخبرني عن أسماء أشخاص الباب في كتب أهل التوحيد.

ج– إن أسماء أشخاص الباب في كتب أهل التوحيد هم: الكرسي، الماء، السماء، الباب، الروح الأمين، روح القدس، رب الناس، جبل الطور، سين، الغراب، الفلك، الناقة، العصاة، الحاتم، النملة، الهدهد، الكالي، المهدي، العرش، سلسل سلسبيل، دان، القدوم، الصّور، السور، الخلق، الشراب، الشاه، الدلو، السبب، الكوثر، الميزان، العدل، القسط، البرهان، البيان، الداعي، المنادي، السبيل، البشير، النذير، النور، القمر، النية، النصير، المسجد، الحية، الرسول، النبي، الحفيظ، أخو يوسف، السفينة، سبحان العليم، اللوح والقلم، سارق الصاع، سفراء البقرة، جبرائيل علينا منهم السلام، هذه هي أسماء الباب الرمزية في كتب أهل التوحيد.

س24- أخبرني عن أسماء الباب في الستة مقامات الروحانية.
ج– إعلم أنّ اسماء أشخاص الباب في المقام الأوّل: جبريل عليه السلام وأيتامه، ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان.
س25- أخبرني عن أسماء أشخاص الباب في المقام الثاني.
ج– إعلم أنهم يائيل بن فاتن وأيتامه، أفقيل وأفراقون وكينان وأفريق وأفريقيا.
س26– أخبرني عن أسماء أشخاص الباب في المقام الثالث.
ج- إعلم أنّ أسمائهم في المقام الثالث حام بن كوش وأيتامه، يهودا وهيروش ومالك وهملك وأنقيل.
س27– أخبرني عن أسماء أشخاص الباب في المقام الرابع.
ج– أسماؤهم دان بن أصبا ولوط، وأيتامه يهودان وهيروق وعبدالله وإسرائيل وعمران.
س28– أخبرني عن أسم الباب في المقام الخامس.
ج – إعلم أنه عبدالله بن سمعان وأيتامه شعيرا وشتلح وهرشة ومسقول وأشرا(1)

(1) بعض هذه الأسماء واردة في كتاب *العهد القديم* من الكتاب المقدس، وبعضها لم نهتدِ لأُصولها.

س29– أخبرني عن إسم الباب في المقام السادس.
ج– إعلم أن اسمه روزبه، وأيتامه يوحنا فم الذهب ويوحنّا الديلمي وبولس وبطرس ومتّى، عليهم أفضل السلام.
س30– أخبرني عن أسماء أشخاص الباب في القباب البهمنية(1).
ج– إعلم أنّ أسماء الباب في القباب البهمنية هم سيراوٶس، أردوان، كتانة، جم، قياد، فيروز، أنوشروان، يزدان شاه، يور، بهرام، جورا، فريدون، دوشه، شاهمدان، يزرجمهر، شهريار، جيل، جيال، خددان، روزبه، تركان.
س31– ماذا يُدعى الباب؟
ج– إنه يُدعى أيضاً النفس الكلّية، روح القدس جبرائيل، ويُسمّى العزيز الأعلى سلمان.
س32– أخبرني عن أسماء الباب في الأحد عشر مطلعا التي مَنَّ الله علينا بمعرفتها وأوصلنا إلى حفظها.
ج– إعلم أنّ أسماء الباب وأيتامه في المطلع الأول: سيدنا سليمان وهو روزبه بن المرزبان الفارسي، ومَن كناه أبو الطاهر وأبو اليقين وأبو عبد الله وأيتامه: المقداد بن عمر ابن عثمان ابن الأسود الكندي، وأبو الذر جندل بن جنادة بن سكن الغفاري وعبدالله بن رواحة الأنصاري، وهو في الظاهر أخو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله من الرضاع، وعثمان بن مظعون النجاشي الهلالي، وهو رضيع مولانا أمير المؤمنين، عزّة الأول، وقنبر بن كادان الدوسي، وهو عبد مولانا أمير المؤمنين، منه الرحمة، ما عُرِفَ له أبٌ(وردت أبا)، ولا ردّ له في الظاهر نسب (وردت نسبا).
س33– أخبرني عن أسماء الباب وأيتامه في المطلع الثاني.
ج– إعلم أنّ أسماء الباب وأيتامه في المطلع الثاني هو أبو عبد الرحمن، قيس بن ورقة الرياحي، ويُكنّى بأبي المصابيح، ولقبه "سفينة" صلوات الله عليه. وأيتامه: صعصعة بن صوحان العبدي، وزيد بن صوحان أخوه، وعمّار بن ياسر تراب رسول الله وآله،

(1) هذه أسماء لشخصيات تاريخية في الأمبراطورية الفارسية قبل الإسلام، ملوك ووزراء وحكماء. *أنظر تاريخ الطبري،الجزء الأول والثاني.*

هو الذي قال فيه: عمّار جلدة بين عيني تقتله هذه الفئة الباغية لا أنالها الله شفاعتي، ومحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن عثمان، ومحمّد بن أبي حُذيفة.
س34– ما هي أسماء الباب وأيتامه في المطلع الثالث؟
ج– إسمه(وردت إسمهم) أبو العلاء الرشيد الهجري، ويُكنّى (وردت يكنا) بأبي الناميات، صلوات الله عليه، وأيتامه عمر بن الحمق ابن محمد بن صفوان الخزاعي والحارث الأعور الهمداني وميتم التمّار النهرواني وحجر بن عدي الكندي والاصبع بن نباتة الطائي.

س35- ماهي أسماء الباب وأيتامه في المطلع الرابع؟
ج– اسمه أبو خالد عبدالله بن غالب الكابلي، ولقبه كنكر، ويُكنّى بأبي التحايا، صلوات الله عليه، وأيتامه: سعيد بن المسيّب وحكيم بن جبير وجابر بن عبدالله السلمي الأنصاري والقاسم وحبيب بن محمد بن أبي بكر.
س36– ما هي أسماء الباب وأيتامه في المطلع الخامس؟
ج– اسمه يحيى بن معمّر ابن أم الطويل التمالي، صلوات الله عليه، وكان في الظاهر ابن داية مولانا علي بن الحسين عزّ وجلّ(1)، يُكنّى بأبي الحسين، وأيتامه يحيى بن أبي العقب التمالي وأبي حمزة ثابت بن أبي صفية التمالي وكميل بن زياد وقرة بن أحنف وحمدان بن أعين.(2)
س37– ما هو اسم الباب في المطلع السادس؟
ج– إسم الباب في المطلع السادس هو أبو محمد جابر بن يزيد الجُعفي، صلوات الله عليه، ويكنّى بأبي التحف، وأيتامه فرات بن أحنف وحمران بن أعين وجابر بن يحيى المعمراني وبنات بن المغيرة وميمون بن إبراهيم التبّان.
س38– ما هي أسماء الباب وأيتامه في المطلع السابع؟

(1) نذكّر القارئ، بأنّ النصيرية تعتقد بتناسخ الإله في جسد علي(رض) ومن ثمّ ينتقل التناسخ في أولاده وأحفاده.
(2) هذه الشخصيات التاريخة كانت قد أخذت جانب الإمام علي(رض) خلال الفتنة الكبرى ومن وعدوا الحسين رضي الله عنه بالنصرة وخذلوه حتى استشهد في كربلاء، ومن ثم أولادهم وأحفادهم.

ج– اسمه أبو اسماعيل، محمد بن إسماعيل ابن أبي زينب الكاهلي والبزاز الموصلي، ويُكنّى بأبي الطيبات، صلوات الله عليه، وأيتامه إسماعيل وولده وأبو محمد فيان بن مصعب العبدي وبشار الشعيري والمعلا بن خنيس وأبو أيوب القمّي.
س 39 – ما هي أسماء الباب وأيتامه في المطلع الثامن؟
ج – اسمه أبو عبدالله المفضّل بن عمر الجعفي، ويُكنّى بأبي الزكيات(1) صلوات الله عليه، وأيتامه أبو أيوب القمّي ويونس بن ظبيان(وردت ضبيان)الصخري وأبو الغص حجي وهو ثابت بن الدكين ويحي بن يزيد وأبي الغمر الثمالي.
س40– أخبرني عن أسماء الباب وأيتامه في المطلع التاسع.

ج– إسم الباب في المطلع التاسع، أبو جعفر محمد بن المفضّل ابن عمر الجعفي، ويُكنّى بأبي الطيبات، صلوات الله عليه، وأيتامه أسد بن إسماعيل والحر النخّاس للدواب وصالح بن عبد القدّوس ومحمد بن عبدالله الهرتمي وقيل عبدالله بن محمد الهرتمي وعلي بن عبدالله الملك القمي.

س41– أخبرني عن اسم الباب وأيتامه في المطلع العاشر.

ج– إعلم أن اسم الباب في المطلع العاشر، أبو القاسم عمر بن الفرات الكاتب، ويُكنّى بأبي السهل، صلوات الله عليه، وأيتامه الحسن ووهب إبنا قاران، وخالد بن أبي الأشعة ونصر بن سلام ومحمد بن عمر الكناسي.

س42– أخبرني عن أسماء الباب(وردت الاسم) وأيتامه في المطلع الحادي عشر.

ج– إعلم أنّ اسم الباب في المطلع الحادي عشر، أبو شعيب، محمد بن نصير البكري النميري العبدي(2) صلوات الله عليه، ويُكنى بأبي القاسم، ومن كناه العربية أبو طالب وأبو الحسن، وأيتامه نجد بن جندب وعلي ابن أم الرقاد وقادويه الكردي وإسحاق بن عمار الكوفي وأحمد بن محمد بن الفرات الكاتب، على جميعهم أفضل

(1) المفضل هو مؤسس مذهب المفضّلية وهذا المذهب حمل بعد أكثر من قرن إسم النصيرية، أنظر كتابنا، *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*.

(2) المذهب النصيري حمل اسم ابن نصير المذكور.

الصلاة والسلام(1)

س 43 – أخبرني عن أسماء مولانا أمير المؤمنين بسائر اللغات المختلفة مع تفصيلها ومعناها.

ج – إعلم أنّ العرب سمّت مولانا أمير المؤمنين علياً، وسمّيَّ الأنزع البطين وبيضة الوادي وأصلع قريش، وسمّته أمّه حيدرة، وسمّاه أبوهُ زيد والصميدع وظهيرا، وسمّاه النبي صلى الله عليه وسلم رجلا، وسمّاه عمه المقوّم بن عبد المطّلب الصلصال، وسمّته دايته ظهيراً وميمونا ومجمع ميمون، وسمّته جدته خبيرا، وسمّاه أخوه جعفر رضياً، وسمّاه الراهب الناموس الأعظم وشمعون الصفا(2) وسمّى نفسه على المنبر أرسطوطاليس، واسمه في التوراة باريا(3) واسمه عند الهند كنكرة(4) واسمه في الزبور أرّيا(5) واسمه عند الروم بطرسيا، واسمه عند الفرس باريّا واسمه عند الزنج حبينا واسمه عند الحبشة تبريك وسمته الأرمن أفريقا، وسمّته العامة والخاصة الدرياق. وقال في بعض خطبه: أنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، وسمّته الديلم هو(6) وكان سلمان يقول في دعائه: يا هو يا هو يا مَن لا يعلم ما هو إلاّ هو، ومن
أسمائه سبحانه وتعالى التي(وردت الذي) تدعوه به الأمم الذين كانوا في الدار قبل

(1) أكثر هذه الأسماء وردت ترجماتهم في كتب الشيعة الإمامية *بسلسلة كتب الرجال*، الطوسي والكشي والنجاشي، وهم بشكل عام منبوذون من كتّاب الشيعة الإمامية ويعترون من الغلاة وقد تبرّأ الأئمة الإحدى عشر منهم، أنظر كتابنا، *مبدأ الثنوية في المذهب العلوي النصيري*، كذلك توجد ترجمة بعض هذه الأسماء في *كتاب الفهرس* للنديم الورّاق وعند الشهرستاني في *كتاب الملل والنحل*.

(2) شمعون الصفا إمّا أن يكون سيمون الساحر الذي ورد ذكره في *كتاب العهد الجديد*. وهو مؤسس الحركة الغنوسطية، وأمّا أن يكون القديس بطرس، (أنظر أطروحتنا باللغة الفرنسية "الإسماعيليون والنصيريون والدروز في سوريا" صفحات 24 – 26)
(3) باريا هو أحد رؤساء قبائل بني إسرائيل الاثني عشر وهو من سلالة بنيامين أخو يوسف، *أنظر موسوعة الكتاب المقدّس باللغة الفرنسية*، الجزء الثاني، ص. 1448.
(4) الشرح الوحيد الذي وجدناه لهذا الاسم هو معبد في الهند، أنظر البيروني، *تحقيق ما للهند*، ص 99.
(5) من الذين ساهموا بإعادة بناء أورشليم بعد أن هدّمها بختنصّر. أنظر *الكتاب المقدّس باللغة الفرنسية*، الجزء الأول، ص.874.
(6) اسم إحدى السلالات التي حكمت إقليماً من إيران، قريب من شط العرب.

البشر، وهم الجن والبن والطم والرم والجان والجن(1) وقوله جلّ من قائلُ أخبارا عنهم، أنّا كنّا ندعوه من قبل هو البر الرحيم، فهذان(وردت فهذين) من أسمائه التي كان يدعوه بها من أسميناهم من هؤلاء العوالم الخمسة. ولله تعالى أسماء كثيرة لا تُحصى ولا تَعد من وقت إبداء العوالم إلى وقت عالمنا هذا لم يُسمّى بها غيره، وله في القرآن تسعة وتسعون إسماً، منها المسيح المقدّس، الثاني، الشاكر، الذاكر، الحامد، المصلّي، وما أشبهه، وهذه الأسماء وهي معروفة مشهورة كما قال عزّ وجلّ: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها(2) تصلح أن تكون في شدة فتقول يا مسيطر يا مدمدم يا سلام سلّمني، يا حافظ احفظني... وتخصه سبحانه وتعالى من هذه الأسماء بثلاثة، أسماؤهم حيّ قادر عالِم(وردت هيا قادرا عالما) وسمي الموت، وسمي في بدر السخسخ، وسمّاه السيد محمد الإيمان والهادي والوكيل والقاضي والمفتي والسلام والمؤمن والمهيمن والغني والحميد، ولا إله إلاّ هو الحق المبين والولي والساعة وأرحم الراحمين.

س 44 – أخبرني عن أسماء مولانا أمير المؤمنين مع شرحها وتفصيلها.
ج – إعلم أنّ أسماء مولانا أمير المؤمنين من صحف شيث وإدريس ونوح وإبراهيم بالسرياني، الهيولي،(وردت الهيولا)(3) والأمين والبيان واليقين والإيقان والناصر، وفي كتب الفرس نمير وهو اسم النار، وفي كتب الترك تبيرا وفي لغة الزنج كبيّنا، وفي لسان الحبشة تبريك، وسمّي يوم القليب، وقد سقط بن دايته الهلالية فيه، فعلّقه برجله وأخرجه، ميمونا.
س45– ماذا تُدعى بالظاهر أمّ أمير المؤمنين؟
ج– تُدعى فاطمة ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف، ولم يكن في زمانه هاشمي بن هاشمية غيره.

(1) عوالم يعتقد بوجودها أتباع المذهب النصيري أوجدها الإله قبل خلق البشر، وهي مأخوذة من ديانة منو سمرتي في الهند، أنظر *شرع منو*، ترجمة إحسان حقي، صفحات 410 وما بعدها...
(2) سورة الأعراف الآية . 180
(3) تعني كلمة الهيولي الغبار والذرات التي نراها من طاقة أشعة شمس وتعني أيضاً المادة.

س 46 – مَن هم إخوة مولانا أمير المؤمنين؟
ج _ هم حمزة وجعفر وطالب وعقيل.
س 47 – مَن هم أبناء مولانا أمير المؤمنين بالظاهر؟
ج – هم الحسن والحسين وابنتيه زينب وأم كلثوم.

س48 – أين يوجد مشهد مولانا أمير المؤمنين؟
ج – إعلم أنّ مشهده، تقدّست أسماؤه، بالدكوة البيضاء(وردت البيض) غربي الكوفة.
س 49 – ما هي الأسماء التي هي خاصة لمولانا أمير المؤمنين ولا يجوز أن يتسمّى بها غيره ولا يُشار باطن بالدعاء إلاّ إليه؟
ج– هي المعنى الأزل القديم الأحد الصمد العلي معنى المعاني ربّ المثاني غاية الغايات نهاية النهايات مؤوّل الأزل مؤبد الأبد حيّ داري الحي القيّوم أمير النحل العلي العظيم، سيدي ومولاي هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون أمير المؤمنين الأنزع البطين.
س 50 – لماذا ندعو (وردت ندعي) مولانا أمير المؤمنين أمير النحل وما هو معناه الرمزي؟
ج – إعلم أنّ المؤمنين تشبهة بالنحل، لأنها تلتقط من الأزهار أحسنها. وبما أنّ مولانا علي بن أبي طالب هو أمير المؤمنين، فلُقّب بأمير النحل.
س51– ماذا كانت تدعو(وردت تدعى) مولانا أمير المؤمنين الأمم الذين كانوا بالعالم قبل البشر؟
ج – كانت تدعوه(وردت تدعيه) الهوَ، أعني الذي هو، ولهذا سلمان كان يقول: يا هو يا هو يامَن لا يعلم ما هو إلاّ هو.
س 52 – من هم الأمم الذين كانوا في الدار قبل البشر؟
ج – هم الجنّ والبن والطم والرمّ والجان.
س 53 – كم هي العوالم؟
ج – إن العوالم هي كثيرة لا يعلم عددها إلاّ خالقها ومنها العالم الكبير النوراني والعالم الصغير البشري الترابي الجنس.
س 54 – ما هو العالم الكبير النوراني؟
ج – هو السماء التي هي نور الأنوار.
س 55 – ما هو العالم الصغير البشريّ الجنس؟
ج – هو الأرض.
س 56 – ماذا يحتوي العالم الكبير النوراني؟
ج – يحتوي على السبعة مراتب قبل ظهورهم في العالم البشري وهم الأبواب والأيتام والنقباء والنجباء والمختصين والمخلصين والممتحنين(1).
س 57 – إشرح لي أسماء درج السبعة مراتب.
ج– إعلم أنّ أسماء درج المرتبة الأولى وهي الأبواب الأربعمئة، هي الأسماء والحجُب والآية والأنوار والشموس والأفلاك والغمام.
س 58 – ما هي المرتبة الثانية؟
ج– هي الأيتام، خمسمائة، ولها سبعة من الدرج وهي المشارق والمغارب والأقمار والأهلّة والنجوم والرعود والبروق.
س 59 – ما هي المرتبة الثالثة؟
ج– هي مرتبة النقباء، ستمائة، ولها سبعة من الدرج وهي الصلاة والزكاة والحج والصيام والهجرة والجهاد والدعاء.
س60– ما هي المرتبة الرابعة؟

ج– هي مرتبة النجباء، سبعمائة، ولها سبعة من الدرج وهي الجبال والمعصرات والبحار والأنهار والرياح والسحاب والصواعق.
س61– ما هي المرتبة الخامسة؟
ج– هي مرتبة المختصين، ثمانمئة، ولها سبعة من الدرج وهم الليل والنهار والغداة والعشاء والغدو والأصيل والسيل.

(1) هذه هي درجات التعليم الدينية في المذهب العلوي النصيري، أنظر كتابنا، مدخل *إلى المذهب العلوي النصيري.* صفحات 34 – 35 .

س 62 – ما هي المرتبة السادسة؟
ج– هي مرتبة المخلصين، تسعمائة، ولها سبعة من الدرج وهم الأنعام والدواب والإبل والنحل والطير والصوامع والبيَع.
س 63 – ما هي المرتبة السابعة؟
ج – هي مرتبة الممتحنين، ألف ومائة ولها سبعة من الدرج وهم البيوت والمساجد والنخل والأعناب والرمّان والزيتون والتين. فهذه السبعة مراتب وكل مرتبة لها سبع درجات، الجملة تسعة وأربعون درجة.(1)
س64– إشرح لي كيف السبع مراتب قبل ظهورهم في العالم الصغير البشري، كانوا في العالم النوراني؟
ج– إعلم أن سبعة مراتب العالم الكبير النوراني كان لها غير أسماء في السماء قبل ظهورها على الأرض، وقبل أن تُسمّى عندنا هذه الآلات في الدنيا، مثل التين والزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من الأسماء المذكورة في نطق القرآن، فصارت هذه الأسماء لهذه الآلات في الدنيا بإذاء أسماء درج المراتب في العالم النوراني، فيكون نطق القرآن بهذه الأسماء التأويلية ظاهراً على آلات الدنيا وباطناً على أسماء درج(وردت الدرُج) العالم النوراني.
س 65 – ماذا يحتوي العالم الصغير البشري الترابي الجنس؟
ج – يحتوي على المقرّبين، أربعة عشر ألفاً، ثانيا الكاروبيين خمسة عشر ألفا، ثالثاً الروحانيين ستة عشر ألفا، رابعاً المقدّسين سبعة عشر ألفاً، خامساً السائحين ثمانية عشر ألفاً، سادساً المستمعين تسعة عشر ألفا، سابعاً اللاحقين عشرين ألفا. الجملة مائة وسبعة عشر ألف (2).

(1) هنا يتضح لنا تأثير الديانة المجوسية على المذهب العلوي النصيري، ونعني بالهفتية، أي الهفت = السباعية، من تركيبة المفضّل بن عمر الجعفي المؤسس الأول للديانة النصيرية، أنظر *كتاب الهفت والأظلة* للمفضّل الجعفي، تحقيق عارف تامر والأب عبدو خليفة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة 1960.
(2) هذه الفكرة آتية من تأويل الصابئة وقد تبنّاها أيضاً الإسماعيليون بشكل مختلف، أنظر أطروحتنا السابقة الذكر، صفحات 58-59

س 66 – إشرح لي أسماء النجباء وعددهم في العالم النوراني الكبير والعالم البشري الصغير.

ج – إعلم أنّ أسماء النجباء في العالم البشري الصغير هي هذه: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وأبو سعيد الخضري وقيس بن عبادة بن ديلم الخزرجي وسعد بن مالك الأنصاري وأبو الطفيل عمرو بن وائلة وزيد بن نفيع وعثمان بن حُنيف وحذيفة بن اليماني وعمر بن ذي خدّان وسهم بن عمّار وحبيب بن جندب بن جنادة الأنصاري وحويرة بن مشهور وأبو سفيان الأنصاري وأبو عمرة بن كميل بن بشير وأبو ليلاء، وهشام بن هشام وجبير بن مطعم والمسيب بن عقلة، وقيل بن نجبة، وأبو بركة وذو اليمين وسهل بن حُنيف، وهو مولى(وردت مولا) فضة وريحانة والمخوال الكلبي وعبد الله بن سبأ وهو سيد النجباء(1)

س67– قد فهمت أسماء النجباء في البشرية، فأخبرني عنهم في النورانية.

ج– إعلم أنّ أسماء النجباء في النورانية هم: الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنترة والطرف والجبهة والزبرة والصرف والعوا والسماك والغفرة والزبانان والإكليل والشولة والنعائم وبلدة وسعد دابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرع المقدّم وفرع المؤخّر وبطن الحوت وهو الرشا المثبوت(2)

س 68 – ما هو معنى قولك في البشرية والنورانية؟

ج- إعلم أنّ النجباء كل واحد منهم له إسمان قائمان(وردت اسمين قائمين) به، أحدهما (وردت أحدهم) بالنورانية وهو روحاني والآخر بالبشرية وهو جسماني. مثلاً أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري يدعى بهذ الاسم بالبشرية، وبالنوارانية يُدعى الشرطين وهكذا بقية أسماء النجباء.

(1) هؤلاء من الصحابة والتابعين الذين أخذوا جانب الإمام علي(رض) خلال الفتنة الكبرى، ويلفت نظرنا الموقع الذي يحتله عبد الله بن سبأ الذي قالت عنه بعض الروايات أنه أوّل مَن ادعى مركز الألوهية للإمام علي. والله أعلم.

(2) هذه هي أسماء مدار القمر، ويشترك في الكثير منها اليونان مع العرب، أنظر المقال عن مدار القمر في دار المعارف الإسلامية.

س69 – ما هي أسماء المنبئين(وردت المنبوون) وكم هي؟

ج– إعلم أنهم سبعة عشر شخصاً وهذه أسماؤهم: أولهم زيد بن الحارث(وردت الحارثي) داعي رسول الله، وهو رأس طبقة المنبّئين(وردت المنبوون) وأجلّهم مرتبة، ثانياً سعد بن معاذ وثابت بن أبي الأفلح وأبيّ بن كعب وتميم الظاري(؟) وسعد بن مالك ومعاذ بن عمر وثابت بن قيس وعمر بن تغلبة وخزيمة بن ثابت وحارث بن النعمان وأبو دجانة سمّاك بن خرشنة الأنصاري وعمّار بن ياسر وعبدالله بن عمر بن حزّام وحزّام ابن حيان وأبو الهيثم مالك بن التيهان وعمر بن الحمق وقيل بن الجموع.

س 70 – ما هي أسماء الخمسة والعشرين يتيما وما هم.

ج– إعلم أنّ أولهم أيتام السيد سلمان وهم المقداد بن عمر بن عثمان ابن الأسود الكندي وأبو الذر، جندب بن جنادة ابن سكن الغفاري وعبدالله بن رواحة الأنصاري وعثمان بن مظعون النجاشي الهلالي وقنبر بن كادن الدوسي، غلام مولانا أمير المؤمنين. وبعدهم أيتام السيد محمد وهم: جعفر بن الحارث وأبو هيج بن الحارث وأبو سفيان بن الحارث ويحيى بن أمامة وصالح بن أُمامة، عليهم السلام. وبعدهم أيتام السيد(ة) فاطر= فاطمة، وهن (وردت وهم) السيدة فضة وريحانة وأسماء بنت عميش الختعمة وزينب الحولاء

العطّارة وفاختة(وردت وفاختاه) أم هانئ عليهن (وردت عليهم) السلام. وأيتام السيدة أم سلمة وهن(وردت وهم) ميمونة بنت الحارث وأمة الله ابنة مالك وأمّ إسحاق وآمنة بنت الشريد وأم مالك عليهن(وردن عليهم) السلام. وأيتام السيد السفينة صعصعة بن صوحان ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة وعمّار بن ياسر، على جميعهم أفضل الصلاة والسلام.

س 71- كم كتب أهل التوحيد؟

ج – إعلم أنّ كتب أهل التوحيد هي، مائة وأربعة عشر كتابا(وردت كتاب).

س 72 – ما هو القرآن؟

ج – هو دليل سابق على ظهور مولانا بالإنسانية.

س73 – من علّم القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلّم؟

ج– مولانا أمير المؤمنين وهو المعني على لسان جبريل الذي هو روح القدس وهو الباب.

س 74 – ما هي عدّة إخواننا المؤمنين؟

ج – إعلم أنّ عدتهم في كل وقت وحين(عين ميم سين) وهي العين العلية والميم المحمدية والسين السلسلية.

س 75 – هل أنّ المسيح صُلب وقتل كما تقول عنه النصارى في قصته؟

ج – إعلم أن لا حقيقة لذلك، وما قتلوه وما(وردت ولا) صلبوه ولكن شُبّه لهم(1) والله رفعه إليه كما قوله تعالى: ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون(2).

س 76 – ما هو القدّاس ؟

ج – هو تقديس الشراب وشربه بسر النقباء والنجباء.

س 77 – ما هو القربان؟

ج – هو القربان الذي يقرّبه المؤمنون (وردت يقربوه المؤمنين) عن أرواح إخوانهم وبه يُقال القداس.

س 78 – مَن هو الذي يقدّس القدّاس ويقرّب القربان للمؤمنين؟

ج – هو إمامهم وخطيبهم العظيم.

س 79 – ما هو سرّ الله الأكبر؟

ج – هو سرّ اللحم والدم الذي قال المسيح عنه لتلاميذه عليه السلام: هذا لحمي ودمي فكلوا واشربوا منه لأنه حياة الأبدية.

س80– إلى أين تذهب أرواح إخوتنا المؤمنين عند خروجها من قبورها التي هي قمصانها اللحمية الدموية؟

ج– تذهب إلى العالم الكبير النوراني(3) وتحظى بالنعيم والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين وتلبس قمصان الأنوار وهم النجوم.

(1) سورة النساء، الآية 157.

(2) سورة آل عمران، الآية 169.

(3) حول العالم النوراني الكبير والجسماني الصغير، أنظر كتابنا، *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*,

س 81 – ماذا يحل بالمشركين الكافرين الجاحدين لاهوت مولانا؟

ج – يحلّ بهم العذاب في جميع الأكوار والأدوار.

س 82 – ما هو سرّ إيمان الموحدين الذي هو سرّ الأسرار وعقيدة الأبرار.
30 – ج – هو سرّ التنتين (الاثنتين) وهو معرفة الله بالحقيقة وهو سرّ كريم وخطاب عظيم وعلم جليل وخطر ثقيل، فلا تحمله الجبال العظيمة (وردت العظم) محلّه وشرفه، وهو الترياق الشافي لمن حفظه ودان به واتقاه والسمّ القاتل لمن إلى غير أهله كشفه وفشاه، وهو احتجاب مولانا في النوراني عن عين الشمس وظهوره في عبده عبد النور(1) إعلم أنّ هذا السر يُدعى أيضاً سر الخير والشر، سرّ النور والظلمة، سرّ الماء والنار، سرّ اللحم والدم، سرّ الأكل والشراب، سرّ الموت والحياة، سرّ الحرّ والبرد، سرّ النوروز والمهرجان (2).
س83 – ماذا يحلّ بالذي يعرفه ويُداخله به شكّ أو ريب.
ج– يكون من المبذرين الذين هم الكافرون(وردت الكافرين) إخوان الشياطين، ويستحقّ المسوخية والسلوك في القمصان الردية الدنية، ويذيقه الله حرّ الحديد وبرده.
س84– ما هي (وردت ما هم) الشروط الواجبـ(ـة) على المؤمن حفظها(وردت حفظهم) عند قبوله سرّ الأسرار؟
ج– الأمر الأول الواجب عليه هو أن يفرغ جهده بمحافظة إخوانه ومراعاتهم ومداراتهم والمواظبة على تفقّدهم وبرهم وصلاتهم وجميع ما يرضاه لنفسه يرضاه لهم، ويجعل خمس ماله حلالاً مُطلقا في كل عام، ويقيم الصلاة في أوقاتها ويؤدّي الزكاة إلى أهلها ويواصل على عمل المفترضات ويسارع في إقامة الحقوق الواجبات، ويكون لسيده مجيباً داعيا شاكراً ذاكراً أميناً في جميع ما تقدّر عليه، ويرضيه(وردت ويرضاه) ويتجنب كل ما يكرهه له من البواطل.

(1) عبد النور هو أحد أسماء الخمر عند النصيرية، أنظر مقدمة هذه المخطوطة.
(2) هذا الجواب مأخوذ من المجوسية، والنوروز هو عيد الربيع في الرابع من نيسان أبريل، والمهرجان هو عيد نوم الطبيعة في السادس عشر من تشرين الأول/أكتوبر. أنظر *كتاب مجموع الأعياد* لأبي القاسم الطبراني، تحقيق شتروتمن في دورية الإسلام بالمانيا عدد 1946.

س85 – ما هو الأمر الثاني في الواجب امتناع المؤمن عنه عند قبوله سرّ الأسرار؟
ج– إعلم أنّ من الواجب عليه التحرّص عن مظالم إخوانه، ولا يتعدى على أحد منهم ويتجنّب أخطاءهم (وردت خطاهم) ولا يُخالف رضاهم ويحذر الإساءة لهم (وردت أساهم)
س86– هل يمكن للمؤمن أن يبادي لأحد بسر الأسرار؟
ج– أنه لا يمكنه أن يُبادي به لأحد من الناس سوى لأخ من إخوانه، وإن فعل غير ذلك يكون بريئاًَ من الله وكتبه ورسله.
س87– ما هو القدّاس الأوّل ؟
ج– هو الذي يُقال قبل النوروز.
س88- ما هو القدّاس الثاني؟(1)
ج– هو الذي يُقال بعد النوروز.
س89 – ما هو النوروز؟

ج– هو تقديس الشراب بالجام (؟)
س90 – قل لي النوروز
ج – إعلم أن النوروز هو هذا:

نوروز حقٌّ مستفيدٌ غانم — متحقق بولاية أكرم هاشمي
يوم أبان الله فيه ظهوره — قبل الأعارب في قباب(أ)عاجم
وسما بها نحو السماء فأبصروا — فيها مراجيحاً برأيّ حازم
ولسلسلٍ فيها ظهور مهيمنٍ — متتابع لقديمنا المتقادم
فاشرب من الخمر الزلال فإنه — يوماً تجلّى نوره بعمائم
يوم الغدير، قد أشار محمّد — بالقصد نحو إله ربِّ عالِم (2)

(1) القدّاسات عند النصيرية هي أربع: قدّاس الإشارة وقدّاس الأذان وقدّاس الطيب وقدّاس البخور، أنظر أطروحتنا السابقة الذكر، ص. 74.
(2) هذه الأبيات لأبي عبدالله الحسين الخصيبي، وقد حاولنا تصحيح الوزن حيث أنّ الناسخ لم يستدركه ولا حتّى نحن إلا بعد جهد جهيد.

(يوم غدير خم هو اليوم السادس عشر من ذي الحجة، وهو اليوم الذي أظهر السيد محمّد فيه معنوية مولانا أمير النحل، منه السلام، للخاص والعام، فآمن من آمن وأنكر من أنكر، وله فضل كبير وشرف عظيم، لأنّ المولى يظهر فيه ويكشف الغطاء ويعظّم فيه الجزاء. ولسيدنا عبدالله الخصيبي (فيه) قصيدة رائعة تُدعى الغديرية)

س 91 – ماذا يُدعى الخمر المقدّس الذي يشرب(وردت تشرب) منه المؤمنون؟
ج – يُدعى عبد النور.
س 92 – لماذا يُدعى عبد النور؟
ج – لأنّ الله ظهر به، ولهذا روي عن سيدنا أبي عبد الله الحسين الخصيبي، صاحب الرأي المصيب، إذ كان يحضر بين يديه عبد النور، كان يأخذ القدح في يمينه، وينهل منه ثلاث نهلات، ويترنّم عليه قائلاً: اللهم إنّ هذا عبدك عبد النور شخص حللته وكرمته وفضّلته لأوليائك العارفين بك، حلالاً طلقا وحرّمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك، حرام نصّاً، اللهم مولاي كما حللته لنا، ارزقنا به الأمن والأمان والصحة من الإسقام وانفِ عنّا به الهمّ والأحزان، إلى آخره. إنّ عبد النور هو شخص النار والذي جعله الله قرباني الأعظم وشخصه الأكرم، وحكم على نفسه بالمغفرة فيه (1).
س 93 – ما هو سرّ الله المكنون الحائط بين الكاف والنون؟
ج – هو النور، لقوله تعالى: ليكن النور، فكان النور(2)
س 94 – ما هو النور؟
ج – هو المعنى القديم لأنّه احتجب بالنور.

(1) لا يسعنا إلاّ أن نلفت انتباه القارئ لتأثير الديانة المجوسية من جانب مختلف عن الأصول المانوية، وكذلك بتفسير غريب لقول سيدنا عيسى، عليه السلام بشأن الخمر,

س 95 – إن كان مولانا احتجب بالنور فبأي شئ يظهر؟
ج – إعلم أنّ مولانا يظهر بالحق كقوله في النوروز.
س 96 – لماذا يوجه المؤمن وجهه حين الصلاة إلى الشمس؟
ج – إعلم أنّ الشمس هي نور الأنوار وقبلة أهل الولاء والجلال، لأنها ستر الجميل ومحل التفضيل، الساكن بها الأزلي الدائم الأبدي القائم، سرّ الأسرار ونور الأنوار.
س 97- لماذا ندعو(وردت ندعي) مولانا أمير المؤمنين صاحب الكرّات والرجعات؟
ج – لأنه يكسر ويرجع ويظهر في الأكوار والأدوار وهم القباب البهمنية من قابيل إلى أبي تراب(1).
س 98 – ما هو الباطن وما هو الظاهر؟
ج– إعلم أنّ لفظة الباطن تدل على لاهوت مولانا والظاهر يدل على إنسانيته، ففي الظاهر نقول مولانا علي بن أبي طالب، ومعناه في الباطن: المعنى والاسم والباب وهو الله الرحمن الرحيم.
س99– من هو شيخنا الذي شرّع لنا الأديان في سائر البلدان؟
ج– هو سيدنا أبو عبدالله الحسين ابن حمدان، عليه وعلى تلاميذه من الله أفضل الصلاة والسلام.
س 100- لماذا نُدعى الطائفة الخصيبية؟
ج– لأننا تابعون(وردت تابعين) تعليم شيخنا ابن عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي، قدّس الله سرّه.
س101– قد فهمت ما شرحته لي، فأخبرني الآن عن أسماء أشخاص الصلاة وفروضها ونوافلها.
ج– إعلم أنّ الصلاة بالجملة، السيد محمّد، وبالتفصيل لها واحد وخمسين

(1) القباب البهمنية، يعنون بها بلاد فارس قبل الإسلام، وأبو تراب أحد ألقاب الإمام علي(رض)

(وردت خمسون) ركعة لواحدٍ وخمسين (وردت خمسون) شخصاً(وردت شخص). الوقت الأول صلاة الظهر الزو(ا)ل ثماني ركعات(وردت ثمانية ركعات) وهم القاسم والطاهر وعبدالله وزينب ورقيّة وأم كلثوم، واسمها آمنة، وفاطمة الزهراء، فهؤلاء أولاد رسول الله من خديجة ابنة خويلد، وإبراهيم من مارية القبطية. وبعدهم الفرض، أربعة، محمد وفاطر والحسن والحسين، وبعدهم نافلة العصر ثمانية، وهم عبدالله ومحمد وعون بنو جعفر بن أبي طالب، وأبو سفيان وجعفر ومحمد وأبو الهيجاج بنو الحارث بن عبد المطّلب ومحمد بن حذيفة، الوقت الثاني العصر الفرض، أربعة: محمد وفاطر والحسن والحسين. الوقت الثالث المغرب، الفرض ثلاثة، وهم محمد وفاطر والحسن. والنافلة أربعة: توبان مولى رسول الله وخزيمة بن ثابت وأبو الهيثم مالك التيهان الأشهلي وأبو سعيد الخضري. والوقت الرابع

اشع(؟) الآخر، الفرض أربعة: محمد وفاطر والحسن والحسين، ونافلة العشاء ركعتين من جلوس يُحسبان بواحدة، وهما زينب الحولا العطّارة وآمة الله ابنة خالد بن سنان العبسي. وصلاة الليل ثمانية وهم(وردت وهما) عبدالله وعبدمناف وحمزة والحارس والزبير وحجل المقوّم والفيداق أولاد عبد المطّلب، وبعدهم ثلاثة وهم الشفع والوتر، الشفع أسد وعمران إبنا حصين، والوتر عبادة بن بشير بن الصامت الخزرجي الأنصاري، والوقت الخامس الفجر، ركعتان وهما(وردت وهم) سعد بن مالك الأنصاري ونعيمان الأنصاري عليهما صلاة العلي الباري. وبعدهم الفرض ركعتان وهمـ(ـا) محمد وفاطر عليهما السلام، فهذه الواحد وخمسين(وردت خمسون) شخصا، كما قال شيخنا أبي عبدالله الحسين ابن حمدان الخصيبي، قدّس الله العلي روحه، في قصّته:

كما الصلاة رجالٌ أشخاصهم تأويلُ   خمسون شخص وشخص مقدّس بهلول
محمد ثم فاطر والشبران أُصول   الكل منهم ومعهم هم الهدى والسبيل
كما الزكاة هي الباب اسمه جبرائيل   سلمان ليس سواه إلى الرسول دليل.

تمّ التعليم

رأي العلويين النصير يين في المذاهب والديانات الأُخرى:

يمكننا من خلال قدّاس الإشارة، والذي يشكل أحد القدّاسات الأربعة التي ذكرناها في الصفحات السابقة، معرفة آراء المذهب العلوي ألنصيري في المذاهب والأديان الأخرى. ذلك عندما يتلو الشيخ القدّاس الثالث، ومنه أخذنا الفقرة التالية: " عن أبي (مخطوط أبو) شعيب، محمد بن نصير ألعبدي البكري النميري أنّه قال: من أراد النجاة من حرّ النيران فليقل: اللهم العن فئة أسست الظلم والطغيان، الذين هم التسعة رهط المفسدين، الذين أفسدوا وما أصلحوا في الدين، الذين هم إلى جهنّم سائرين وإليها ضالين، أوّلهم أبو بكر اللعين، وعمر بن الخطاب الضد الأثيم(1)، وعثمان بن عفّان الشيطان الرجيم، وطلحة (ابن عبيد الله) وسعد(بن أبي وقّاص) وسعيد (ابن العاص) وخالد بن الوليد صاحب العمود الحديد... ومعاوية وابنه يزيد، والحجّاج بن يوسف الثقفي النكيد، وعبد الملك بن مروان البليد، وهارون الرشيد... والعن المذهب الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي...وجميع النصارى واليهود، وكل من يعتقد في علي بن أبي طالب آكلاً أو شارباً أو مولوداً أو ناكحاً(2).

كما تظهر تصرفات الحذر من أتباع المذاهب والأديان الأخرى من خلال تصرّفات الفرد اليومية وحياته الاجتماعية. فهو لا يضع عمامة سوداء أو كوفية سوداء أثناء إقامة القدّاس لأن اللون الأسود كان لون أعلام بني العبّاس، ولا يحمل الكشتبان، لأنّ أول مؤسسٍ للديانة الدرزية، الدرّازي، كان خيّاطاً، ذلك لإحياء الحقد ضد المذهب الدرزي، وكذلك لا يحملون سكيناً كرهاً بالإسماعيليين، لأنهم كانوا يستعملون السكين للاغتيال (3)

فيما يتعلّق بنظرتهم لصلاح الدين الأيوبي والمماليك، فإنّ أتباع المذهب العلوي ألنصيري قد أخذوا منهم موقفاً عدائياً، وهذا لا يعني بأنّ ذلك الموقف كان منبثقاً عن تحالفهم مع الصليبين، لأنّ الصليبيين أخضعوه بالقوة في باديء الأمر، ثم هادنوهم، كما تحدِثنا المراجع اللاتينية منذ ذلك العهد(4)

(1)يـعتبر النصيريـون أنّه بـكل دورٍ تـنـاسـخ الإلـه لـه ضـد، فحين تـناسخ في عهد آدم بشيث، كان ضد الله قـابيل بن آدم، وفي عهد إبراهيم تـنـاسخ في النمرود، وفي عهد يوسـف تـنـاسخ في قارون وهـامـان وفي عهد صـالح تنـاسخ بقوم عادٍ وثـمـود، وفي عهد عيسى تناسخ في جسد يهوذا الاسخريـوطي، وفي عهد محمّدٍ وعلي تـناسخ الضد في عمر بـن الخطّـاب وهـو الضدّ الأكبر وإبليس الأبـالسـة (أنظر كتاب الصراط السابق الذكر، للمفضل بن عمر الجعفي، الورقات 161-82 وكتاب *الهفت والأظلة*، الصفحات 56 إلى 60 و 86 إلى 93، *وكتاب مجموع الأعياد* السـابق الذكر للطبراني، الصفحات 6، 46، 83-84، 154، 163، 166، 168-69.

(2) أنظر *كتاب الباكورة* لسليمان أفندي الأذني، ص 274

مسـألة الاغتيال بـالسكين التي كان يمارسها الإسماعيليون تعود إلى العصور الوسـطى وبشكل خاص فترة الحروب الصليبي'، مـمـا جعل الأوربيون يـطـلقون عليم لقب القتـلة (أسّـاسـين) وهذه الكلمـة مـأخوذة مـن كلمـة حشّـاشـين، وكان من ألقاب الإسماعيليين. فطغى ذلك اللقب عيهم ودخلت تـلـك الكلمـة القواميس الأوربيـة التي تعني بـالعربي' بشكل أقرب : الذين يـغـتالون.

وللتوسع في الموضوع، أنـظـر برنار لويس، *الحشـاشـون*، باللغتين الفرنسية والإنكليزيـة، ص 145-150 و138-39

(3) أنظر رينيه دوسـو، *تاريخ وديانـة النصيرية*، الصفحات 22-23

(4) أنـظر أطروحتنـا السابقـة الذكر، ص 102. تـلـك العداوة لصلاح الدين لم تـستطع الأيام محوها، ومع فـائق الأسـف، فمن الأسـباب التي أدت إلى الأحداث الداميـة التي وقعت في مدينـة حماه، سـنة 1964، والتي ذهب خلالها الكثير مـن الضحايـا،

كانت على أثـر مظـاهرات نظمتها السـلطـة في المدينـة، وخرج العلويون يهتفون في الشـوارع الرئيسـية الهتاف التالي: يـلـعـن يـومك يــا حطّـين = والخاين صـلاح الـدين. أمتا عـن موقف الطـائـفة مـن المماليك، راجع إبن بطـوطـة، *الرحلة*، ص 176-178

إلاّ أنهم حـالفوا التتار المغول خلال زحف تيمورلنك نحو دمشق (1). أما بالنسـبة للعثمانـيـيـن، فكانوا يتمنون سـقوط دولتهم كليّاً، وهذا لإقامـة دولتهم، فكان دعائهم في نـهاية القدّاس هو التالي:

" الفاتحـة يـا إخـوان في إبادة الدولـة العثمانيـة واستظهار الطـائـفـة الخصيبية النصيريـة "(2). .

يـمكن تـعليل مـوقف الطـائـفـة العلويـة النصيريـة مـن الدولـة العثمانيـة هذا، بسـبب المعاملـة التي نـالوها من السلطـة آنـذاك، فقد كتب هنري غيوش في كتابـه: *رحلـة في سوريا*، ص 54، ما يلي " بكلّ صراحـة، ومن بـين جميع المذاهب في المشـرق، تُـعتـبـرُ النصيريـة أكثـر المذاهب معرّضـةً للإهـانـة، بسـبب تفكيرهم الديني، وهم وحدهم مَـن تُـكفّرهم كتب الفتاوى، وبـدون أي اعـتراض. يرى قانـون العقوبـات في الدولـة العثمانيـة، أن هـؤلاء يـعتبـرون خـارجين عن القانـون. وهـذا الرأي مُـتَـعاملٌ بـه لـدى السلطـات، مـمـا أدى لجعل حياة أتـبـاع المذهب الوارد الذكر، هم ونسـاؤهم وأمـوالهم تحت تـصـرّف المسلمين، وبإمكانهم شـراءهم كـالرقيق".

هنـالك نـظـرة أُخـرى، يـرى من خلالها أتباع المذهب ألنصيري أتباعَ المذاهب الأُخرى مـن خلال عالم المسـوخيـة، حيث " أنّ النصيريـة كـافـة تـعتقد بأن شـرفـاء المسلمين الراسـخين في العلم، إذا مـاتـوا، تـحلّ أرواحهم في هياكل الحمير، وعلماء النصـارى في أجسـام الخنـازيـر، وعلماء اليهود في

أجسـام القرود. أمّـا عـامـة الناس مـن المسـلميـن، فتحلّ أرواحهم في الجمال والفيلـة والكلاب السـوداء، وعامـة الناس من النصارى فتحلّ أرواحهم في أجسـام الخيل، وعـامـة الناس مـن اليهود، تحلّ أرواحهم في أجسـاد البغال (4).

كـذلك يـتصوّرون عـالماً مظلماً في المسـوخية لكل من هو غير نصيري أو لكل نصيري غير صحيح الإيـمان. ويـنقسم هذا العالم إلى أربـع درجـات وهي: درجـة الرسخ، وتعني المسـوخيـة في النباتـات وفي الأجسـام الصلبـة كالأحجار والـمعـادن، وهي أدنى الدرجـات وأعمقها في الظلمـة، ويُمسخ فيها الأضـداد، أولهم الضدّ الأكبر، الذي تـنـاسخ سبع مرات في العالم الجسـماني الصغير، أول مرّة في عهد آدم، وكان

كـذلك يـتصوّرون عـالماً مظلماً في المسـوخية لكل من هو غير نصيري أو لكل نصيري غير صحيح الإيـمان. ويـنقسم هذا العالم إلى أربـع درجـات وهي: درجـة الرسخ، وتعني المسـوخيـة في النباتـات وفي

(1) أنـظـر محمّد غالب الطويل، *تـاريـخ العلويـيـن*.

2) أنظـر كتاب الباكور' ذات المرجع، ص 284 أما عن الفاتحة فهي ليست أول سـورة في القرآن الكريم، بل هي السـورة الأولى من كتاب المجموع ومطلعها " قد أفلح من أصبح بولايـة الأجلح (= الأصلع أي علي بن أبي طـالب) أستفتح بأني عبده. استفتحت بأول إجابتي بحب قدس معنويـة أمير النحل علي بن أبي طـالب، المكنّـى بـحيـدرة أبي تراب، فيـه استفتحت وفيه استنجحت وبـذكره أفـوز، وفيه أنجو، وإليه ألجأ، وفيـه تباركت وفيه استعنت وفيه بـدأت، وفيه ختمت بإثبات الدين وصحـة اليقين...) منقول عن كتاب دوسو، تاريخ وديانـة النصيريـة.

3) ذات المصدر، ص 283، إلاّ أنّ هـذه الفكرة مأخوذة من كتاب *شـرع مَنُو، أو منو سـمرتـي* الصفحات 406-421، أحـد المذاهب البوذية. ترجمـه إلى العربية إحسان حقي.

الأجسـام الصلبـة كالأحجار والـمعـادن، وهي أدنى الدرجـات وأعمقها في الظلمـة، ويُمسخ فيها الأضـداد، أولهم الضدّ الأكبر، الذي تـنـاسخ سبع مرات في العالم الجسـماني الصغير، أول مرّة في عهد آدم، وكان
يـدعى قابيل(انظر الصفحة التالية التعليق الثاني) وآخر مرّة في عهـد محمدٍ (ص) وضد الله هو عمر بن الخطـاب الذي هو إبليس الأبـالسـة، ويرُسخ في هذه الدرجـة معه أبو بكر الصدّيـق وعثمان بـن عفّان والخلفاء الأمـويـون والخلفاء العبّاسـيون...والدرجـة التالية هي درجـة المسخ، وتعني المسوخية في هياكل الحيوانـات، وهي درجـة عقابٍ لجميع الناس مـن دون العلويـيـن النصير بين، منها الحيوانـات التي تـُذبح لـتؤكـل والحيوانـات الجارحـة، وذلك حسب الإسـاءات التي اقترفها كل منهم تـجاه المؤمنين (من أتباع الديـانـة النصيريـة). الدرجـة الثالثـة هي درجـة القش، وينحصر فيها النصير يون الذيـن ارتـدوا عن ديـنهم واعـتـنقـوا ديانـات أُخرى. وأخيراً درجـة القشاش، ويـمسخ فيها العلويون النصيريـون الـذيـن اقـتـرفـوا ذنـوبـاً عظيـمـة (1).

أمـا نظرتـهم إلى الشيـعـة الإماميـة فتختلف، فـالعـلويون النصيريـون يـدعونـه بـالشيـعة الظـاهرة (عكس الباطنية) وكذلك يـدعونـهـم بـالشيـعة المقصّـرة، حيث أنّـهم لم يـدفـعـوا بـعـقيـدتـهم لدرجـة الإيـمان بـألوهيـة علي بن أبي طـالب(2).

يـعـلّق منير مشـابـك موسى في كتابـه السـالف الـذكر، لتـعـليل هـذه النظـرة مـن قبل العلويـيـن تجاه أتباع المذاهب والديـانـات الأخـرى، فيـقول: " إنّ العلويين النصيرين كـأقلّـيـة، كـانـوا دائـمـاً مسـحوقـيـن مـن جيرانهم الإسـماعـيـليـين في مصيـاف، الذيـن لعبـوا دوراً مهمّاً في التاريـخ، بعكس العلويـيـن الذيـن لم يـكن لهم أي دورٍ في التاريـخ العربـي. وكذلـك مـن أعـدائـهم السـنّة والـدروز والمسـيحيين. فبرأينـا لم يُعرف مذهب أو جماعـة ظُلموا بـالشـكل الـذي أصـاب المذهب العلوي ألنصيري. لقد كانـوا مكروهين

ومنبوذيـن ومُسـتـخدَميـن ومُـنـتـقـديـن من جميع المذاهب المجـاورة " (3). كُتبَ هـذا التحليل أو التعليق سـنة 1957. وبـما أنّ الأحـداث والظروف فتحت لهم أبـواب تـاريخ الشرق العربي على مصراعيه، ولا زال حتى الآن مفتـوحـاً، فمن الصعب الحكم تـاريـخياً بشـكل موضوعي ومسـتقلٍ على هـذه الفترة التاريخية، لكونها مسـتـمرّة حتى كتابـة هـذه السطـور. إلاّ أنـنـا نستطيع أن نسـتنتج نقطـة مهمة الآن وهي أن حافظ الأسـد قـد اسـتطـاع فرض اسـتقرار سـياسـي في دولـة سورية الحالي'ن وذلك بعد فشتل جميع السـيـاسـيين السـابقين الذين تصدّروا الحكم في سـوريـا منذ الاسـتقلال حتى أواخر سـنـة 1970. ولكن بـأي ثـمن ؟ ربـما بـالثمن الذي فرضـه الحجاج بـن يـوسف في عهدٍ غابرٍ. وهذا لا يمنع أن الكثيرين في جيلنا هذا وفي أجيالٍ سـبقتنـا، معجبون بشـخصية الحجّاج. لكن أكثر الآخرين لا زالوا يرجون عالم عمر بن الخطـاب(رض) عالم المثاليات، ذلك العالم الذي انتهى بـوفـاته. كما قـال علي كرّم الله وجهه: "لقد أتعب مَن بعده "

(10) أنظر منير مشـابك مـوسى، المصدر السابق، ص 299-300
(11) أنظر المفضّـل بن عمر الجعفي، *كتاب الهفت والأظلّـة*، والذي تشـتمل أكثر أبـوابـه على هذا الموضوع. مـع العلم بأن قضيـة المسـوخيـة تـدخل ضمن معتقدات الديـانـة الدرزيـة. فيرى هـؤلاء أن النصيريـيـن يُمسـخـون في أجسـام الكلاب والجمال والأغنـام والبغال. لكن المسيحيـيـن والمسـلمين واليهـود فيمسـخـون في الشـياطين وأجساد الذئـاب. أنظر سـيلفيستر دو سـاسي، ذات المرجع، الجزء الثاني، ص 562 وانظر أيضاً رينيه دوسو، ذات المرجع، صفحات 138-139
(12) أنظر *كتاب الصراط* للمفضل بن عمر الجعفي، مخطوط رقم 1449 من المكتبة الوطنية في باريس، الورقـة 160
(13) ذات المصدر، الجزء الثاني، ص 7

الباب الثالث

الدروز تحت الانتداب الفرنسي

إنّ دولة جبل الدروز كان قد أُطلق عليها أولاً إسم "إمارة جبل الدروز". بعد الاحتلال الفرنسي لمنطقة جبل العرب(جبل الدروز) انقسم السكان إلى فريقين تحت لواء آل الأطرش. الأطرش الزعماء الزمنيون والأطرش الزعماء الدينيون. فزعماء العشائر أو الزمنيون طالبوا بالانضمام إلى سوريا تحت لواء الشريف فيصل، مع انتداب إنكليزي إن كان ولا بدّ، والزعماء الدينيون طالبوا بالانفصال عن سوريا والانتداب الفرنسي. حيث وعدت فرنسا، الدولة المنتدبة، سليم الأطرش برئاسة إمارة جبل الدروز، وذلك بتشجيع من الجنرال كاترو، ممثّل الجنرال غورو في دمشق. وقد تمّ الاجتماع الأوّل مع كبار الشخصيات الدرزية وعلى رأسهم آل الأطرش، بتاريخ 25 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1920، في بلدة قنوات. لكنّ التنافس واختلاف الآراء أدّى لعدم الاتّفاق، وتم اجتماع آخر في دمشق خلال شهر كانون ثاني/يناير عام 1921 تتوج بتعيين سليم الأطرش أميراً على دولة جبل الدروز بموافقة الجنرال غورو ضمن هذه النقاط الثلاث:

1– تمّ إنشاء إمارة جبل الدروز باستقلالية إدارية داخلية واسعة تحت الانتداب الفرنسي.
2– لهذه الدولة رئيس أو أمير مُنتخبٌ لمدة أربع سنوات، ويساعده مجلس إداري مُنتخب يصدّق على تعيينه مجلس الحكومة المحلية.

3– صلاحية قوّة الانتداب الفرنسي تتمثّل بمستشارين يعملون إلى جانب حكومة الدولة ويتمّثّل دورها بالمساعدة العسكرية الموجودة في ثكنات منطقة جبل حوران(1)

Cf. Narcisse BOURON, *Les Druzes*. P. 227. (1)

كان تقدير السلطة الفرنسية سيئاً في تلك الفترة، فلم تتفهّم أو أنها تجاهلت الشعور الوطني الوحدوي نحو العروبة الذي بدأ يعم نفوس السكان بعد الحرب العالمية الأولى في بلاد الشام. وهكذا غدت تتعامل على أسس طائفية وتنميتها بين الأقليات الدينية والعشائرية ما بين الدروز، ولكنها لم تفلح(1).
لنعد إلى دويلة جبل الدروز، والتي كانت عاصمتها السويداء، وكانت مساحتها تعادل ما يقارب 10،000 كم² أي ما يُعادل مساحة دويلة لبنان الكبير. لكنّ المجلس التمثيلي فيها لم يُنتَخب كما حصل في دويلة العلويين، وظلّ الدروز يُحكمون مباشرةً من الإدارة العسكرية الفرنسية، ذلك بسبب الخلاف ما بين رؤساء العشائر الدنيويين الذين يريد قسم منهم الانضمام للإمارة الهاشمية في شرق الأردن، والقسم الثاني يريد البقاء مع الدولة السورية، وكلاهما كان ضد الانتداب الفرنسي(2) أمّا رؤساء العشائر الدينيين. فكانوا يريدون البقاء تحت سلطة الانتداب الفرنسي. هذه الحالة حملت بعض الدروز للقيام بثورة محلية في شهر تموز/يوليو من عام 1922 تحت قيادة سلطان الأطرش. ولكن الخلافات بدأت تزداد ما بين أنصار فرنسا وما بين الفئات الأخرى، بسبب تدخّل المندوب السامي الفرنسي باستمرار لصالح رجال الدين أنصار الانتداب، مما أدى إلى ثورة عام 1925، والتي أطلق عليها المؤرخون السوريون إسم الثورة السورية الكبرى، وأطلق عليها الفرنسيون إسم ثورة جبل الدروز(3).

أحداث الثورة السورية الكُبرى.

بتاريخ 25 تموز/يوليو عام 1925، استدعى المستشار السامي الفرنسي زعماء الدروز إلى دمشق، وهم سلطان الأطرش، وعمه الأمير حمدان الأطرش، وعمه نسيب الأطرش وابن عمّه عبد الغفّار الأطرش، ويبدو أنّ ةالانتداب كانت قد حضّرت كميناً

Cf. Philipe RONDOT. *La Syrie* , 25-27.(1)
(2) Cf. N.BOUROUN, *Op.cit*. p.230-33.
(3) Cf R.O’ZOUX, *Les Etats du Levant sous mandat français*, pp 105-08.

لأسْرِهم، واستطاع سلطان الهروب من الفخ الذي نصبته لهم قوات الاحتلال، وقيُّد الثلاثة الباقون وقادوهم إلى سجن تدمر العريق...
اجتمع سلطان الأطرش بعد هروبه من سلطات الاحتلال بِمَن تبقّى من زعماء جبل الدروز لدراسة الوضع الذي نتج عن أسر الزعماء الثلاثة، واستطاع أن يضمّ تحت قيادته 250 فارساً بعد يومين، وسار نحو القرى الدرزية أولاً الخالية من القوات الفرنسية ليجمع تحت لوائه المتطوعيين. واتصلت به القيادة الوطنية من دمشق في نهاية ذلك الشهر،

واستطاع أن يؤلّف جيشاً تعداده ألف مقاتل، واتجه إلى بلدة كافر وحررها من القوات الفرنسية وقُتل الكابتن الفرنسي نورماند قائد حامية البلدة، وأسروا بعض الجنود الفرنسيين، وكذلك استشهد أخٌ لسلطان الأطرش، منصور. ثمّ اتجهت قوّات الثورة إلى بلدة قنوات وافتتحوها، وفي الثاني والثالث من شهر آب استطاعت القوات بقيادة سلطان الأطرش الاستيلاء على مدينة السويداء عاصمة دويلة جبل الدروز. وقُتل خلال المعركة الكولونيل ميشو قائد الحامية الفرنسية.

بعد السيطرة على مدينة السويداء وبلدة مزرعة، قرر قادة الثورة السير لتحرير دمشق. ومن طرف القوة المُنتَدبة، قرروا إطلاق سراح الزعماء الدروز الذين وضعوهم في سجن تدمر على أمل تهدئة الأحوال مع الدروز. لكن قيادة الثورة اتخذت خطوة مختلفة تماماً، وهي تصميمهم على تحرير كامل سوريا من قوات الاحتلال الفرنسي، معتمدين بذات الوقت على انتفاضة لمساندتهم في دمشق وبتشجيع من إمارة شرق الأردن الهاشمية، وكذلك بإعانة بالعتاد والتخطيط من البريطانيين المحتلين لفلسطين، والذين كانت غايتهم إعطاء درس لفرنسا بسبب الشروط المجحفة التي فرضتها على ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الأولى بمعاهدة فرساي عام 1919، هذه المعاهدة التي اعتبرتها إنكلترا بأنها إنذار لحرب عالمية ثانية، حيث أنّ الألمان لن يقبلوها على المدى القريب أو البعيد. وكانت رؤية بريطانيا صحيحة، حيث انفجرت الحرب العالمية الثانية بعد عشرين عاما من توقيع معاهدة فرساي. وهكذا كانت كل قوة تسعى لمصلحتها بالرغم من تضارب الأهداف، وكانت سورية إحدى أوراق لعبهم المفضّلة.

وحيث أنّ سوريا في الداخل لم تكن مستعدة ومتهيئة لمساندة قوات الثورة القادمة من جنوب البلاد، حصلت معركة مع القوات الفرنسية على بعد خمسة عشر كيلو متر من دمشق، حيث أعدّوا للثوار كميناً تساندهم الأسلحة الحديثة، وانتهت المعركة بخسارة الثوار وكانت الخسائر جسيمة من كلا الطرفين، وتخطى عدد القتلى من قوات الاحتلال السبعمئة، ولم توصل لنا المراجع عدد الشهداء الذين سقطوا في ساحة الوغى بشكل دقيق، ويقدّرون بأكثر من ألف. ومن بعدها ساد الأمن في منطقة جبل الدروز حتى عام 1936.

عدة أسباب أدت لفشل ثورة جبل الدروز في تحرير سوريا، من أهمّها أنّ دمشق لم تكن مستعدة شكلياً وعسكريا للثورة مع الدروز في ذات الوقت، ولكن ضمنياً، كانت قياداتهم ضد عبد الرحمن الشهبندر الذي كان حليفاً لإنكلترا. ومن جانب آخر فإنّ قيادة الثورة في جبل الدروز لم تكن تتوقع أن تنال ثورتهم هذا المدى من النجاح في البداية، وعلى ما يبدو لنا بأنّ الإرشادات والأسلحة التي تلقوها من البريطانيين أعطت مفعولها، ولكن إلى حدّ معيّن بحيث أن تُقلِق عنجهية فرنسا الاستعمارية في تلك الظروف. إنّما وكما تشهد المراجع التاريخية، أنّ الثوار الدروز حاربوا ببسالة وشجاعة نادرتين (1).

بعد نهاية هذه الثورة من شهر آب عام 1925 التجأ قادتها إلى الأردن وانضموا للجنة السورية الفلسطينية التي كانت تضم كبار وجوه السياسة والمقاومة العربية في تلك الفترة ومن بينهم رشيد رضا المصري وميشيل لطف الله الحاج اللبناني وأمين الحسيني الفلسطيني وعبد الرحمن الشهبندر السوري، وأعطى أمير الأردن، عبدالله بن الحسين لقب باشا لسلطان الأطرش.

عمّ الهدوء في منطقة جبل الدروز، وحتى فترة 17 إلى 24 شباط من عام 1933، أي خلال مؤتمر الكتلة الوطنية في حلب الذي كان هدفه الوحدة السورية، استدعى قادة تلك الكتلة زعماء الدروز للمشاركة وعلى رأسهم الأمير حسن الأطرش وعبد الغفّار الأطرش، وقد رفض الدروز الانضمام إلى الكتلة الوطنية بسبب أصوات رجال الدين من جانب، ومن جانب آخر أنّ القوى الوطنية السورية كانت مقسومة على نفسها

Cf. N.BOURON, *op-cit.*, pp231-42.A.RAYMONS, *La Syrie d'aujourd'hui*, pp70-71, (1)
et C.PALAZOLI, *La Syrie, le rêve et la rupture*, pp.142-43

ضمن اتجاهين، الكتلة الوطنية بقيادة هاشم الأتاسي وشكري القوتلي وسعدالله الجابري وغيرهم من قادة الاستقلال، والشقّ الثاني كان وراء عبد الرحمن الشهبندر الذي انضمّ إليه سلطان الأطرش وقادة الثورة السورية الكبرى، كما جاء تسميتها لاحقاً في كتب التاريخ العربية.
ولكن بالرغم من هذه الخلافات والانشقاق بين زعماء الطائفة الدرزية من عُقّال وجهّال ورؤساء ، فإن روحاً وطنية بدأت تنمو بين كافة فئات هذه الطائفة، كما أشار إلى ذلك أندريه ريمون في الملف الذي قام بإدارته في مركز الأبحاث الوطنية الفرنسية بعنوان سوريا اليوم(1).
في شهر أيار/مايو من عام 1936، وفي زيارة لدمشق، قام بها السيد مصطفى الأطرش، كممثل عن سكان دولة جبل الدروز، أعلن أنه سيمضي إلى بيروت لمقابلة المستشار السامي الفرنسي، مطالباً بتحقيق المطالب الوطنية للسكان وعلى رأسها الاتحاد مع سوريا. وكان برأيه أن دولة جبل الدروز والتي كان عدد سكانها سبعين ألفاً، ليس لديها المقدرة والإمكانيات لإقامة دولة مستقلة، وهذا الاستقلال الذي ينعم به جبل الدروز ما كان سوى مصيبة على سكانه وذلك على المستوى السياسي والمستوى الاقتصادي، لذلك لا يمكن لجبل الدروز أن يظل منفصلاً عن الوطن الأم ومن أقصى الضرورات إلتحامه من جديد به(2).
لا بدّ من الإشارة أنّ الوطنيين الدروز استخدموا ذات العبارات التي استخدمها الوطنيون العلويون، كما شاهدنا في الصفحات السابقة، ونعود للتذكير بأنّ **دعاة الانفصال عن الوطن الأم من بين الدروز أو العلويين، كانوا من الدرجة الثانية في عشائرهم**...
في 2 كانون أول/ديسمبر من ذات العام، تمّ اجتماع في بيروت، غايته انضمام دولة جبل الدروز للجمهورية السورية، وبحضور المسؤولين السوريين على رأسهم السيد

(1) Cf. *La Syrie d'aujourd'hui*, pp 71
(2) Cf. *Asie Française*, Mai, 1936, p.136.

هاشم الأتاسي رئيس الوفد وزعيم الكتلة الوطنية، وبحضور المستشار السامي الفرنسي، الكونت دومارتل، والذي طلب من خلال الحوار المحافظة على النظام الداخلي لجبل الدروز، وتعهد جانب الوفد السوري برعايته والمحافظة عليه ضمن الوحدة السورية. وبالنتيجة حملت دولة جبل الدروز إسم محافظة السويداء، وجبل العرب بدلاً من جبل الدروز.

وحتى شهر نيسان من عام 1937، لم يكن للدروز ممثلين في البرلمان السوري، حيث أنّ الانتخابات كان يجب أن تقوم في شهر آذار/مارس، لكن الدروز كانوا منقسمين إلى فئتين، الفئة الأولى تتبع حسن الأطرش والتي كانت تريد إقامة الانتخابات مباشرة، أمّا الفئة الثانية، بقيادة عبد الغفّار الأطرش، فكانت ترفض قيام هذه الانتخابات قبل عودة سلطان باشا الأطرش إلى البلاد، الذي قاد ثورة 1925، وكان يؤيدهم في هذا الموقف أتباع عبد الرحمن الشهبندر في البرلمان. والذي كان يقود هذا الجناح المعارض من منفاه في الأردن أو العراق أو مصر(1).

وحيث أنه لم تحصل معارضة لعودة سلطان الأطرش لسوريا، فإن عبد الغفار الأطرش عارض أيضاً هذا الاندماج بسبب تعيين محافظ للسويداء من المسلمين السنّة، وهدد بالقيام بثورة في الجبل إن لم يفوض له مركز المحافظ، وتم تعينه محافظا وذلك في عام 1938(2).

إنّ انصياع فرنسا المنتدبة لمطالب الكتلة الوطنية بقضية انضمام دويلة جبل الدروز لحكومة دمشق كان بسبب قناعة تاريخية، حيث أنّ الدروز كانوا أنصار بريطانيا في المنطقة منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر، بعكس المارونيين الذين كانوا من حلفائها، فلو شاءت أن تقيم لهم دويلة أكبرعلى غرار دويلة لبنان الكبير، وذلك بإلحاق هضبة الجولان والمناطق التي توجد فيها أكثرية درزية في لبنان إلخ... وكما هو معلوم أنّ حكومة دمشق لم تتوقف عن المطالبة بإعادة دويلة لبنان، ولكن فرنسا مانعت كسند لحلفائها المارونيين في المشرق منذ نابليون الثالث.

(1) Cf. *Asie Française*, Avril 1937, p. 127.

(2) *Op-cite*. Septembre 1938, pp. 271-72.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الكتلة الوطنية في سوريا نشيطة جداً، وأخرجت السلاح القانوني وهو: أنّ الانتداب الفرنسي فُرِض عليها من قِبل عصبة الأمم التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى، وبما أنه لم يعد لها وجود وقراراتها وقوانينها أصبحت بدون فاعلية، فإن الانتداب الفرنسي المنبثق من المادة 22 عن عصبة الأمم لم يعد له وجود، وإن وجود قوات الانتداب يصبح ملغيا، واستطاعت الكتلة الوطنية باستخدام التناقض بين مصلحة فرنسا من جانب ومصلحة إنكلترا، بتوجيه هذا الخلاف لمصلحة سوريا، مع اتصالات سرّية بالاتحاد السوفيتي، فسخّروا كل إمكانياتهم العلمية والوطنية من أجل استقلال البلاد، ولكن في بلاد الشام ممزقة في أربع دويلات بينهن دويلة سرطانية على تراب فلسطين، وهي دويلة العصابات الصهيونية. واستطاعوا بعد فترة الانتداب هذه إعادة توحيد جزء من هذا التمزيق وصنع دويلة بالمفهوم الذي فرضه الغرب الأوروبي لا يزال يترنح بين أطماع دول كبرى تؤثّر عليها الصهيونية العالمية بشكل واضح، تتلاعب بمطامع ضباط في الجيش ذوي نفوس مغرورة أو ضعيفة، سنتوقف عند تدخّلهم بقضايا سلامة الدولة بشكل مفصّل. ولكن سنقدّم للقارئ قبل ذلك إحدى الأوراق الدينية المهمة عن المذهب الدرزي حتى تتوضّح أفكار ما نستطيع من الاعتقادات لتشكيلة المجتمع السوري ونحاول معاً إرساء أُسس واضحة من أجل البناء

الوطني كما قدّمنا عن المذهب النصيري. لعلّ الأجيال القادمة تفكّر بعمق في مستقبل سوريا السياسي والاجتماعي والروحي.

دراسة مختصرة عن العقيدة الدرزية

انقسم المذهب الدرزي،(أو كما يسميه أتباعه بالموحدين أو آل معروف) عن المذهب الإسماعيلي الفاطمي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله بمصر386-411 هـ/ 996-1021م) وقد أعلن الحاكم بأمر الله أنه البشري الأخير الذي تناسخ فيه خالق الكون، وهو حي يرزق، بخلاف النصيرية التي ترى بتناسخ الإله في علي بن أبي طالب الذي توفي قبل ما يقارب قرنين ونصف من إقامة المذهب النصيري، وبخلاف الإسماعيلية التي رأت في إسماعيل بن جعفر الصادق تناسخ الإله بعد وفاته. لكنَّ الحاكم بأمر الله يعلن تناسخ الإله فيه وهو حي، ولم يعادله في ذلك سوى سليمان المرشد تسعة قرون فيما بعد. وشجّعه على ذلك مستشاران له وإن كانا على خلاف، أولهما الدرّازي وهو من أصل تركي، وحمزة بن علي بن أحمد وهو من أصل فارسي، اللذان دفعا بالفكرة الإسماعيلية لحد التطرف الأقصى، واصبحت مصر حينذاك مسرحا هزلياً ليس له مثيل في التاريخ، انتهى بقتل الدرّازي، ومن ثم الحاكم ربما بمؤامرة من أخته، ست الملك، أو من قوى أخرى في القصر... واستطاع حمزة بن علي بن أحمد الهروب إلى وادي التيم في بلاد الشام، وأخذ على عاتقه نشر دعوته تحت ظلّ آخر تناسخ إلهيّ كما هو في عقيدتهم.
كيف أثبت الحاكم بأمر الله تناسخ الإله فيه !؟، وجدنا أنسبها أن نعرض للقارئ كُتيب خبر *اليهود والنصارى*، واعتمدنا بنشره على مخطوطة المكتبة الوطنية والجامعية في ستراسبورغ، رقم 4338، الأوراق 11 إلى 17، وكذلك من رسائل الحكمة، سلسلة الحقيقة الصعبة، حيث صدرت أكثر رسائل العقيدة الدرزية والذين اعتمدوا بالتحقيق على مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس.

خبر اليهود والنصارى

وسؤالهم لمولانا الإمام الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، عن شي من أمر دينهم باعتراض اعترضوه فيه وإنكار أنكروه عليه، والجواب على ذلك بما اختصّهم من القول وأسكتهم وانصرفوا مقهورين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم. حدّثَ مَن وثِق به وسكن إلى قوله مع إشهار الحديث في ذلك الوقت، أنه حضر في موقف من مواقف الدهر وصاحب العصر مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، سلام الله عليه، إذ وقف بين يديه بالقرافة في مقابر تُعرف بقباب الطير، نفرٌ فسلّموا عليه، فوقفوا عليهم حسبما كان يقف على مَن سلّم عليه، فذكروا أنهم من أهل الذمة وأنّ لهم حاجة وأنهم يهود ونصارى.
فقال عليه السلام: قولوا حاجتكم.
فقالوا: نسأل حاجتنا إذا أمنتنا على نفوسنا.
فقال: إنّ طلبة الحوائج لا تحتاج إلى أمان.
فقالوا: هي حاجة صعبة وسؤال عظيم.
فقال عليه السلام: اسألوا فيما عسى أن تسألوا ولو كان في الملك.
قالوا: يا أمير المؤمنين ما هو شيء يتعلّق بأمر الدنيا، وإنما هو شيء يتعلّق بأمر الدين وخطر عظيم، فإن أمنتنا على أنفسنا ذكرناه وسألناك عنه، وإن لم تأمنّا سألناك العفو وانصرفنا آمنين، فعدلك وأمنك قد مليا الغرب والشرق وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخلق.
قال عليه السلام: إسألوا عمّا أردتم وأنتم آمنون بأمان الله تعالى وأمان جدّنا محمّد وأماننا لا منكوث عليكم في ذلك ولا متأوّل.
قالوا: يا أمير المؤمنين، إنّ الذي نسألك عنه خطر عظيم وأمر جسيم، وأنتَ صاحب السيف والملك ولا نشك في أمانك، ولكننا نخشى من سفهاء الأمة.
قال عليه السلام: قولوا وأنتم آمنين من جميع الناس والأمة.
قالوا: يا أمير المؤمنين، أنت تعلم أنّ صاحب الشريعة، الذي هو محمد بن عبدالله، الرسول المبعوث إلى العرب، الذي لهجرته كذا وكذا سنة. وذكروا عدد السنين التي لهجرته إلى تلك السنة التي خاطبوه فيها. أنه حين بُعث إلى العرب وجاهد سائر الأمم، لم يسومنا الدخول في شريعته إلا أن اخترنا ذلك بلا إكراه، وأداء الجزية، ولم يكلّفنا إلاّ هذا. وكذلك كل واحد من أئمة دينه وخلفاء مذهبه ومتفقهي شريعته. لم يسمنا ما سمتنا أنتَ إياه من هدم بيَعنا وأديارنا وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا، فيها حكمة بالحلال والحرام والقصاص، حتى أنك أبحت التوراة والإنجيل يشد فيها الدلوك والصابون وتباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة. وقد أخبر صاحب الملّة والشريعة عن ربه فيما نزل عليه، أنّ التوراة فيها حكمة الله، ثم أنه ذكر في غير موضع في الكتاب المُنزَل عليه تفخيم أمر رسلنا والأفاضل من (أ)تباعهم مثل ما هو موجود في كتبنا، وأكثر القرآن المُنزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى ويوشع وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وزكريا ويوحنا(وردت يحنا) وهؤلاء كلهم أنبياؤنا وأئمة شرائعنا، ومثل ما ذكروا الفضلاء منّا، مثل بقايا موسى وحواري عيسى، وما حكاه أيضا في الكتاب المنزل عليه في تفضيل قسسنا ورهباننا بقوله:< أن فيهم قسيسا ورهبانا وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول تفيض أعينهم بالدمع مما عرفوه من الحق<(1) ولو استقصينا كل ما جاء في الكتاب المُنزل

عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا، لكان أكثر ما نزل عليه في هذا المعنى. ثم قد كان من خلفاء الملّة وأئمة الشريعة المحمودين آباؤك، والمذمومين أعداؤهم وأعداؤك، مثل بني أمية وبني العبّاس، ممن عتا في الأرض وملكها طولا وعرضـ(ـا) مع اتساع ملكهم وعظم سلطانهم، وكان يُخطَب لهم في كل بقعة بلغت إليها دعوة رسولهم وصاحب شريعتهم، ولم يُحدثوا علينا رسم، ولا نقضوا لنا شرطا، اقتداءً منهم بصاحب ملّتهم وشريعتهم، ولعلمهم بتفضيل رسلنا وتعظيم كتبنا وملّتنا وشريعتنا المذكورة على لسان نبيهم.

(1) سورة المائدة، الآيتان 82 و83، النص القرآني هو التالي: أنّ فيهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق.

فمن أين جاز لك أنت يا أمير المؤمنين أن تتعدّ(ا) على حكم الملّة والشريعة وفعل الخلفاء والأئمة الذين ملكوا قبلك البلاد والأمة، وليس أنت صاحب الشريعة، بل أنتَ أحد أئمة صاحب الشريعة وأحد خلفائه والقائم في شريعته لتتممها وتشد أركانها وبنيانها، وبذلك نطقت في كلامك في غير موضع من مواقفك التي خاطبت بها وأشهرَ ذلك عنك أقرب الناس إليك من أوليائك وأنتَ تفعل معنا ما لم يفعله الناطق(1) معنا ولا أحد من أئمته وخلفائه. كما ذكرناه. وهذه حاجتنا التي سألناها وأمرنا الذي قصدناه وطلبْنا الأمان عليه، ونريد الجواب عنه، فإن يكن حقاً وعدلاً آمنا به وسدقناه(صدقناه) وإن يكن متعلقا بالملك والدولة والسلطان بقينا على أدياننا، غير شاكّين في مذاهبنا، وأزلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من أهل ملّتنا، وما جئناك إلاّ كمستفهمين غير شاكّين في عدلك ورحمتك وإنصافك، وعلى هذا أخذنا أمانك وقد قلنا الذي عندنا وأخرجناه من أعناقنا كما تقتضيه أدياننا. والأمر إليك. فإن تقل لنا سمعنا وأطعنا وأجبنا، وإن أذنت لنا ولم تقل انصرفنا ونحن آمنون بأمانك الذي أمنتنا.

فقال عليه السلام: أمّا الأمان فباق عليكم، وأمّا سؤالكم فما سألتم إلاّ عمّا يجب لمثلكم أن يسأل مثله. وأمّا نحن فنجيبكم إنشاء الله، ولكن أمضوا وعودوا إليّ هاهنا ليلة غد، وليأت كل واحد منكم، يعني من اليهود والنصارى، بأفقه من يقدر عليه من أهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم والكلام معهم.

ولمّا كان في ليلة غد، حضر(وردت حضروا) القوم في المكان بعينه ووقفوا وسلّموا وقالوا: قد أتينا بمن طلبه أمير المؤمنين منّا. وقدّموا أحد عشر رجلاً ومن قبل سبعة. فقال لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أهؤلاء(وردت لهؤلاء) اخترتم ولهم قدّمتم؟

قالوا بأجمعهم: نعم يا أمير المؤمنين.

قال للنفر: وأنتم رضيتم أن تكونوا متكلّمين عن أهل ملّتكم نائبين عنهم؟

قالوا: نعم.

(1) الناطق تعني هنا النبي محمد(ص) والنطقاء السبعة هم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وسعيد وهو عبيدالله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية.

قال: فهل تعلمو(ن) في مِن أهل ملّتكم مَن هو أفقه منكم؟

قالوا: لا.
قال عليه السلام: وأنتم تحفظون التوراة والإنجيل وأخبار الأنبياء؟
قالوا: نعم.
قال عليه السلام: عارفون بمبعث صاحب الشريعة الذي أنا قائم بملّته وذابّ عن شريعته وسيرته وأخباره وما جرى بينه وبين رؤساء ملّتكم ومتقدّميكم من اليهود والنصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات...ومن سلّم لأمره منهم ومن لم يسلم من مبعثه إلى حين وفاته؟
قالوا: لم نحط بذلك كله ولكن أحطنا بأكثره مما يلزمنا حفظه وعلمه مما جرى بينه وبين علمائنا، تصحيحا لمذهبنا وشريعتنا، وذلك عندنا محفوظ مدوّن مكتوب تتوارثه أحبارنا وأحبار عن الأولين من قبلنا، حتى وصل ذلك إلينا، ويتصل ذلك بغيرنا، كما وصل إلينا، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.
قال عليه السلام: إنّ أصحابكم سألوني البارحة عن أمر(وردت سؤال) بعد أن أخذوا أماني على نفوسهم وأوعدتهم أن أجيبهم عن سؤالهم إذا أحضروا علماءهم(وردت علماؤهم) وقد حضرتم واعترفوا لكم بالعلم والفضل، وصدّقتموهم(وردت سدّقتموهم) أنتم على ذلك واعترفتم عندي به لمّا قلت لكم، أتعرفون في هذه البلدة من هو أعلم منكم من أهل ملّتكم بأخبار صاحب شريعة الإسلام ونسبه وشيعته وعلمه وشريعته؟
قلتم: لا. وأنا أسألكم وفي آخر السؤال أجيبكم وأُخبركم بما سألوني عنه أصحابكم، وأماني فباق عليكم وعليهم، على شرط وهو انّي كلما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم وشريعتكم، ومذهب صاحب ملّة الإسلام وشريعته، فتجيبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم المُنزلة على أنبيائكم ومدوّن في كتب رؤسائكم وعلمائكم وأحباركم. وما لم يكن عندكم ولا تعرفونه ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولا قول حكيم مرسَل، فردّوه علي وادفعوه بحججكم التي عسى أن تدفعوا بها سواي، وما عرفتموه وتفهّمتموه فلا تنكروني إياه لقيام الحجة عليكم به وفيه.
قالوا: نعم.

قال لهم: إن صدقتم(1) فأماني يعمّكم، وإن كذبتم انفسخ أماني عنكم وعاقبتكم وكانت عقوبتكم جزاء لكذبكم. أرضيتم ؟
قالوا: نعم.
قال: أبلغكم أنه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الإسلام، أتاه رؤساء شريعتكم وعلماؤكم من الملّتين اليهود والنصارى، وهم فلان وفلان وفلان. وسمّى لهم رجالاً من أحبارهم ورهبانهم وأمسك.
فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين، وفلان وفلان وفلان. وسمّوا له بقية أسماء الرجال حتى أتوا على آخرهم.
قال عليه السلام: قد صح عندي أنّكم صدقتم لمّا تممتم أسماء الرجال الباقين الذين بدأت أنا بذكرهم. أفي ذلك عندكم شك تشكّون فيه أو ريبة ترتابون منها ؟
قالوا: لا.
قال لهم لمّا استحضرهم، ما قال لهم؟

قالوا: يقول أمير المؤمنين، فمنه القول ونحن سامعون. فما عرفناه أقررنا به وسلّمنا فيه، وما لم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرناه لأمير المؤمنين.
قال عليه السلام: قال لهم صاحب الملّة والشريعة(أي النبي محمّد ص) ألم تكونوا منتظرين لزماني، متوقّعين لشخصي، ترجون الفرج من ظهوري؟ فلمّا أن ظهرت فيكم وأعلنت دعوتي وشهرتُ أمر ربي كذّبتموني وجحدتموني ونافقتم علي. فطائفة منكم قاتلوني وطائفة منكم رحلوا من جواري حسداً لي وبغضة حسب ما تفعله الأمم الباغية في الزمان المتقدّمة، إذ ظهر مثلي سنّة اسنّها الظالمون، أوّلهم إبليس اللعين مع آدم الكريم، فهل كان ذلك منه إليهم؟
قالوا: نعم.
قال: فإذا علمتم أنّ ذلك قد كان منه، فما كان جوابهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامه؟

(1)يستخدم الدروز السين بدلاً من الصاد مع كلمة الصدق وتوابعها من فعل واسم فاعل ...!

قالوا: قد قلنا، أولى لأمير المؤمنين أن يقول، ولنا ان نسمع، ونحن محمولون على الشرط الأول الذي شرطه أمير المؤمنين علينا. أمّا ما عرفناه أقررنا به، وما لم نعرفه أنكرناه، فنربح في ذلك سلامة أدياننا بالتصديق بالحق وسلامة أنفسنا من القتل بالتزام الشرط.
قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: كان جوابهم أنهم قالوا ما أنتَ الذي كنّا منتظرين لزمانه متوقّعين لشخصه، ولا الذي نرجو الفرج من ظهوره.
قال لهم: ما دليلكم على صحة ذلك أنّي ما أنا هو؟
قالوا: ما هو مأثور عندنا وموجود في كتبنا وبشّرت به أنبياؤنا لأممهم.
قال لهم: ما هو بيّنوه.
قالوا: ثلاث خصال: أحدهما ليس اسمه كاسمك، وقد نطق بذلك لسانك في نبوتك وجهرتَ به لأصحابك وجعلت ذلك فضيلة لك، فمنه أخذناك لمّا قلت ما حكيته عن المسيح< ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد يحلل لكم الطيبات ويحرّم عليكم الخبائث ويضع عنكم ضرّكم والأغلال التي كانت عليكم.(1) فهو كما قلنا ما أنتَ المُسمّى، إذ اسمك محمّد، والذي بشّرت به باتفاق منّا ومنك اسمه أحمد.
والثانية: مدته قد بقي لها أربع مئة سنة من يوم مبعثك إلى حين ظهور هذا المُنتظر، فقد خالفته أيضاً في الإسم والمدة.
والثالثة: المنتظر، إنما يدعو إلى توحيد ربه بلا تعطيل ولا تشبيه ولا كلفة تلحق نفوسنا حسب ما ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ووضعه عنّا ضرنا والأغلال التي كانت علينا.
فأيّ حجّة بقيت لك علينا، وليس اسمك اسم من يُنتظر بقولك ولا فعلك فعله ولا المدة مدته. فقد خالفته كما قلنا في الإسم والمدة والفعل. وإذا كنتَ إنما تدوعنا إلى شريعة

(1) سورة الصف، الاية 6 وسورة الأعراف، الآية 157 ونصها في القرآن الكريم التالي: ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

فبقاؤنا في شريعتنا آثر وخير لنا. وصفة المنتظر عندنا رفع التكليفات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك وأن لا يتجاوزه في عصره كافر ولا منافق. وأنتَ أكثر أصحابك يظهرون النفاق عليك. وإنما بغلبة سيفك عليهم سلّموا لأمرك، وإذا كان ذلك فلمَ تلومنا على قتالك وتناقلنا على طاعتك والدخول في شريعتك.
ثم قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أكذا كان؟
قالوا: نعم. كذلك كان وكل قولك حقٌّ وصدق.
قال: فما كان جوابه لهم عن هذا الكلام؟
قالوا: يقول أمير المؤمنين حسب ما جرت به العادة ونسمع ونعترف بالجواب إذا علمناه، وننكره إذا جهلناه.

قال لهم عليه السلام: أما إذا عرفتم ذلك وعلمتموه فلا شك أنكم تعرفون صفة الحال كما جرت إن شاء الله. ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان جوابه لهم لا أُقاتلكم على الدخول في ملّتي ولتكذيبي والصدوف(؟) عن أمري لأنّكم أصحاب شرائع وكتب متمسّكون بأمرها ناطقون. ولسـ(ـت) أقاتل من هذه صفته ولا أنا رافع الشرائع ولا ذلك كلّه إلي، بل كل ما ملكتُ بلداً بسيفي ممن فيه عبدة الأوثان والتناذر فلي أن أُلزمهم الدخول في ملّتي وأقتلهم. ومن كان في البلدة منكم عرضت(وردت أعرضت) عليه إما الدخول في ملّتي واتباع أمري وشريعتي، أو أداء الجزية. فإذا كره الوطن الذي ملكته وبسيفي فتحته، فمَن وزن الجزية منهم أقررته في مكانه، ومن انتقل عنّي تركته، ومن قاتلني منهم على مثل ذلك قاتلته، وانتظرت فيكم حكم ربي.
قالوا: لك ذلك، فما قلتَ إلا حقّا، ولا نرى (وردت نرا) منك إلا صدقاً.

قال لهم: إذا استقرَّ ذلك بيني وبينكم وقد تأوّلتم عليَّ ودفعتم منزلتي وفضلي الذي أتاني من عند ربّي وزعمتم أنّ الذي تنتظرونه له اسم تعرفونه وفعل تعلمونه وتنتظرونها، وهي من مبعثي إلى حين ظهور هذا المُنتظر، بقي له أربعمئة سنة، فاكتبوا بيني وبينكم مواصفة تتضمّن كل ذلك وذكره. على أنّكم تدفعون إليّ الجزية طول تلك المدة
التي ذكرتم أنّ المبعوث إليكم فيها يأتي غيري، فإن كنت من جملة المخترصين(1) الكذّابين فأنتم تكفو(ن) مؤنتي ويرجع إليكم الملك إذا ظهر مَن تنتظرونه. وإن لم يظهر ومدتي قائمة وشريعتي ماضية وحكمي لازم، ولم يأتكم في هذه المدة مَن تنتظرونه، فلصاحب ملّتي والقائم بدعوتي والإمام الذي يكون في ذلك العصر أن يدعوكم إلى ما دعوتكم إليه اليوم. فإن أجبتموه سلمتم وسلّمتم، وإن أبيتم عليه كما ابيتم عليَّ وصددتم عنه واستكبرتم، فله أن يأخذ بالشرط الذي شرطتموه على أنفسكم ويقابلكم، فإن قاتلتموه قتلكم، ولا يقبل لكم عذراً ويستبيح ملّتكم ويهدم شريعتكم بهدمه لبيَّعكم ويعطّل كتبكم، ويكون ما بقي لكم عذر تحتجون به ولا محال تركنون إليه ولا إبليس تعوّلون عليه. وهو المنصور عليكم يقطع شأفتكم وشأفة(2) كل الظالمين. فهذا نص المواصفة، أهكذا هو؟
قالوا: نعم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: والمواصفة لم تزل تنتقل من بعد صاحب الشريعة والملّة من وصيّ صادق إلى إمام فاضل حتى وصلت إليّ وهي عندي.
فلم يكن عليه السلام أن ينقص شرطا أسسه وحكما بيّنه وهو معروف وقت أن نشأ في الجاهلية، محمّد الأمين. فكيف ينقض ما أنعم به عليكم، ولم يُجزْ لآحد أئمة دينه وخلفاء شريعته أن ينقص ما أمر به قبل انقضاء المدة اتّباعا وتسليما لحكمه.
فلمّا وصل الأمر إليّ وانقضتْ تلك السنون المذكورة في المواصفة في عصري، وعند تمامها أمري، أخذت منكم بحقّه ودعوتكم إلى شرطكم وشرطه حسبما تقتضيه الأمانة وحكم المعاهدة. أكذلك بلغكم صفة الحال؟
قالوا: نعم كذلك كان.

قال: فأي حجّة بقيت لكم عليه وعليّ بعدما أوضحناه. وأي أمر تعدّيت فيه بزعمكم عليكم إذا كنت بشرطكم أخذتكم، وما كنتم تنتظرونه أقمته عليكم، وقد أوسعتكم حِلماً

(1) المخترصين، تعني الكذّابين
(2) شأفة الرجل، أهله وماله.

وعدلاً، إذ أبقيّتُ نفوسكم على أجسامكم ونعمكم عليكم، إمهالاً لتنتبهوا بعد الغفلة وتسلّموا بعد المعاهدة. فأي حجّة لكم بعد ما وصفناه وأي حقّ معكم بعدما قلناه، وأي عذر يقوم لكم بعدما شرحناه. قولوا واسألوا تُجابوا وتُنصفوا. ولا يكون لكم قول ولا حجّة.
فانصرفوا محجوبين كاذبين نادمين شاكّين خائبين.
قال: ماذا تقولون؟
قالوا بأجمعهم: هذا والله كلّه حق وصدق، لا نشكّ فيه ونرتاب به. قد سمعنا لو فهمنا ولله الحجة البالغة ربّ العالمين. وصلى الله على نبيه وآله الطاهرين.
تمّ الكلام في هذا الفصل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله وحده وبه أستعين.*

---

* أقلّ ما يمكن أن يُقال: ما أشبه الماضي بالحاضر، وما أشبه الحاكم بأمر الله بمعمّر القذّافي وسليمان المرشد وعبدالله الصالح، وما أشبه اليهود والنصارى في هذا الموقف بمجلس الشعب السوري الذي يقف بذل أما بشار الأسد وأمام أبيه من قبل.

العقيدة الدرزية

كما أسلفنا في الصفحات السابقة، بأنّ المذهب الدرزي أو كما يطلقون على أنفسهم إسم آل معروف أو الموحدين، قد ابتدأ في مصر، وانتهى فيها عام 411هـ/1021م.

بالنسبة لهم، الله هو السابق وقد أظهر برودته وسكونه، بينما أظهر الحاكم بأمر الله، وهو التالي، حرارته وحركته، فإن حدود السابق تكمن عند التالي. أمّا الناطق، محمد بن أبي كبشة(أي رسول الله) فقد أظهر اليبوسة، وأظهر أساسه، أي علي بن أبي طالب، الحركة.(1)
المكانة الخامسة محفوظة لحمزة بن علي بن أحمد، هو الإمام والقائم والعقل الكلّي(2). وهذا يعني أنه يعادل مكانة النبي محمّد(ص) عند النصيرية كما رأينا في الصفحات السابقة. ويعادل القديس بولس عند المسيحية(3) كما أنّه يعادل المقداد بن الأسود الذي يحتل المكانة الخامسة عند النصيرية. كل هذه الأقاب أُعطيت لحمزة بن علي أو أعطاها لنفسه، حيث أنّه الرجل الوحيد الذي مات موتا طبيعياً من بين مؤسسي المذهب ونعني بذلك الحاكم بأمر الله والدرّازي اللذان قُتلا في مصر قبل انتشار المذهب في بلاد الشام(4).
يليه في المكانة والأهميّة، إسماعيل بن محمّد التميمي كوزير ثاني، ثمّ محمّد بن عبد الوهّاب القرشي كوزير ثالث، وأبو الخير سلمان بن عبد الوهاب السامري كوزير رابع، وأخيراً عبد الحسن بن أحمد السموقي كوزير خامس(5).

(1) أنظر *كتاب النقاط والدواير*، ص 45-46
(2) أنظر المرجع السابق ص49 وانظر *دار المعارف الإسلامية* مجلّد 2 ص 648.
Cf. Kamal JOUMBLAT, *pour le Liban*, p.100(3)
(4) Cf. Sylvestre de SACY, exposé de la religion des Druzes, II, p.1-2
.. (5) Ibid, pp2-13

ولكنّ المكانة التي يحتلها حمزة بن علي بن أحمد عند الدروز لا تقلّ عن مكانة الأنبياء في الديانات السماوية.
ويمكننا استعراض الشخصيات الرئيسية في المذهب الدرزي كالتالي:

(1) الله = السابق، صفته البرودة (2) الحاكم بامر الله = التالي، صفته الحركة

النطقاء السبعة، يصحبهم الأسس السبعة:

آدم - نوح - إبراهيم - موسى - عيسى - محمّد - سعيد(عبيد الله المهدي)

شيث - سام - إسماعيل -هارون- شمعون - علي - ميمون

الأئمة السبعة:

الحسن – الحسين – زين العابدين – الباقر – الصادق – إسماعيل – حمزة.

الوزير الأول – الوزير الثاني– الوزير الثالث – الوزير الرابع- الوزير الخامس.

حمزة - إسماعيل التميمي- محمد القرشي – سلمان السامري- عبد الحسن الساموقي.

العقل الكلّي - النفس الكلّية - الكلام - الجناح الأيمن - الجناح الأيسر(1)

كما نلاحظ أنّ المذهب الدرزي متأثّر بالمذهب الإسماعيلي ولكنه يدفع بالنظرية الاسماعيلية إلى حدّ التطرّف ويرفض جميع الأديان الأخرى، كما نقرأ في إحدى مخطوطاتهم، عند الخلائقي اعتقادهم التالي:*<< وما من ناطق إلاّ ونسخ شريعة من كان قبله من المتقدّمين، ومحمّد بن عبدالله، الناطق السادس، لمّا ظهر بالنطق، نسخ الشرائع كلها وسدّ الطريق... ومولانا الحاكم البار العلاّم، قد نسخ شريعة محمّد بالكمال ظاهراً للمؤمنين، وباطناً للموحّدين أولي الألباب>>*(2).

ثم أنّه يبطل المذاهب التي تتبع تفسير التنزيل، المعتمد عند أهل السنة، أو تفسير التأويل، المعتمد عند أهل الشيعة الإمامية، بقوله: *<< إنّ أنكر الأصوات، يعني*

(1)أنظر الخلائقي، *ميثاق وليّ الزمان*، الأوراق 18-33 و51-69.

(2)أنظر الخلائقي، *ميثاق وليّ الزمان*، الأوراق31-32.

الدعوة الظاهرة، لصوت الحمير... وتعلّق أهل التاويل بعلي بن أبي طالب وعبادته من استعمال الناموس الظاهر... دليل على بطلان الشريعتين، الناطق والأساس>>(1)

ومن ثمّ استبدل الدروز أركان الإسلام الخمسة لدى أهل الجماعة(السنة) والأركان السبعة لدى الشيعة(2) بأركان سبعة فرضها على أتباعه وهي:*<<واعلموا أنّ مولانا جلّ ذكره، قد أسقط عنكم سبع دعائم تكليفية ناموسية، وفرض عليكم سبع خصال توحيدية دينية، أوّلها وأعظمها صدق(وردت سدق) اللسان، وثانيها حفظ الإخوان، وثالثها ترك ما كنتم عليه من عبادة العدم والبهتان، ورابعها البراءة من الأبالسة والطغيان، وخامسها التوحيد لمولانا جلّ ذكره في كلّ عصر وزمان ودهرٍ وأوان، وسادسها الرضى بفعله كيف كان، وسابعها التسليم لأمره بالسر والحدثان>>*(3)

بقي أن نلفت نظر القارئ حول نظرة الدروز للعلوية النصيرية، وكذلك نظرة العلوية النصيرية للدروز. فكلاهما يعتبر الآخر عدوا له، وقد توقّفنا عند هذه النقطة الحرجة في كتابنا: مدخل إلى المذهب العلوي النصيري بشكل واضح كما ندعو القارئ لقراءة *الرسالة الدامغة للفاسق، الرد على النصيري، لعنه الله*. لحمزة بن علي بن أحمد التي نُشِرتْ في *سلسلة الحقيقة الصعبة، رسائل الحكمة*، المجلّد الثالث، صفحات 163-175 دار لأجل المعرفة، عام 1986.والتي نشرناها في الصفحات التالية...

(1) المصدر السابق، الورقة 60.

(2) أركان الإسلام كما نعرفها هي الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، وتضيف الشيعة الإمامية: الجهاد والولاية لآل البيت.
(3) أنظر الخلائقي، *ميثاق ولي الزمان*، ص. 60، *وكتاب النقاط والدواوير*، ص. 64.

الباب الرابع
تاريخ سوريا منذ الاستقلال حتى سنة 1963.

كما رأينا في الصفحات السابقة، فقد تمّ ضُمّ دويلتي العلويين وجبل الدروز للجمهورية السورية تحت إسميّ محافظة اللاذقية ومحافظة السويداء، وتسلّم أمور هذه الجمهورية الوليدة قيادات الكتلة الوطنية، وكان ذلك نتيجة طبيعية بعد المقاومة الذكية التي أوصلت البلاد للاستقلال السياسي وتحقيق الجلاء كاملا دون بقاء أيّة قاعدة عسكرية لدولة الانتداب على أراضي الجمهورية السورية. بالإضافة لخبرتهم السياسية في تلك الفترة.
ولكن بعد أن خرجت قوات الانتداب من البلاد انقسم قادة الكتلة الوطنية على أنفسهم لحزبين: الحزب الوطني مع أكثرية دمشقية، وحزب الشعب مع أكثرية حلبية. الحزب الوطني وكانت له الأغلبية في البرلمان، انحاز لمصر والسعودية، والحزب الثاني، الشعب، الذي كان يُشكّل المعارضة انحاز للعرشين الهاشميين في العراق والأردن.
وتشكّل على الساحة السياسية أحزاب أُخرى منها ما كان موجوداً قبل الاستقلال ومنها من تمّ إنشاءه بعد الاستقلال. هذه الأحزاب هي الحزب القومي الاجتماعي السوري الذي أسسه أنطون سعادة، وكان له وجود في لبنان وسوريا، والحزب العربي الاشتراكي الذي أسسه أكرم الحوراني في ريف حماه، والحزب الشيوعي السوري الذي كان يتزعّمه خالد بكداش وأكثر أعضائه كانوا من الأكراد، وحزب الإحياء العربي، والذي حمل فيما بعد أسم البعث العربي ويتزعّمه ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، وتمّ اختلاس هذا الاسم من زكي الأرسوزي الذي أقامه على أنقاض عصبة العمل القومي التي انتهى نشاطها بعد وفاة أمينها العام، عبد الرزّاق الدندشي منذ أواخر ثلاثينات القرن العشرين.
منذ قبل الاستقلال كانت هذه الأحزاب تتناحر فيما بينها وتتنافر، وكأنّ الوعي للانتماء إلى الوطن قبل كلّ شيء كان مادة ثانوية. حيث أنّ الانتماء لهذه الأحزاب لم يكن إيماناً بمبادئه أو ببرامجه، هذا إن كانت هنالك برامج واضحة تخطط لمسيرة سوريا كدولة عصرية بعد الحرب العالمية الثانية. فكان الانتماء إمّا مذهبي أو لزعيم في الحي أو للقبيلة أو للأصول العرقية، وكانت العروبة لها مكانتها قبل سوريا ولكن بمفهوم رومانسي وشوفاني، فلم تستطع الجماهير فهمها سوى من خلال شعارات لا وضوح لها، ولم يستطع قادة الأحزاب التعبير عنها وعن مفهومها حتى وقتنا الراهن، بعكس ما استطاع أن يصل إليه الفرنسيون مثلاً بمعنى الجمهورية، كنظام دولة، أو تركيا كأمّة عريقة، وهذان المثلان قدمناهما لقرب العلاقة مع الجمهورية السورية الوليدة من الناحية

التاريخية والسياسية بالنسبة لفرنسا، كدولة انتداب، أو بالتلاحم الجغرافي والتاريخي مع تركيا... ولكنّ قادة الحزبين اللذين حكما البلاد اتجها لأخذ العبرة من دول عربية مجاورة لم تكن سوى شبه مستقلّة تحت تأثير السياسة البريطانية بشكل ديمومات، ونعني بذلك مصر والأردن والعراق، أمّا السعودية فلم يكن قد تمّ إقامة قواعد الدولة فيها لأسباب يطول شرحها الآن ولكن نقتصر على نقطة أساسية وهي الأميّة التي كانت منتشرة إلى أكثر من 90% بين سكانها إلخ.. وهنا نتمثّل بالمثل العربي القائل: *فاقد الشيء لا يعطيه*.
لقد خلت الأحزاب السياسية فعلياً من وضع برامج تنمية وانخرط رجال السياسة في تناحر وصولي لا يجدي وكأن عنوانه عدم الانخراط في استصلاح الأراضي والتصنيع ما خلا النسيج وبعض المعامل التي بدأت تبشّر ببعض الخير من بوادر لم تشارك بها الدولة كمدّ السكك الحديدية لربط البلاد فيما بينها وبناء السدود والأقنية وتطوير الجامعات والمدارس التقنية والمهنية. ولسنا لننكر أنّ قضية فلسطين كانت شغله الشاغل بشكل أقرب منه إلى المزاودة بالنسبة للوصول إلى الهدف المرجو، ولا يُنسى للمرحوم شكري القوتلي تلك العبارة: *فلسطين لنا وستبقى لنا ولو أطبقت عليها شعوب الأرض...*
ولكن الأحزاب الصغيرة اتخذت لنفسها منحى آخر، فراحت تبحث عن أتباع لها في صفوف الأقليات العرقية أو الدينية في الأرياف والمدن. بالنسبة للحزب الشيوعي السوري، الذي يعتبر أقدم حزب في البلاد، والذي تمّ تأسيسه سنة 1924، ظلت أكثرية أعضائه من الأكراد، وبقي خالد بكداش أميناً عاماً له منذ عام 1933 حتى وفاته عام 1995، وكان منحصراً بشكل خاص بين أكراد دمشق...
الإخوان المسلمون دخلت حركة جماعتهم إلى سوريا في مطلع الخمسينات، وكان على رأسها الأستاذ مصطفى السباعي، وجدت أتباعها بين أبناء الطبقة الوسطى في المدن الكبرى، دمشق وحمص وحماه وحلب واللاذقية. العربي الاشتراكي بقيادة أكرم الحوراني، وجد أتباعه مقتصراً على ريف حماه. الحزب القومي السوري والذي أسسه أنطون سعادة، من الروم الأرثوزكس كان أكثر أتباعه من المذهب الذي يعتنقه مؤسس الحزب، ثم تكاثر فيه منتمين من العلويين والدروز والإسماعيليين. وأخيراً حزب الإحياء العربي الذي حمل حزب البعث العربي، وكان أكثر أتباعه من أبناء الطوائف الباطنية، للعلويين زعيم في الظاهر وهو ميشيل عفلق، وزعيم في الباطن وهو زكي الأرسوزي، بواسطة محمّد الغانم...
وبعيداً عن البحث في استقرار البلاد، كانت هذه الأحزاب بقياداتها تتهافت وتتصارع وتُباع وتبيع من أجل الوصول إلى السلطة دون الأخذ بعين الاعتبار أنّ مصلحة الوطن فوق مصالح الأحزاب والأديان التي تحوّلت إلى طوائف ومذاهب. وإن لم تكن الغايات الطائفية مأخوذة بعين الاعتبار في تلك الفترة من قِبَل الأكثرية، فقد تقبّلت الأحزاب والمنتمين إليها ما هبّ ودبَّ، ولم تكن تعنيهم قضية الكيف بقدر ما كانت تعنيهم مسألة الكم.

وهكذا شكّلت مشكلة الأحزاب معضلة قاتلة في مصير سوريا في السنوات التالية، منها عن قصد ومنها ما كان عن غير قصد. والانتماء لهذه الأحزاب لم يكن عن مبدأ فكري (إيديولوجي) وإنما كان لمرضاة قريب من العائلة أو العشيرة، او لمرضاة صديق، أو للإعجاب بشخصية ما في هذا الحزب او ذاك، لدرجة أنّ الكلمات المستخدمة من لغات

أوروبية كانت الجماهير لا تعي معناها وكان بعضهم يخلط ما بين البرجوازية والإرتوازية، وما بين وعد بلفور وبين واحد من فوق (وشرّ البلية ما يُضحك).

تلك الأحزاب التي لم تكن تعي ما تطلق من الشعارات، والتي حاولت أن تشقّ للجماهير العربية طرقاً على أشكال الأحزاب السياسية في أوروبا، كالاشتراكي الفرنسي والنازي الألماني والفاشي الإيطالي، حاولت أن تكحّل أعين أحزابها بشيء من الحضارة والفكر العربي الإسلامي ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً، فلم تعد كالأوربيّة ولم تستطع فهم الإسلام كرسالة أممية، وراحت تتصرف خبط عشواء تميل إلى قيادات الجيش التي لم تحقق سوى الانقلابات العسكرية بتسيير من الدول الكبرى وخاصة المخابرات الانكليزية والأمريكية. وأخذت تشجّع فتيانها للدخول في الكليات العسكرية، وكان أوّل السبّاقين لانخراط الحزبيين فيها هم القوميون السوريون منذ عام 1938. ثم تلاهم البعثيون في النصف الثاني من أربعينات القرن الماضي(1) ثم لجنة ضبّاط الشوام في الخمسينات، وضباط الجزيرة واللجنة العسكرية التي حكمت سوريا وأوصلت من بعدهم أبناء المؤسسين إلى الحكم فيما بعد كما سنرى ذلك في الصفحات المقبلة.

ولكن قبل تأسيس هذه الأحزاب، اعتمد الفرنسيون منذ بداية الانتداب على أبناء الأقليات الدينية لإنشاء جيش المشرق، خمسة آلاف مجنّد، من بينهم مئتي ضابط من سكّان الجبال: علويون ودروز وإسماعيليون وشراكس، بينما رفض تجار دمشق وحلب الأغنياء إرسال أبنائهم إلى الجيش(2) وهكذا استطاع كل من القومي السوري والبعث أن يفرضا شيئاً من الثقل في الجيش، وقبل كل شيء طمعاً بالسلطة، حيث كان هذان الحزبان بسبب أنّ المؤسسَين ليسا من المسلمين أو أنهما عَلمانيين، ملتقى لأتباع المذاهب الباطنية، من إسماعيليين ودروز وعلويين(3) وباسم تحرير فلسطين والحرية والوحدة، كانوا طائعين في البداية لقادتهم ثم أداروا لهم ظهورهم، كبعض أعضاء الحزب القومي السوري، مثل محمّد حسن ناصر، علوي وقائد الطيران حتى عام 1950 وكذلك أديب الشيشكلي(4)، ومن بعدهما في حزب البعث صلاح جديد، الذي لم ندرك هل هو بعثي أم قومي سوري، ومحمّد عمران الذي لم ندرِ هل هو وحدوي ناصري أم بعثي، ومن دون شك حافظ الأسد الذي كان بعثياً ظاهراً وعلويا باطناً وأسرته باطن الباطن. وهكذا فإن ضباط الجيش جعلوا من هذا الجيش عبئاً على الوطن بدلاً من أن يكون ساعده الأساسي لحمايته وبنائه.

(1) أنظر سامي الجندي، *البعث*، ص. 32، ومنير مشابك موسى، *دراسة عن المجتمع العلوي النصيري*، باللغة الفرنسية، المجلّد الثاني، ص. 938، ونيكولا فان دام، *الصراع على السلطة في سوريا*، باللغة الانكليزية، ص.45.

(2) Cf. *Revue de la Défense Nationale*, juillet 1970, p.1106.

(3)أنظر منير مشابك موسى، المرجع السابق، ص.953.

(4)Cf. Claude PALAZZOLI, *La Syrie, le rêve et la rupture* .p.79.

ونقطة أخرى أضاعت المواطن العادي وهي احتجاب تصريحات قادة هذا الجيش وراء القضية الفلسطينية، فالسوريون بشكل عام في تلك الفترة كانت رؤيتهم لفلسطين بأنها جزء لا يتجزّأ منها، وبقيام دولة إسرائيل على جزء من تراب سوريا التاريخية أمرٌ كان

عامة السوريين مستعدين للتضحية من أجله بكل غال ورخيص، وقد استغل جميع العسكريين ومن قبلهم الأحزاب بكافة أشكالها هذه النقطة أمام الجماهير دون التخطيط لهذا المطلب المقدّس سوى بهتافات تناولها القادة من مدنيين وعسكريين على مدى عقود. ولا ننسى أنّ من أكبر المجاهدين في فلسطين في سنوات الثلاثينات والأربعينات كانوا من سوريا، ونعني بذلك عزّ الدين القسّام وسعيد العاص وحسن الخرّاط وأمثالهم.

يجب أن نلفت نظر القارئ أيضاً بأنّ تكوين الشعب السوري يكاد يكون دون مثيل، وكما كتب المفكّر اللبناني جواد بولس، منذ مطلع الستينات من القرن الماضي: *عدم الاستقرار هو عدم القدرة على التعايش ما بين سكّان المدن والبدو وسكان الجبل وسكّان السهول، هذه الحالة تنطبق على سكان سوريا بشكل خاص، فالسوري الدمشقي ليس كالسوري الحلبي، واللاذقاني المتوسطي ليس كالحمصي الأسيوي، بالرغم من أنّ المسافة الفاصلة بينهما لا تتعدى المئة والخمسين كم. فهذه المسافة كافية لتغيير الطبيعة واللهجة والبيئة وحتى تصرّف الفتيات في اختيار ألبستهن وفهمهنّ للحب والزواج* (1)

بعد الاستقلال، لا بدّ وأنّ نطرح السؤال، إلى أيّة أحزاب سياسية انضم رؤساء العشائر بين أبناء المذاهب الباطنية؟ فبعضهم انضم للحزب الوطني أي الدمشقي، ولكنّ أكثرهم انضم لحزب الشعب أي الحلبي والسبب هو التقارب مع الشيعة في العراق حيث أن العراق أكثر سكّانه من الشيعة وهذا يقربهم ممن هم أقرب لمذهبهم، هذا عن العلويين(2).

(1) نقلها إدوار صعب باللغة الفرنسية في كتابه *سوريا أو ثورة الحقد*، ص.67
(2) انظر منير مشابك موسى، *المرجع السابق*، ص. 953.

أمّا عن زعماء الطائفة الدرزية، فكان أكثرهم ينتمي أيضاً لحزب الشعب، وليس لتقريبهم من النظام العراقي فحسب، بل من العرش الهاشمي في الأردن، حيث أن الملك عبدالله الأول كان نصيرهم في كل محنهم بإيعاذ من السياسة البريطانية، لأنّ الدروز كانوا حلفاء بريطانيا منذ منتصف القرن التاسع عشر. وبعد الاستقلال اعتُبِرت ثورة جبل الدروز في مناهج التاريخ المدرسية وغير المدرسية بالثورة السورية الكبرى، واعتُبِر سلطان باشا الأطرش بطلاً قومياً. وبمناسبة عيد الجلاء أو العيد الوطني، فإن زعماء جبل الدروز من آل الأطرش رفضوا حضور الاحتفالات، بينما حضروا احتفال اعتلاء الملك عبدالله بن الحسين على عرش الأردن، بعكس الشيخ صالح العلي، زعيم الثورة في جبال العلويين، الذي قَبِل الدعوة مكرّما(1). وبالنتيجة بدأت النقمة ما بين آل الأطرش والحزب الوطني الذي كانت له الأغلبية البرلمانية في دمشق.(2).وتقدّم حزب البعث لتلك الانتخابات فنال 147 صوتا فقط.
نتيجة هذا التناحر ما بين زعماء الدروز والحكومة في دمشق، بدأت الأمور تسير في منحى خلافات يمكننا أن نضعها في صف معاكس للوحدة الوطنية، فقد ساندت الحكومة في دمشق الاتجاه المُستاء والمعارض لآل الأطرش خلال انتخابات سنة 1947، هذا الاتجاه الذي يريد التخلّص من سيطرة الزعماء التقليديين الذي امتد أكثر من قرن، وكان المعارضون الذين ساندهم الحزب الوطني من الطبقة الوسطى أو من فقراء الفلاحين...

وأسفرت هذه الانتخابات عن خسارة أتباع آل الأطرش، الذين رفضوا تلك النتيجة، وبدأ التمرد في الجبل بعنف، ولم تهدأ الأمور وتدخّلت الدولة بقوة السلاح، ولكن الأمور لم تهدأ، وظل سلطان الأطرش المؤثّر الأكبر في سلطة الجبل. واستمرت الخلافات حتى في عهد حسني الزعيم ومن بعده أديب الشيشكلي حتى عام 1954(3).
خلال هذه الفترة من الاضطرابات في محافظة السويداء، بدأت أحداث أخرى في منطقة جبال العلويين، يتزعّمها سليمان المرشد، وراح يهدد بفصل المنطقة عن

(1) توفي الشيخ صالح العلي سنة 1950، بعد أن ناهز 81 سنة، أنظر كتاب *الأعلام* للزركلي، مجلّد3، ص.279.
(2)Cf. Claude PALAZZOLI., *op-cit*, p.150.
(3) Cf. Michel SEURAT*, La Syrie d'aujourd'hui*, p.96.

الجمهورية السورية. ولكنّ الدولة استطاعت الحد من هذا التمرّد، واقتادوا سليمان المرشد إلى دمشق، وبعد تقديمه للمحكمة، حُكمَ عليه بالإعدام شنقا، وتمّ ذلك في ساحة المرجة بدمشق(1).
بعد سنتين من الاستقلال، دخلت سوريا في حرب فلسطين مع الجيوش العربية الأخرى، ودون محاولة الخوض في تلك النكسة المؤلمة، فقد خسرت الجيوش العربية تلك الحرب ووقع اللوم على الحكومات أكثر مما كان متوقّعاً، ذلك بسبب الإديولوجيات المتداولة بين الناس، بأننا أمّة لها أمجادها العريقة... ولكن الناس لم تستوعب أنّ هذه الأمجاد كانت في الماضي وليست في الحاضر، وراحت الإشاعات تتناثر في كلّ مكان في الأوساط الاجتماعية، منها الصحيح ومنها الخطأ، ومن أمثال ذلك أنّ وزير الدفاع في ذلك العهد، أحمد شرباتي، أعطى أمراً لسفينة محمّلة بالعتاد الحربي أن تفرغ شحنتها في ميناء حيفا بدلاً من ميناء اللاذقية، مقابل مليون ليرة سورية، مكافأةً له...

حسني الزعيم وسامي الحنّاوي.

هذه الشائعات وغيرها من صحيحة أو كاذبة والتي راح يتناقلها الناس، استغلّها كبار الضباط لفتح باب الانقلابات العسكرية في سوريا لأوّل مرة منذ 30 آذار/مارس سنة 1949، كان أداتها الأولى حسني الزعيم، وكان ذاك باتفاق مع السعودية والولايات المتحدة الأمريكية، لتمرير خطوط نفط شركة أرامكو، حيث أنّ النقابات العمّالية رفضت شروط الشركة، وساندتها حكومة القوتلي، فنفّذ الزعيم هذا الانقلاب وتمّ التوقيع مع الشركة على الشروط التي وضعتها، وأُقيل القوتلي ورحل إلى الاسكندرية، وقال السفير الأمريكي في سوريا حين ذاك: هذه أوّل محاولة لنا في سوريا(2) عيّن حسني الزعيم محسن البرازي رئيساً للوزراء، وأعطى لنفسه لقب الزعيم، وكان أكثر وزرائه من الأكراد والمقربين إليه. ولم يرضِ هذا الانقلاب الهاشميين في الأردن،

(1) أنظر *كتاب الأعلام* للزركلي، الجزء الرابع، ص.170.نضيف لذاكرة القارئ، مما أُشيع بين أوساط الناس أنّ الرئيس شكري القوتلي رفض التوقيع على قرار الإعدام، وذلك بسبب وعدٍ أعطاه لوالدته، أنّه لن يحكم على أحد بالإعدام إذا ما وصل لمركز السلطة العليا في البلاد، هذا لأنّ الآتراك حكموا عليه بالإعدام مع شهداء 6 أيار 1916، ولكنّ القيادة العسكرية أفهمته أنه قد تمّ إعدام سليمان المرشد قبل توقيع رئيس الجمهورية، والله أعلم...
(2) لفهم عهد حسني الزعيم، نوجّه القارئ للاطلاع على كتاب *أيام حسني الزعيم*، لنذير فنصة.

وذهبت الصحافة الاردنية إلى أبعد من موقف الحكومة، فكتبت صحيفة الأردن في إحدى مطالعها الرئيسية: <<*إنّ البلدان العربية ليست ألعوبة لتجارب شخصية أو حقل تجارب*

لأقليات عرقية. العرب قوم يحترمون دائماً كلمتهم ويفخرون بشرفهم على مدى التاريخ وسلّموا أمورهم لرجال على مستوى رفيع من الشرف>>، ويضيف المقال:<< *كل من يعيش في الوطن العربي وينطق باللغة العربية يجب عليه النظر في وضع سوريا الآن، لأنّ سوريا لن تنسى من سبب لها الأضرار، وسيأتي يوم سيعاقب على فعلته*>>.(1)

بعد مئة وأربعة وثلاثين يوما، حصل انقلاب عسكري آخر ضد حسني الزعيم، بقيادة سامي الحناوي، وبتأييد من النظامين الهاشميين في العراق والأردن، وبالتأكيد بتخطيط من المخابرات البريطانية. بعض الضباط الدروز، من أتباع الحزب القومي السوري، شاركوا الحنّاوي في هذا الانقلاب، انتقاماً من حسني الزعيم، الذي كان قد سلّم أنطون سعادة، مؤسس الحزب القومي السوري للسلطات اللبنانية، التي كانت تطالب به على أثر محاولة انقلاب في لبنان، وقد تمّ إعدامه بعد تسليمه(2).

خلال فترة سامي الحنّاوي، تمّ انتخاب آخر مجلس في البرلمان على أسس مقاعد طائفية، بتاريخ 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1949، وانتُخب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية، الذي كان يعتبره بعض الضباط حليفاً للعراق وبالنتيجة تحت تأثير السياسة البريطانية التي كان يحذر منها السوريون منذ قبل الاستقلال. وهكذا بعد أربعة وثلاثين يوما من الانتخابات البرلمانية، قام أديب الشيشكلي بانقلاب عسكري على الحناوي(3).

أديب الشيشكلي

أتجه أديب الشيشكلي بسياسة ضد الطائفية أو المذهبية، فقد ألغى نسب عدد النواب مذهبياً، فلم يعد هناك مثلاً روم أُرثوزكس أو كاثوليكي أو ماروني... بل مسيحي، وكذلك بالنسبة للمسلمين، فقد ألغى العلوي أو السنّي أو الدرزي أو الإسماعيلي...ولكن مسلمون..وألغى على الهوية الشخصية كلمة الدين..ويمكن أن نقول أنّ هذه الإجراءات

(1) Nous avons traduit ce passage cité par Claude PALAZZOLI, de son livre, *La Syrie, le rêve et la rupture*, pp.154-55, mais l'origine de texte est en arabe.

(2) Cf. Ibid.,p.155 et E. SAAB, *op-cit*., pp.45-62.

(3) Cf. Ibid, pp. 156-58 et *ibid*. pp. 68-77.

ليست ضد الدين ولكن ضدّ المذهبية والطائفية.

هذه الإجراءات رحّبت بها الأحزاب المستوردة الأفكار من أوروبا، ونعني البعث والقوميين السوريين والشيوعيين(1). إلاّ أنّ الصراع على السلطة من الداخل، والتحالفات العالمية من الخارج، والآثار الطائفية من الداخل، وسياسة الشيشكلي في ما اعتُبر تلك الفترة بأنه ديكتاتور إذا ما قيس بالقوتلي والأتاسي... بدأت الاضطرابات والشائعات كالمعتاد عليها في سوريا وأخذت الأحزاب وخاصة المستوردة الأفكار، تنقلب يُمنة ويسرة، وبدأت المعارضة ضدّ النظام والتمرّد، ليس من جانب سياسي ولكن من جانب طائفي، ونعني بذلك تمرّد جبل الدروز، والداعي لذلك شكلياً هو عدم وجود ممثلين لهم في البرلمان، وقد نفت السلطة ذلك، وبالنتيجة فإنّ أحداثاً جساما قامت في جبل العرب اعتباراً من نهاية عام 1953(2).

في مطلع عام 1954 أمر الشيشكلي قوّة عسكرية، لا يُستهان بها، أن تتجه إلى جبل العرب، مجهّزة بأحدث الأسلحة في تلك الفترة منها الطيران... والسبب العميق والأبعد لهذه العمليات ضدّ تمرّد الدروز هو السياسة التي اتبعها الشيشكلي للحد من تأثير

الهاشميين في العراق والأردن، وبالنتيجة ضدّ تأثير السياسة البريطانية في سوريا. وأخذ يتقرّب من السعوديين، أعداء الهاشميين التقليديين منذ خلع الشريف حسين عن إمارة الحجاز سنة 1926. وكذلك كان الشيشكلي أقرب للسياسة الفرنسية في مواجهة السياسة البريطانية. وهكذا دفع البريطانيون حلفاءهم الدروز للتمرد على السلطة المركزية في دمشق. وبعد أن استطاع أديب الشيشكلي تهدئة الأوضاع بالقوة في منطقة جبل العرب، التجأ سلطان باشا الأطرش إلى الأردن(3). ولكن أديب الشيشكلي تراجع عن السلطة بعد أن تمردت عليه المنطقة الشمالية، ونعني الجيش المنتشر في حلب، تحت إمرة فيصل الأتاسي، وضباط آخرين من حماه، مصطفى حمدون، ومن جبل العرب، أديب أبوعسّاف، وهددوا بفصل منطقة الجزيرة وحلب وضمهما للعراق.

(1)Cf. Philippe RONDOT, *Dix ans de fluctuation politique en Syrie, in Revue de Défense Nationale*, p 245.

(2) Revue, *Révolution politique*, Avril, 1954, p.98.

(3) Ibid. p.98.

(4) Cf. H. et P. WILLIMART, *Dossier du Moyen-Orient Arabe*, p.240.,et E.SAAB, *op-cit.*, pp.66-67.

قدّم أديب الشيشكلي استقالته للشعب السوري بهذه العبارات:

((رغبة مني في تجنب سفك دماء الشعب الذي أُحبُ ، والجيش الذي ضحيتُ بكل غال من أَجله، والأمة العربية التي حاولت خدمتها بإخلاص وصدق، أتقدم باستقالتي من رئاسة الجمهورية إلى الشعب السوري المحبوب الذي انتخبني وأولاني ثقته، آملاً أن تخدم مبادرتي قضية وطني، وأبتهل إلى الله أن يحفظه من كلّ سوء وأن يوحّده ويسير به إلى القمّة.)) وغادر إلى لبنان، ثم إلى السعودية كمنفى اختياري له ومن ثم غادرها إلى البرازيل وهناك تم اغتياله في عام 1964 على يد نواف غزالة من محافظة السويداء.

كلمّةٌ قيل أنها نُقِلت عن لسان أديب الشيشكلي وهو يغادر سوريا: *إحذروا أحد الجبلين* أو *إحذروا الجبلين*، والمعني بذلك، إمّا جبل الدروز وإمّا جبلي الدروز والعلويين... ويبدو أنّ كمال جنبلاط، الزعيم الدرزي اللبناني، كان على اتصال بالسفارة البريطانية في بيروت خلال هجوم قوات الجيش السوري على جبل العرب عام 1954، وعرض عليهم خطة للتدخل من أجل إسقاط الشيشكلي(1).

من الجمهورية السورية حتى الجمهورية العربية المتحدة.

بعد انتهاء عهد أديب الشيشكلي، ونتيجة لدستور الجمهورية السورية الذي وضع حدّاً لدرجة ما لما يمكن أن يسمّى بالخاصية المذهبية أو الطائفية، فإن سوريا دخلت في صراع داخلي على السلطة بشكل أشد تعقيداً كما سنرى.

منذ سنة 1953 اتحد حزب أكرم الحوراني، العربي الاشتراكي، مع حزب ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، البعث العربي. ليُشكّلا ما يُسمّى حتى الساعة، حزب البعث العربي الاشتراكي.

(1) وثائق السفارة البريطانية، تاريخ 1954/3/1، نُشرت في مطلع عام 1984.

البعث والجماهير.

قيادات البعث العربي الاشتراكي في عالم، وجماهيره في عالم، وطموحاته في عالم، وأفكاره من عوالم مختلفة ومتناقضة، وتاريخ من أغرب الكوابيس التي مرّت في تاريخ سوريا والعراق، لدرجة أنّ قياداته لو كان هدفها أن تصل بالبلاد لما هي عليه لفشلت.

أمّة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة. شعار البعث الأوّل! ولكن ما هي تلك الرسالة؟ حتى يومنا هذا لم يُفصحوا عنها.

اعتمد حزب البعث على الكمّ ولم يفكّر أبداً في الكيف، أتباعه من العربي الاشتراكي، أي الحورانيون، من ريف حماه، وأتباعه من البعثيين أغلبهم من ريف اللاذقية وجبل الدروز، من إسماعيليين وعلويين ودروز،<< *كان جلّ المنتسبين للحزب في دمشق من العناصر الشابة الطلابية القروية التي كانت تؤم الجامعة والثانويات بين عام 1940-1955، حتى إذا انتهت عادت إلى مسقط رأسها، فتوالى نشاطها. ولقد كانت الشروط الاجتماعية مواتية لنشوء الحزب وامتداده، فتنضمّ فيه، وظلّ هزيلاً في المدن، وخاصة في دمشق، ومع الزمن أصبح جسماً كبيراً برأس صغير.. لم يستطع الدخول إلى دمشق، بالرغم أنّ دمشق مدينة بعثية بطبيعتها..*>> (1) ويضيف سامي الجندي في صفحة أخرى:<<*انتشر البعث في ريف اللاذقية والعربي الاشتراكي في ريف حماه*>>(2). كل

طموحات قياداته كانت الوصول إلى السلطة والاعتراض على كل ما هو صالح أو طالح، أتباعه في الجيش لم يُسجّل لهم التاريخ بطولات سوى المساهمة **والتحضير لجميع الانقلابات**. وسنعود إلى هذه الحقبة التاريخية في الصفحات المقبلة، ولكن لنفتتحها بموقف أكرم الحوراني الذي ساند صديقه الشيشكلي ثم ارتد عليه حين شعر بأنه سيكون شبه مهمل في حكومته. لُقّبَ ثعلب سوريا، ولكنه كان ثعلباً للوصول إلى السلطة في سوريا، ولم يكن ثعلب السياسة السورية من أجل سوريا، لأنها كانت من أجل مصلحته، فلا هي *لاء* أنتِغون إبنة*/أديب الملك* دفاعا عن شرف الملكية، ولا هي*لاء بيكيت* دفاعاً عن شرف

(1) سامي الجندي، البعث، ص. 39.

(2) ذات المصدر، ص. 52.

الكنيسة، إن صحّ التعبير والمقارنة والمفهوم(1).

أُعيدَ هاشم الأتاسي لرئاسة الجمهورية بعد خروج أديب الشيشكلي، واعتبر الفترة الزمنية التي كانت تحت سيطرة الشيشكلي جزءًا من ولايته، وكان على البلاد أن تتحضّر لانتخابات برلمانية جديدة. وكانت نتائجها 31 نائباً عن الحزب الوطني الدمشقيين و23 نائباً عن حزب البعث العربي الاشتراكي و19 نائباً عن حزب الشعب الحلبي، ونائباً عن الحزب الشيوعي السوري ونائبين عن جماعة الإخوان المسلمين، والآخرين مستقلين، وكان عدد النواب العلويين النصيريين 12 نائباً بينهم خمسة من أبناء المشايخ (2).

انتُخَب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية، ونال من أصوات البرلمان 92 صوتاً بينما نال خالد العظم، المرشح الثاني 50 صوتاً، وانتُخبَ أكرم الحوراني رئيساً للبرلمان.

علّقت الصحف العالمية على هذه الانتخابات بأنها أنزه انتخابات في الدول النامية.

في شهر كانون الثاني/يناير 1955 قدّر القوميون السوريون أنّ بإمكانهم الاستيلاء على السلطة بانقلاب عسكري، ولكنّ بعض الضباط من الاتجاه العربي كان واقفاً أمام مشروعهم وعلى رأسهم العقيد عدنان المالكي، رئيس الأركان، وكان مسانداً لحزب البعث، والذي كان بخلاف مع غسان جْديد، رئيس الجناح العسكري في الحزب القومي السوري ومدير الكلية الحربية في مدينة حمص وشقيق صلاح جديد، الذي أصبح فيما بعد حاكم سوريا الحقيقي منذ 8 آذار 1963 حتى سنة 1970 كما سنرى في الصفحات المقبلة. وقرر غسان جديد التخلّص من عدنان المالكي.

بينما كان يحضَر عدنان المالكي مبارة لكرة القدم، تقدّم نحوه ضابط صف، يُدعى يونس عبد الرحمن(علويّ) يطلق عليه ثلاث رصاصات من مسدس فيُرديه قتيلاً، يتقدّم من القاتل رجلٌ يُدعى بديع المخلوف(علويّ وأُخ لزوجة رجل يُدعى حافظ الأسد) فيودع مباشرة في رأس يونس عبد الرحمن رصاصة، لتذهب أسرار المؤامرة القومية السورية أو العلوية

(1) نلمّح هنا لمسرحيتين للكاتب الفرنسي الروماني الأصل، جون أنويّ، ومسرحتيّن هما *أنتِغون وبيكيت*...

(2) أنظر منير مشابك موسى، *المرجع السابق*، الجزء الثاني، ص. 938.

بين الثلاثة، وهكذا يُكتب تاريخ سوريا ما بين المؤامرات الحزبية والطائفية...(1).

مسؤولية مقتل عدنان المالكي تقع على غسان جديد، المكتب الثاني(المخابرات) قام بحملة عنف وتنظيف في الجيش ضد القوميين السوريين، ثم يمضي حزب البعث لضم ما يستطيع من أتباع الحزب القومي السوري إلى صفوفه، ويتدخل في هذه العملية أتباع المذاهب من مشايخ وضباط ومقدمين من العشائر وأقارب، ويتم تنظيف الجيش تقريباً من الضبّاط المنتمين للحزب القومي السوري(2).

وبعد سنتين أي عام 1957 استطاعت المخابرات السورية اغتيال غسان جديد، الذي هرب إلى بيروت. وحين دفنه نقل بعض الحاضرين عن لسان أخيه صلاح جديد، خلال تأبينه هذه الجملة: *قتلوك فرداً، سأقتلهم جماعات*. مسؤولية مقتل غسان جديد بالنسبة لأخيه تقع على جمال عبد الناصر(3). بواسطة عبد الحميد السرّاج الذي كان مناصراً لجمال عبد الناصر في حرب السويس ورئيس المكتب الثاني في تلك الفترة.

منذ النصف الثاني من عام 1956، أي خلال أزمة السويس ملأت السياسة الناصرية الحياة السياسية والشعبية في الوطن العربي وخاصة في سوريا.

وقفت سوريا حكومة وشعباً مع مصر في معركة السويس، الرئيس القوتلي في موسكو مع قادة الاتحاد السوفيتي خلال القصف الانكليزي البريطاني والعدوان الصهيوني على مصر، أمام خارطة العالم بحضور كبار القادة السوفييت من مدنيين وعسكريين، يطرح المارشال مولوتوف تساؤلاً للرئيس القوتلي: ماذا يمكننا أن نفعل؟ يجيب القوتلي: أنا الإنسان البسيط، شكري القوتلي، من أين لي الجواب على هذا السؤال أمام نجم الحرب العالمية الثانية؟! الملاحة البحرية في قناة السويس متوقفة، البترول يمر فقط من الساحل السوري، أي من مصفاة وميناء بانياس ومصفاة طرابلس، خطّ النفط الممتد إلى بانياس أوقفته السلطات السورية بأمر من الحكومة ومساعدة رئيس المكتب الثاني عبد الحميد السراج، الخط المتجه نحو طرابلس قام بتفجيره وبمبادرة وطنية حرّة إسماعيل الكنج الدندشي وعصام الدندشي وشعيب الدندشي ووحيد الدندشي

(1) Cf. Edouard SAAB, *op.cit.*, p.76.

(2) المرجع السابق، صفحات 78-79ومجلّة الرائد، العدد 1980/4،ص.34.

(3) أنظر سامي الجندي، *البعث*، ص. 144

قرب تلكلخ(1). جول جمّال، الضابط البحار السوري أصبح أحد رموز الوحدة العربية بمشاركته ثم استشهاده في الدفاع عن مصر ضد العدوان الثلاثي الغاشم، المتطوعون في سوريا من أجل الدفاع عن مصر والمظاهرات التي عمّت البلاد خلال أزمة السويس

أعطت روحاً للوحدة العربية بشكل ليس له مثيل كما سنرى من مقتطفات خطاب جمال عبد الناصر في الخامس من شباط/فبراير عام 1958...

انتهى العدوان الثلاثي الغاشم(الإسرائلي- البريطاني- الفرنسي) بعد الإنذار السوفييتي، بحضور شكري القوتلي في موسكو، بضرب لندن وباريس بالصواريخ، وضغط الولايات المتحدة الأمريكية على بريطانيا وفرنسا، ومواقف دول العالم الثالث بجانب مصر، وعلى رأسها الدول العربية والهند ويوغسلافيا وغيرها...

بعد أزمة السويس امتدّ تأثير جمال عبد الناصر، في سوريا على المستوى الشعبي والسياسي، بشكل لا نظير له. ولكن سوريا في ذات الفترة أصبحت دولة من أخطر المناطق الاستراتيجية في المنطقة خلال ما كان يُسمّى بالحرب الباردة ما بين المعسكر الشيوعي بقيادة حكومة الاتحاد السوفييتي، والمعسكر الغربي، بقيادة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية. التي رأت انكماش السيطرة الغربية على المنطقة العربية في الشرق الأوسط بعد ضعف تأثير الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية إثر نتائج حرب السويس.

ففي 31 كانون أوّل/ ديسمبر عام 1956 عرض الرئيس الأمريكي إزنهاور، على البلاد العربية مشروع الأحلاف ضدّ الاتحاد السوفييتي، ذلك المشروع رفضه السوريون بكامله قالباً ومقلوباً. وراحت الصحافة الغربية تنشر بأنّ سوريا سوف تقع في المعسكر الشيوعي بسبب نجاح خالد بكداش في انتخابات 1955، ووجود أنصار له بين ضباط الجيش، ولُقّب وزير الدفاع حينذاك، خالد العظم، بالمليونير الأحمر، خاصة بعد أن وقّع على صفقة سلاح مع الدول الشيوعية، والمعروف أنّ خالد العظم حاول شراء الأسلحة للجيش السوري من المعسكر الغربي وانتظر أربعة ايّام في جنيف بانتظار ممثلي الحكومات الغربية، ولكنهم لم يأتوا...ومن بعدها ذهب إلى موسكو.

في داخل سوريا، إثر مشروع إزنهاور، انقسمت الاتجاهات السياسية لثلاث:

1 – حزب الشعب والقوميون السوريون، تحالفوا مع العراق والأردن، ومن خلفهم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

2 – الحزب الشيوعي السوري، الذي أصبح له أنصارٌ في الجيش، يدعمه الاتحاد السوفييتي.

3 – الحزب الوطني وحزب البعث والاتجاه الناصري الذي بدأ يجد له أنصارا في جميع الأوساط الشعبية(1).

في نهاية عام 1957، وبداية عام 1958، كانت سوريا على أبواب حرب أهلية بسبب هذه القوى المتناحرة على السلطة في الداخل... وفي الخارج من الشمال راحت تركيا تحشد قواتها على الحدود السورية، وغير بعيد عن الساحل السوري كان الأسطول السادس الأمريكي متربصاً، الاتحاد السوفييتي يهدد تركيا بالاجتياح ويضع لهذه المهمة مليون جندي سوفييتي مسلم إذا ما تعرّضت سوريا لعدوان عسكري من تركيا كأحد أعضاء الحلف الأطلسي.

بعض كبار الضباط السوريين يتّجهون إلى مصر، ثلاثة عشر، بمبادرات شخصية ويلتقون مع جمال عبد الناصر ويطلبون منه وحدة سوريا الفورية مع مصر، ويطرح عبد

(1) كنتُ طفلاً حين سمعت دوي الانفجار غير بعيد عن منزلنا في تلكلخ، وبعد ساعة تقريباً والنيران تأكل النفط المنبثق من أنابيب تشتعل، يصل لمنزلنا الخال إسماعيل، ويقول له والدي يرحمه الله: الحمد لله على السلامة.

الناصر السؤال، هل لديكم تفويض من البرلمان السوري أو من الرئيس القوتلي؟ فيجيبون بالنفي. ويعودون دون تحقيق هذا الانقلاب العسكري من نوعية جديدة تختلف عن انقلاب حسني الزعيم وسامي الحناوي وأديب الشيشكلي.
بعد عودة الضباط الأمراء إلى سوريا، عاد التناحر بينهم وبين الضباط الموالين للهاشميين ولحزب الشعب والشيوعيين. في الساعة الثانية عشر ليلاً من يوم 31 كانون الثاني/ ديسمبر، أيقظ رئيس الأركان حينذاك، عفيف البزري، الرئيس شكري القوتلي من نومه ليخبره أنّ كبار ضباط الجيش في قيادة الأركان، يحملون السلاح في وجوه بعضهم البعض، وقطعاتهم متأهبة لحرب أهلية قد تودي بالبلاد. أيقظ القوتلي جميع وزرائه وتم إرسال برقية إلى مصر يُعلمون حكومتها بوصول وفد سياسي من أعلى

(1) Pour de plus amples détails, voir, Philippe RONDOT, *Destin du Proche-Orient*, pp.89-91.

المستويات، ولم يُذكر إسم الرئيس القوتلي بينهم، وأوكل جمال عبد الناصر نائبه حينذاك، عبد الحكيم عامر، لاستقبال الوفد. وبعد دخول الطائرة التي تحمل ذلك الوفد الأجواء المصرية، أعلموا السلطات المصرية بأن شكري القوتلي يترأّس ذلك الوفد، والتحق جمال عبد الناصر بالمطار لاستقبال نظيره. وفاتَحه مباشرة بطلب الوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا، فرفض عبد الناصر في البداية، لكنّ القوتلي أجابه: إذن عليك بتحمّل نتائج حرب أهلية في سوريا، وهنا اضطر قبول الطلَب(1).

رئيس مجلس النواب في تلك الفترة، أكرم الحوراني، لم يرافق الوفد، وحمّل صلاح الدين البيطار، وزير الخارجية، رسالة للرئيس جمال عبد الناصر يطلب منه أن لا يقبل بوحدة اندماجية ولكن بوحدة فيدرالية. لكنّ صلاح الدين البيطار لم يسلّمها للرئيس عبد الناصر(2).

(1) محمد حسنين هيكل، *بصراحة*، ص. 129، وسامي الجندي، *البعث*، ص.85-90.
Cf aussi, entre autre, H. et P. WILLIMART, *Dossier du Moyen-Orient Arabe*, p253.
(2)بصدد هذه الرسالة، نقلها لي أحد أصحاب أكرم الحوراني، الدكتور هشام السمّان، عام 1978. ولست أدري إن كان الحوراني قد أشار إليها في مذكّراته.

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في 5 شباط/ فبراير 1958، بمجلس الأمة في القاهرة

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمّة، في حياة الشعوب أجيال يواعدها القدر، ويخصها دون غيرها بأن تشهد نقط التحول الحاسمة في التاريخ. إنه يتيح لنا أن نشهد المراحل الفاصلة في تطور الجهاد الخالد، تلك المراحل التي تشبه مهرجان الشروق حين يحدث الانتقال العظيم ساعة الفجر، من ظلام الليل إلى ضوء النهار. إن هذه الأجيال الموعودة تعيش لحظات رائعة. إنها تشهد لحظات هي انتصار عظيم، لم تصنعه وحدها، ولم تتحمل تضحياته بمفردها، وإنما هى تشهد النتيجة المجيدة، لتفاعل عوامل أخرى كثيرة، واصلت حركتها في ظلام الليل ووحشته، وعملت وسهرت، وظلت تدفع الثواني بعد الثواني، إلى الانتقال العظيم ساعة الفجر (...) كان مؤكداً أن الوحده قائمة، وأن موعدها بات قريباً لقد كان الكفاح من أجل الوحدة، هو نفسه الكفاح من أجل الحياة. ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا. فما من مرة تحققت الوحدة، إلا تبعتها القوة، وما من مرة توافرت القوة إلا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها. وليس محض صدفة أن إشاعة الفرقة وإقامة الحدود والحواجز، كانتا أول ما يفعله كل من يريد أن يتمكن في المنطقة ويسيطر عليها. وكذلك لم يكن محض صدفة أن محاولة الوحدة في المنطقة لم تتوقف منذ أربعة آلاف سنة، طلباً للقوة، بل طلباً- كما قلت- للحياة. أيها المواطنون...، لقد كان أسلوب السعي إلى الوحدة يتشكل بالعصر الذي تعيش فيه كل محاولة لتحقيقها، ولكن الهدف ظل دائما لا يتغير، وبقيت الغاية في كل وقت، هي هذه اللحظات التي نعيشها الآن. لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح هو وسيلة التعبير في الطفولة الأولى للبشرية، واتحدت المنطقة حين بدأت رسالات السماء تنزل إلى الأرض لتهدى الناس. واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة، وتؤكد ما سبقها من رسالات، وتقول كلمة الله الأخيرة في دعوة عباده إلى الحق. واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة في أمة عربية واحدة. واتحدت المنطقة

باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان. واتحدت المنطقة تحت دافع السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار أوروبا يتقدم منها محاولاً أن يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية. وكان معنى الوحدة قاطعاً في دلالته حين اشتركت المسيحية في الشرق العربي في مقاومة الصليبيين جنباً إلى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر. واتحدت المنطقة بالمشاركة في العذاب، يوم حلت عليها غارات الغزو العثماني، وأسدلت من حولها أستار الجهل، تعوق تقدمها، وتمنعها من الوصول إلى عصر النهضة في أوروبا. بل إن المنطقة اتحدت فيما تعرضت له في كل نواحيها، من سيطرة الاستعمار عليها. وقد كان اتحادها في الثورة على هذا الاستعمار بكل أشكاله، ومقاومته في تعدد صوره. ومع الوحدة في الثورة كانت الوحدة في التضحيات. فإن المشانق التي نصبها جمال باشا في دمشق، عاصمة سوريا، لم تكن تختلف كثيراً عن المشانق التي نصبها اللورد كرومر، في دنشواي، هنا في مصر. أيها المواطنون، هكذا ترون الوحدة حقيقة، حقيقة نسعى إليها، أو حقيقة قائمة بالفعل. هكذا ترون أن الصراع من أجل القوة، من أجل الحياة، يتم ويتحقق بالوحدة، وترون أن الوحدة لا تتم ولا تحقق إلا بقوة الحياة. وهكذا ترون أن تاريخ القاهرة، في خطوطه العريضة، هو بنفسه تاريخ دمشق في خطوطه العريضة. ولقد تختلف التفاصيل، ولكن المعالم البارزة هي نفس المعالم. نفس المعالم، نفس الغزاة، نفس الملوك نفس الأبطال نفس الشهداء. بل أنه لما بدا في بعض الأحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية، وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر، ثم تحت حكم أسرة محمد علي، لم يكن الأمر في باطنه بمثل ما يبدو في ظاهره. لم يكن البعد سطحيا، ولم تكن الحقيقة إلا باللسان. أما الشواهد الحقيقية، وأما الأدلة الأصيلة، فكانت تؤكد أن ما قربه الله لا يمكن أن يبتعد، وما وصلته الطبيعة لا يمكن أن ينقطع. من بين الشواهد والأدلة أن جيش الفلاحين الذي سار تحت قيادةإبراهيم باشا، ليحرر سوريا من الظلم العثماني كان يسمي نفسه الجيش العربي. ومن بين الشواهد والأدلة، أن القاهرة التي سارت، في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، إلى فتح النوافذ لتيارات النهضة، تحولت إلى قلعة للفكر الحر في الشرق العربي، وما لبث رواد الحرية في سوريا ورواد الحرية في المنطقة العربية كلها، أن وفدوا إليها يتحصنون بأسوارها المنيعة، ويبعثون منها اشعاعات الفكر، لتعبئ وتلهم. بل إن

القاهرة حولت في مطلع القرن العشرين، فأصبحت، هي ودمشق، المركز الرئيسي للجمعيات السرية، التي راحت تناضل جبروت سلاطين استانبول، من أجل تحرير الأمة العربية، بكل ما يملكه الشباب من روح البذل والفداء. هكذا كانت الوحدة هي الحقيقة، وكان ما عدا الوحدة اصطناعاً. هكذا كان واضحاً أنه إذا تركت المنطقة تستوحي طبيعتها، وتستلهم مشاعرها، وتسمع إلى دقات قلبها، فإن اتجاهها إلى الوحدة يصبح لا ريب فيه ولا مناص منه. وهذا هو ما حدث. أيها المواطنون، حين حصلت سوريا على استقلالها الكامل تطلعت إلى مصر. وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت إلى سوريا. ولقد كان التقارب، بل التوافق والتماثل، كاملاً حتى قبل أن يوقع ميثاق جامعة الدول العربية، وحتى بعد أن تم توقيعه وأرادت له بعض القوى أن يبقى حبراً على ورق. لقد كان في سوريا ردّ فعل لكل حركة في مصر، كما كانت أصداء الذي يحدث في دمشق تتجاوب في القاهرة في مصر وسوريا، ذلك الفوران الذي أعقب الحرب العالمية الثانية، وبدأت على أثره حركات التحرر الهائلة في أفريقيا وآسيا. في سوريا ومصر، هذه الهزات العنيفة ووراءها تغيير الأوضاع تطلعاً إلى الأفضل والأحسن في مصر وسوريا، ذلك الاندفاع إلى حرب فلسطين بالفروسية والإيمان، ولكن من غير سلاح. ثم كانت في القاهرة ودمشق تلك الآثار التي ترتبت على حرب فلسطين، والتي كان أولها تلك اليقظة التي تشبه انتفاضة مَن لسَعته النار فاستفاق. ثم في سوريا ومصر نفس المعارك؛ ولو قصرنا الحساب على الشهور الأخيرة فقط لكان مدهشاً. إن المعارك التي خاضتها دمشق هي نفس المعارك التي خاضتها القاهرة : معركة الأحلاف العسكرية، معركة السلاح، معركة المؤامرات ؛ معركة التحرير الاقتصادي. بل إن سوريا خاضت معركة قناة السويس، بنفس العنف، وبنفس القوة التي خاضت بها بورسعيد معركة قناة السويس. وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة إلى سوريا، وأعصابها كلها في دمشق، وأمام أعصابها قطعة من جيشها احتل جندها مراكزهم جنباً إلى جنب مع إخوانهم جنود سوريا (1). ولقد كان ذلك كله مدهشاً، ولكنه لم يكن من صنع الصدف. لقد مهدت عوامل كثيرة وكبيرة ونبيلة وعميقة لهذا الذي ربط بين مصر وسورية؛ مهدت الطبيعة،

(1) أشرنا في الصفحات السابقة إلى موقف الحكومة السورية وشعبها في أزمة السويس.

مهد التاريخ، مهد الدم، ومهدت اللغة، مهدت الأديان، ومهدت العقائد، مهدت السلامة المشتركة ومهدت الحرية. كذلك اشتركت في التمهيد له تجارب من الألم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة: السجن والمنفى والمشنقة. ولكن ذلك كله كان يمهد لهذا الفجر الذي نشهد مطلعه بعد ليل طويل. أيها المواطنون لقد كان البشير بالفجر هو ذلك القرار الذي اتخذه مجلس النواب السوري، واتخذه مجلسكم، بالعمل فوراً لتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا. كان قراركم هذا تعبيراً عن واقع هائل لا يمكن تجاهله، وصدى مستجيباً لنداء قدسي لا نستطيع أن نغلق آذاننا دونه. ولم يكن هذا الواقع موجوداً في دمشق والقاهرة وحدهما، كذلك لم يكن ذلك النداء القدسي في هذا النطاق وحده لا يتجاوزه، وإنما كان الواقع موجوداً في كل أرجاء الوطن العربي. وكان النداء هو هدير التيار المتلاطم بالموج؛ ذلك التيار الذي شقت القومية العربية كلها مجراه، وحددت له خط سيره. وهكذا بدأت القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخارجي للحقيقة الواقعة. ولقد كانت هذه المحادثات في القاهرة تجربة جديدة في التاريخ. إنها لم تكن اجتماعاً يتم بناءاً على رغبة ساسة أو حكام . وإنما كانت اجتماعات تمت بناء على ضغط الحاح وإرادة عتيدة مصممة صادرة من قلوب الشعب. ولقد كان خيراً على أي حال أننا تركنا الأمور تصل إلى هذا المدى. فلقد كان ينبغي للشعوب أن تأخذ فرصتها كاملة حتى تثبت وحتى تؤكد لها الحوادث والتطورات أن طريق الوحدة هو طريق القوة، طريق الحياة. وأن الساعة التي تطلّع إليها أجدادنا، وعمل من أجلها آباؤنا قد دقت أجراسها. وإنه قد كتب لجيلنا، بعد ليل طويل، أن يشهد مطلع صبحها. كان معناه أن الذي تخيلوه في المنى قد أصبح واقعاً، وأن الذي ذاقوا من أجله الموت قد أصبح هو الحياة نفسها. كان معناه أن الذي نصبت المشانق لتحول دونه قد أصبحت له وحده قوة القانون وقدرته. كان معناه أن الذي اصطنعت الفرقة بينه، قد عاد إلى طبيعته التي أودعها الله فيه، وكان متجانساً متحداً. كان معناه أن السلاسل تكسرت، وأن السدود انهارت، وأن الحواجز سقطت، وأن الشظايا المتناثرة والأجزاء المتفرقة توشك أن تعود إلى بعضها بل إلى كلها. كان معناه أن سوريا ومصر، قد قررتا تحمل المسؤولية التاريخية التي تهيأتا لها، بصفة كونهما بلدين عربيين خلص زمام الأمر فيهما لأبنائهما، وتحققت لهما في أراضيهما سيادة حقيقية، واستقلال كامل. كان ذلك هو معنى محادثات القاهرة. ولقد انتهت محادثاتنا، إلى إعلان الوحدة رسمياً، وتوقيع

هذا لإعلان في يوم السبت الأول من شباط/فبراير سنة 1958. وقد أودع هذا الاعلان التاريخي في مكتب مجلسكم، وكانت النتيجة الكبرى له هي توحيد مصر وسورية في دولة واحدة، اسمها الجمهورية العربية المتحدة، يكون نظام الحكم فيها ديمقراطياً رياسياً، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسؤولين أمامه، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد ويكون لها علم واحد، يُظلُّ شعباً واحداً وجيشاً واحداً، في وحدة يتساوى فيها أبناؤها في الحقوق والواجبات. ثم كان اتفاقنا بعد ذلك على المبادىء التالية، لتقوم عليها الجمهورية في فترة الانتقال:

1- الدولة العربية المتحدة، جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، وشعبها جزء من الآمة العربية.

2- الحريات مكفولة فى حدود القانون.

3- الانتخاب العام حق للمواطنين على النحو المبين بالقانون، ومساهمتهم في الحياة العامة واجب وطني عليهم.

4- يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الأمة، يحدد أعضاؤه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية، ويشترط أن يكون نصف الأعضاء على الأقل من بين أعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الأمة المصري.

5- يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية.

6- الملكية الخاصة مصونة، وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية، ولا تنزع الملكية إلا للمنفعة العامة، ومقابل تعويض عادل، وفقا للقانون.

7- إنشاء الضرائب العامة أو تعديليها أو الغاؤها لا يكون إلا بقانون، ولا يعفى أحد من أدائها في غير الأحوال المبينة فى القانون.

8- القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون.

9- كل ما قررته التشريعات المعمول بها في سورية و مصر تبقى سارية المفعول في النطاق الاقليمي المقرر لها عند إصدارها، ويجوز إلغاء هذه التشريعات أو تعديلها.

10- تتكون الجمهورية العربية المتحدة من إقليمين هما : سوريا ومصر.

11- يشكل في كل إقليم مجلس تنفيذي، يرأسه رئيس يعيّن بقرار من رئيس الجمهورية، ويعاونه وزراء يعيّنهم رئيس الجمهورية بناءاً على اقتراح رئيس المجلس التنفيذي.

12- تحدد اختصاصات المجلس التنفيذي بقرار من رئيس الجمهورية.

13- تبقى أحكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سوريا ومصر وبين الدول الأخرى، وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول في النطاق الإقليمي المقرر لها عند ابرامها، ووفقاً لقواعد القانون الدولي.

14- تبقى المصالح العامة والنظم الادارية القائمة معمولاً بها في كل من سوريا ومصر، إلى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية.

15- يكوّن المواطنون اتحادا قومياً للعمل على تحقيق الأهداف القومية، ولِحثّ الجهود لبناء الأمة بناءًا سليماً من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية.

16- تتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة.

17- يجري الاستفتاء على الوحدة، وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة في يوم الجمعة الموافق 21 فبراير.

لقد وقعت حركة هائلة جمعت شعبين من أمة واحدة في جمهورية متحدة. أيها المواطنون، على أنني أرى أن من واجبي، في هذه اللحظات، أن أصارحكم وشعب الجمهورية العربية المتحدة كله معكم، أن الطريق الذي نقبل عليه طويل وشاق. إن رحلتنا عليه ليست نزهة نروح بها عن النفس. وإنما رحلتنا هي مشاق ومتاعب، وكفاح وجهاد. ولكن هذه كلها هي

*الثمن العادل للأمل الكبير الذي نسعى إليه. ولسوف يضاعف من مصاعب ما سوف نلقاه أمامنا على الطريق أن الذين لا تروقهم وحدة سورية ومصر، ولا توافق أغراضهم، لن يتقبلوها بالرضى والسكون، وإنما ستكون المساعي، وستكون المحاولات، وستكون المناورات. لهذا أقول لكم من الآن: إننا في سعينا على طريق أملنا، يجب أن نظل مفتوحي الأعين منتبهي الحس والوجدان. ولكن علينا أن ندرك أن لهذه الفترة الرائعة أخطارها أيضاً. وربما كانت شهوات أنفسنا هي أكبر الأخطار التي يتعين علينا مواجهتها(1)؛ لقد مرت علينا قرون من الزمان وأحلامنا وأمانينا ورغباتنا وأهدافنا حبيسة وراء الحواجز والسدود التي صنعها الاستعمار. ولقد تهاوت الحواجز والسدود، لما زال وجود الاستعمار من بلادنا، وهكذا بدأت الأحلام والأماني والرغبات والأهداف تنطلق من عقالها وتتدافع بسرعة في مثل تدفق الفيضان. ولقد كان هذا هو التفسير الحقيقي لسرعة الحوادث في جيلنا، وهذا أمر طبيعي، بعد أجيال عديدة مكبوتة، ولكن هذا أيضاً **تحذير كما هو تفسير**. إنه تحذير بأن من أول واجباتنا أن نقيم من الحكمة خزانات على أمانينا ثم نفتح عيونها ليمر التيار، على شكل الفيضان المنظم، ولا يخر فوق رؤوسنا كالطوفان العالي الشديد. إنني واثق أن التجربة التي نواجهها اليوم ستحقق كل ما يروجوه لها هؤلاء الذين عملوا لمشرق فجرها، طوال الليل المظلم. وإنه لَمِما يؤكد ثقتي أن الله- تعالت قدرته- قد جمع قلبنا بقلب خير رفيق، وخير أخ، وخير حبيب المجاهد الأكبر شكري القوتلي .فقد أكد شعب سوريا بتجارب الأيام، تجربة بعد تجربة، انه طليعة القومية العربية وانه رأس الحربة في اندفاعها، وانه الحارس الأمين لتراثها المجيد. لقد بزغ أمل جديد على أفق هذا الشرق. إن دولة جديدة في قلبه. لقد قامت دولة كبرى تنبعث في هذا الشرق، ليست دخيلة فيه، ولا غاصبة، ليست عادية عليه ولا مستعدية. دولة تحمي ولا تهدد، تصون ولا تبدد، تقوي ولا تضعف، توحد ولا تفرق، تسالم ولا تفرط، تشد أزر الصديق، ترد كيد العدو، لا تتحزب ولا تتعصب، لا تنحرف ولا تنحاز، تؤكد العدل، تدعم السلام، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشرجميعا، بقدر ما تتحمل وتطيق. وفقكم الله، وبارك وحدتكم، وحمى جمهوريتكم العربية المتحدة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (جمال عبد الناصر)*

(1) الانتقال من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. والجهاد الأكبر قبل كل شيء هو الالتزام بالأخلاق الحميدة.

بعد أن وقّع الرئيس جمال عبد الناصر ميثاق الوحدة، توجّه إليه الرئيس القوتلي الذي تنازل عن رئاسة الجمهورية بهذا الخطاب:<<*لو تعلم يا سيادة الرئيس من أية مصيبة خلّصتني، لقد أرحتني من حكم خمسة ملايين إنسان 10% يعتبرون أنفسهم آلهة، 25% يعتبرون أنفسهم أنبياء و50% على الأقل يعتبرون أنفسهم رؤساء ووزراء، سأتركّكم تحكمون شعباً يعبد الله ويعبد النار ويعبد الشيطان*>> فيجيبه عبد الناصر دون أن يبتسم << *تقول لي هذا الكلام بعد أن وقّعت على الوثيقة؟!* >>(1)

منذ قبل التوقيع على ميثاق الوحدة، كانت هناك طروحات لاتحاد كونفيدرالي أو فيدرالي، وكان جمال عبد الناصر يشترط، قبل كل شيء، عودة الجيش إلى ثكناته، وهذا يعني حلّ الأحزاب، حيث أنّ قوة الأحزاب لم تكن أبداً في عدد نوابها في البرلمان، بقدر عدد أتباعها من الضبّاط في الجيش. وهكذا قَبِلت الأحزاب السياسية أن تحلّ نفسها وأن تدخل في الاتحاد القومي، ما خلا الحزب الشيوعي السوري، والذي التجأ أمينه العام إلى موسكو، والحزب القومي الاجتماعي السوري، وكذلك الجناح العسكري لحزب البعث، الذي لم يُحلّ منه سوى القسم الذي كان تابعاً لأحمد عبد الكريم (2).

عيّن جمال عبد الناصر نائبين لرئيس الجمهورية في الإقليم الشمالي(السوري)، أكرم الحوراني كتقدّمي، وصبري العسلي من المحافظين، وكما رأينا كان هناك حكومة مركزية وحكومة إقليمية. بعد ستة أشهر استقال كل من أكرم الحوراني وصبري العسلي (3)

استفاد البعثيون المدنيون من التحكّم بمراكز مهمّة من السلطة في الإقليم السوري في البداية، بالرغم من حلّ الحزب، وحاول ميشيل عفلق التحكّم بالسياسة السورية من وراء الستار، لكنّ النظام الرئاسي والشخصية القوية لجمال عبد الناصر، بالإضافة لمعرفته الكافية أنّ قوّة

(1) أنطر إدوار صعب، المرجع الوارد، ص. 92.

لا زال الكثيرون من أبناء الجيل الذي عاش تلك الفترة يتناقل هذه الحادثة، والتي نرى في محتواها أعمق المعاني التي تعبّر عن التركيبات الاجتماعية والنفسية والدينية والسياسية للسوريين بشكل خاص ولجميع سكان الهلال الخصيب بشكل عام.

(2) تولّى أحمد عبد الكريم حقيبة وزارية في عهد الوحدة، وسفيراً لسوريا في باريس في سنوات السبعينات، وشاهدت له مقابلات على التلفيزيون الروسي باللغة العربية منذ فترة غير بعيدة، وكم كان قاسياً على عهد الوحدة، ولم ينبث بكلمة انتقاد واحدة على عهد آل الأسد، *فلا نامت أعين الجبناء*.

(3) Pour de plus amples details, voir, E.SAAB, *op-cit*, pp. 90-104 et H. et P. WILLEMART, *op-cit*, pp.251-58. وانظر أيضاً، *مذكّرات سيّد مرعي*، وزير الزراعة والإصلاح الزراعي في جريدة *الأنوار اللبنانية*.

الحزب في الساحة السياسية تكمن في عدد ضبّاطه في الجيش، وكذلك انتماء ميشيل عفلق الديني وضعته على هامش السياسة، فلم يفلح(1) عدا عن أنّ جمال عبد الناصر كان على علم بكلّ تصرفات وتحركات الجناح العسكري في حزب البعث الذي لم يحلّ نفسه كما رأينا سابقاً(2).

وكان الضباط البعثيون وضباط من اتجاهات سياسية أخرى قدّموا احتجاجات للقيادة بسبب سوء تصرّف بعض الضبّاط المصريين، وبدلاً من النظر في أعماق تلك الشكاوى، فإن الرئيس عبد الناصر نقل عددا لا بأس به من الضبّاط إلى الإقليم المصري ما بين عامي 1958 و1959(3). ولم يتم فقط نقل الضبّاط البعثيين ولكن من جميع الاتجاهات السياسية.

حزب البعث تنظيمياً ومدنياً كان له فروع في دول عربية مجاورة لسورية، ونعني بذلك الأردن ولبنان والعراق، وإن كان قد تمّ حلّه في سوريا شكلياً فإنّ فروعه في الدويلات الأخرى لا زالت تعترف بميشيل عفلق أميناً عامّا للحزب، ما خلا الجناح العسكري للحزب في سوريا، واعتبروا القيادة التي قبِلت حلّ الحزب قد خانته وخانت مبادئه. ولكن الأحداث التاريخية التي توالت ما بين سوريا ومصر ثم في سوريا بعد الانفصال أثبتت أن الأمور تُدبّر على المستوى البعيد إلى أخطر مما يمكن أن نتصوره، بل حتى إلى أبعد من ذلك لدرجة أنّ الذين نفّذوه لم يتوقعوا نجاحه إلى هذا الحدّ وبتلك السهولة. ونعني بذلك اللجنة العسكرية التي تأسست في القاهرة.

كان ذاك في صيف عام 1959، وبقيادة محمّد عمران وعضوية كل من صلاح جديد وحافظ الأسد... الثلاثة من أتباع المذهب العلوي النصيري، وكلّ منهم ينتمي إلى إحدى العشائر الكبرى في هذه الطائفة، الأول، محمد عمران ينتمي إلى عشيرة الخياطين، والثاني، صلاح جديد، وينتمي إلى عشيرة الحدّادين، والثالث حافظ الأسد، وينتمي إلى عشيرة الكلبية(4).

(1) أنظر محمّد حسنين هيكل، *بصراحة*، ص. 138.
(2) أنظر سامي الجندين *البعث*، صفحات 84-85.
(3) المرجع السابق.
(4) أنظر باتريك سيل، *الأسد(الصراع على الشرق الأوسط)*، صفحات 107.-09

إنّ أيّ تحليل للتاريخ السياسي في سوريا لا يتطرّق إلى البنية الاجتماعية الدينية في المذهب العلوي النصيري، لا يعطي لنا أبعاده ولا أعماقه إلا من جانب سطحي، لا أكثر ولا أقل

يمكننا أن نميز في المجتمع العلوي النصيري طبقتين اجتماعيّتين كما هي الحالة في كافة المجتمعات التي اتبعت، أو تتبع الباطنية كطريقة في الحياة الدينية والدنيوية، منذ فيثاغورث حتى يومنا هذا. هاتان الطبقتان تدعيان بطبقتي الخاصّة والعامّة. فتشمل طبقة الخاصّة رؤساء العشائر أو زعمائها، ورجال الدين والمتقدّمين، وتشمل طبقة العامة أيّ سواد الناس، عند العلوية النصيرية، وطبقتي العُقّال والجُهّال عند الدروز.

رغماً عن أنّ العلويين النصيريين يعيشون حياةً حضريةً موزّعة بين المدن والقُرى(1) أي أنّهم لا يعرفون حياة البداوة، إلاّ أنّ النظام العشائري يسود مجتمعهم بشكلٍ حاسمٍ.

وذلك مع غيابٍ كاملٍ لمفهوم الديمقراطية أو الشورى، بعكس ما تنعم به العشائر العربية البدوية. ويقتسم رؤساء العشائر والمقدمين السلطة الزمنية أو الدنيوية، وينفرد رجال الدين أو المشايخ بالسلطة الدينية أو الروحية، وإن اقتضى الأمر فإنهم يتدخلون في الجانب الدنيوي كما بدأ يحدث منذ سنوات الخمسينات من القرن العشرين بشكلٍ واضح وجليّ. حيث أنّ خمسة نوّاب في البرلمان السوري من أبناء المشايخ على اثني عشر من العلويين النصيريين قد انتُخبوا في ذلك المجلس.

وتنقسم العشائر إلى بطونٍ وأفخاذ، وتختلط فيما بينها في المدن والقرى، أي أننا نجد في قريةٍ واحدةٍ أبناء عشائر مختلفة، تتفاوت في تعدادها، وذلك حسب التوزيع الجغرافي. فنجد مثلاً أبناء عشيرة الحدّادين يتواجدون بكثرة في سهول محافظة حمص، حول منطقة المخرّم، ونجد أبناء عشيرة الغساسنة بكثرة في منطقة جبل الحلو ومنطقة شين، وأبناء عشيرة الخياطين في محافظة طرطوس، وأبناء عشيرة الكلبية في منطقة جبلة(2) ولكن هناك دائماً أبناء عشائر أخرى في كل منطقة، وكثيراً ما نجد أقليات

(1) إنّ واقع المجتمع السوري بكامله(ومع الأسف) ينقسم في القُرى إلى عشائر وفي المدن إلى زمر ضمن أحياء، ولو كان على مستوى السجل المدني، ماعدا قبائل البدو وعشائر العلويين، فإنهم يحافظون على العصبية العشائرية حتى في المدن.

(2) لمعرفة العشائر العلوية، أنظر منير الشريف، *المسلمون العلويون، مَن هم وأين هم*، صفحات 115-25, وانظر ايضاً منير مشابك موسى، *بحث في علم الاجتماع عن العلويين النصيريين*، باللغة الفرنسية، جزء1، صفحات 354-356.

إسلامية سنّية من التركمان و الأكراد، وكذلك أقليات من المسيحيين الأرثوذكس.

ورغماً عن وجود خلافات شبه مستمرّةٍ بين الكثير من العشائر قد تصل بعض الأحيان إلى حروب كما حدث خلال الربع الثالث من القرن التاسع عشر بين عشيرة الرسالنة (آل رسلان) والشمسيين، حيث صَالحَ بينهم علي الهوّاش، من عشيرةٍ أُخرى، وكان ذلك بعد إراقة الكثير من الدماء والفقر والبؤس الذي خلّفته تلك النزوات العشائرية. وبما أنّ الحالة لم تتوقف عند هذا الحد، حيث أراد الهوّاش بعدها استغلال الظروف بالسيطرة على العشائر الأُخرى، لتشكيل قوةٍ تساعده على الاستقلال عن الدولة العثمانية، لكنّهم استطاعوا الغدر به بواسطة أحد أقربائه فقتلوه في قلعة الحصن. وهكذا تستمر المشاحنات بينهم، فتصل تارةً إلى قمّة التوتر حتى حالة الحرب القبلية، وتكاد

تنطفيء عندما يأتيهم الخطر من الخارج (1)، في هذه الحالة فأنهم يجتمعون ويتّحدون ضد الغزاة أو الفاتحين أو الطوائف الأخرى، كما حدث مثلاً سنة 1919 بعد الأحداث التي جرت بينهم، من جانب، وبين الإسماعيليين والروم الأرثوذكس، من جانب آخر. خلال تلك الأحداث اتخذت سلطة الانتداب الفرنسية موقفاً لصالح الإسماعيليين والأُرثوذكس، فإنّ جبل العلويين قام بكامله بوجه الفرنسيين، بقيادة الشيخ صالح العلي، واندلع ما نسميه، بثورة الشيخ صالح العلي. وقبل ذلك وقفوا جميعاً ضدّ إبراهيم باشا المصري أثناء حملة محمد علي باشا على سورية، والأمثلة التاريخية كثيرة على مواقف كهذه نقل غالب الطويل الكثير منها في كتابه تاريخ العلويين.

هذه العصبيّة (العشائرية الطائفية) يمكننا، أن نلحظها في كافة نواحي الحياة الاجتماعية أيضاً، ولقد حلّلها منير مشابك موسى الذي عاش ضمن المجتمع العلوي النصيري وخبره جيداً كباحثٍ علمي، بالشكل التالي:" *وكما هي الحالة في كافة الأقليّات، فإنه يتوجّب على كلٍ منهم تجاه أخيه في الطائفة المحبّة والمساعدة والتعاون والصدق والعدل. يجب على العلوي أن يكون بجانب أخيه العلوي في الحقّ والباطل، في الخداع والكذب، عليه أن يشهد في المحاكم لصالحه ولو كانت شهادته زوراً (ظالماً أو مظلوماً). ولكن رغم ذلك، فالعصبية العشائرية تحتلّ مكانة قويّة في*

(1) Cf ; Paul JACQUOT, *l'Etat des Alaouites*, p.15

نفوسهم. فكلّ علويٍ هو من أبناء العمّ، إلا أنّ أبناء العشيرة هم إخوته في الدمّ" (1) يجب أن نشير أنّ هذه العادة تنطبق على العشائر البدوية أيضاً.

حاول باتريك سيل في كتابه، الأسد، أن يبرر سياسة حافظ الأسد، وذلك بالهروب من تكوين المجتمع العلوي النصيري، ولمّح سامي الجندي في كتابه، البعث، بشكل واضح لعلاقة صلاح جديد برضوخه للمشايخ، ولكن منير مشابك موسى منذ سنوات الخمسينات في القرن الماضي، كتب بصراحة تامةٍ محذراً من دور رجال الدين النصيريين في تنمية الروح الدينية في الحقد والكراهية للآخرين لدرجة تشبيههم بالنازيين والفاشستيين... ومضى شيوخ الطائفة بالانضمام إلى حزب البعث وتوجيه طلاب الثانوية، من أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة، الحائزين على شهادة البكالوريا للتوجّه نحو الكليات العسكرية(2)، ومن الغريب أنّ أُطروحة

منير مشابك موسى لم يطلع عليها إلاّ القليل من الباحثين، وهو الذي نبّه قبل أن يخطر على بال أيّ كان، ربما ما خلا أديب الشيشكلي، المصير الذي ستمضي إليه سوريا، وهو وضعها الحالي الرهيب. ولهذا سنعتمد في هذه الفقرة على نقل باتريك سيل وهفواته ومصطفى طلاس وهفواته وسامي الجندي وصراحته وسكوته عن بعض الأمور وذلك لمصلحته الشخصية، ونترك بعد ذلك الحكم للقارئ الذي لا يرجو سوى المعرفة...

يكتب باتريك سيل في كتابه، الأسد، صفحات 110-11، مايلي:<< *سافر عمران وجديد والتقيا سراً ببعض البعثيين المدنيين مستطلعين آراءهم، ومقدمين لهم التشجيع ولكن بدون أن يكشفا لهم أنّهم قد أقاموا منظمة عسكرية سرّية. وقد تمّ الالتزام بالكتمان نفسه تجاه زملائهم من المنفيين في مصر، وقال الأسد مُستذكراً فيما بعد(3): لم يكن الضباط الذين اتصلت بهم يدركون بأنّ هناك تنظيماً وقيادة، رغم أنّهم كانوا يعرفون أنني أشتغل بالسياسة كعضو في الحزب، وكانوا يرون أنّ اقترابي منهم ليس عفوياً، وبعد مدة تشكّلت ثقة كافية لجعلهم يحتفظون لأنفسهم بأيّة معلومات نقلتها لهم. فالبعثيون ولا سيما العسكريون من بينهم لديهم إحساس بمشاكل الأمن. ولم يسألني أحدهم من أنت بالضبط؟ ومَن تُمثّل؟*>>.

(1) أنظر منير مشابك موسى، *المرجع السابق*، جزء 1، ص. 354-355.

(2) ذات المرجع، صفحات 552-53 و 895 وما بعدها.

(3) نلاحظ أنّ باتريك سيل لم يكتب إسم حافظ الأسد مع محمّد عمران و صلاح جديد !

واستطاع هؤلاء الضباط أن يجمعوا بسرية تامّة حولهم عدداً من الضباط أكثرهم من الأقليات الدينية، أو من خلفية ريفية وهم: سليمان حدّاد ومحمد النبهان (علويان نصيريان) وسليم خاطوم وحمد عبيد (درزيان)، وعبد الكريم الجندي والمير أحمد الماز (إسماعيليان) وعثمان كنعان (سنّي من الإسكندرون) ومحمّد رباح الطويل (سنّي من اللاذقية) ومصطفى طلاس (سنّي من الرستن) وموسى الزعبي ومصطفى الحاج علي وأحمد سويداني (سنّة من حوران)، وأطلق طلاس عليهم في مرآة حياته إسم الضباط الأحرار(1).

وهكذا بدأت المؤامرة على الوحدة من البعث الطائفي من جانب، ومن الضباط المرتزقة الدمشقيين من جانب آخر، وعلى رأسهم عبد الكريم النحلاوي، وذلك منذ السنة الثانية للوحدة.

مما لا شكّ فيه إن بعض الأخطاء التي احتجب خلفها الضباط الذين قاموا بالانفصال ليست إلى الحدّ الذي أودى بحلم العرب عامة وسوريا ومصر خاصة كي يُضرب ذلك الأمل الذي تغنّت به الأجيال منذ تحرر العرب من العهد العثماني. لقد كان أغلب السوريين في بحث رومانسي عن صلاح الدين الأيوبي الثاني، ولم تتجسد هذه الشخصية في قادة الانقلابات التي تتالت على سوريا، فكان خيارهم لبطل السويس وقائد من أهم قادة العالم الثالث ومنظمة دول عدم الانحياز، أي جمال عبد الناصر، فالوحدة كانت برأينا بين الشعب السوري وجمال عبد الناصر أكثر مما كانت عليه بين الشعب السوري والشعب المصري... النقطة الثانية كانت بتخلي الطبقة السياسية الحاكمة من قبل الوحدة، وبدأوا بتقديم استقالالتهم منذ نهاية عام 1958، مما أدّى إلى شبه فراغ سياسي في الإقليم السوري.

(1) أنظر نيكولا فان دام، *المرجع السابق*، صفحات 49-51 وإليزابت بيكار، *فصلية الأوريان*، الفصل السادس، 1979، صفحتين 54-55. ولابدّ من الإشارة إلى رسالة نُسِبت للشيخ عبد الرحمن الخيّر ونُشرت في جريدة *الحياة* البيروتية، بتاريخ 1968/7/19 يتحدث فيها عن مؤتمر في القرداحة، بحضور عمران والأسد وجديد ونبهان وابراهيم ماخوس وغيرهم، دعوا فيها للتعاون مع الضباط الفاطميين، يعني الدروز والإسماعيليين، للاستيلاء على السلطة في سوريا من خلف حجاب البعث، ويبدو أنّ عبد الرحمن الخيّر أنكر ذلك.

ونقطة أخرى أدت لتذمّر الكثير من الضباط السوريين بسبب سوء تصرّف بعض الضباط المصريين بعد نقلهم إلى سوريا. يمكننا أنّ نضيف من الجانب الاقتصادي زراعياً، أنّ 70% من السوريين كانوا يعملون بالزراعة، وقد مرّت على سوريا ثلاث سنوات جفاف أو عجاف، وكان الإنتاج الزراعي في سوريا منخفضاً، بالإضافة لقانون الإصلاح الزراعي الذي طُبّق بسرعة عشوائية بطلب من نائب رئيس الجمهورية حينذاك، أكرم الحوراني، كما كتب عن ذلك وزير الزراعة والإصلاح الزراعي، سيد مرعي، في جريدة الأنوار اللبنانية... وتصرفات كل من عبد الحميد السرّاج ورجال الأمن، وكذلك المشير عبد الحكيم عامر، قد زاد الطين بلّة. وحين تمّ إلغاء المجلس الوزاري الإقليمي في البلدين، اعتبر الدمشقيون أنّ سوريا أخذت شكل ولاية تابعة لمصر(1).

حصل الانفصال بين شطري الجمهورية العربية المتحدة بمؤامرة قام بها عبد الكريم النحلاوي، مدير مكتب نائب رئيس الجمهورية، عبد الحكيم عامر، بتاريخ 1961/9/28، وبعض أعضاء لجنة ضبّاط الشوام، على رأسهم حيدر الكزبري، وتولّى مأمون الكزبري إنشاء أوّل وزارة، وراح الوصوليون يتصارعون على سلّم الوصول للسلطة، ووقّع على وثيقة الانفصال كبار رجال السياسة، ما خلا عصام العطار وميشيل عفلق ورشدي الكيخيا. ولكنّ الجماهير بأغلبيتها كانت مع الوحدة، وأذكر وأنا طفل صغير في الكثير من المظاهرات المؤيدة للانفصال ذاك الهتاف الذي لا يزال يضيء في ذاكرتي: *الناصرية فرّقت بين الأخ وأخيه والاب وابنه*... لقد كان أصدق هتاف للتطور في المجتمع السوري الذي تحوّل من مجتمع ينقسم طائفياً إلى مجتمع ينقسم بين تقدمي ورجعي...

(1) مابين الدراسات التي تناولت هذه الفترة التاريخية، أنظر، سامي الجندي، *عرب ويهود*، صفحات 50-53، وانظر بالفرنسية برهان غليون، *الطلسم السوري* في دورية شعوب البحر المتوسط، 1975، صفحات، 98 – 100 وكذلك إدوار صعب، المصدر السابق، صفحات، 140-165. على أن لا ننسى تصرّف بعض الضباط السوريين في مصر لم يكن على مستوى الانضباط العسكري المفروض أيضاً. وقد تكلّم الرئيس جمال عبد الناصر عن حصار مدينة هيليوبوليس عام 1960... من قِبل الضباط السوريين خلال محادثات الوحدة عام 1963، أنظر جريدة الأهرام، 1963/3/20.

وأحداث أخرى خلال المظاهرات المؤيدة للانفصال وصلت إلى درجة قد تكون مضحكة، (وشرّ البلية ما يضحك) فبعد تكرر البيانات في إذاعة دمشق، وصلنا إلى البيان رقم 9، والذي فحواه هو عودة الوحدة إلى مجاريها، بعد تهديد أتى من العقيد جاسم علوان، وإذ بذات المجموعات من المتظاهرين تعود حاملة صوراً لجمال عبد الناصر وتحييه. وبعد البيان رقم 10 عادت ذات الجماهير تَهتف بسقوط عبد الناصر وتحيي الإنفصال.

يمكن أن نقول أنّ حلم الوحدة العربية على مدى جيلين من بعد سقوط دولة بني عثمان قد تحوّل إلى كابوس، ويمكن أن نقول ايضاً بأنّ مخاض الأمّة العربية بولادة الوحدة قد تمّ بسلامة لولا أنّ العسكريين وأدوها بعد ثلاثة أعوام وسبعة أشهر وسبعة ايّام...

راحت سوريا بعد الثامن والعشرين من أيلول/سبتمبر تتخبط في انقلابات داخلية بين حفنات من الضباط، وقد أخذوا اتجاهات ثلاث:

1- الانفصاليون من لجنة ضباط الشوام ومعهم عبد الكريم زهر الدين، من السويداء، وبالرغم من الخلافات فيما بينهم كانوا يحتجبون وراء فكرة الوحدة العربية ولكن دون مصر الناصرية.

2- الضباط الوحدويون وكانوا منقسمين في اتجاهين، الاتجاه الأول هو أنّ أيّة وحدة عربية يجب أن تتحقق بعد إعادة الوحدة مع مصر، وكان على رأسهم العقيد جاسم علوان والاتجاه الثاني، إقامة الوحدة مع أي دولة عربية بتحضير هادئ وليس فقط مع مصر الناصرية.

3- الجناح العسكري في حزب البعث (اللجنة العسكرية) يقول فيهم سامي الجندي في كتابه، *البعث*، ص 88 << *كنّا نعوّل كثيراً على الضباط البعثيين، نقدّر أنّهم وحدويون رغم ما أحاط بهم من وضع شاذ في فترة الوحدة وأنهم سينضمون إلى المقاومة عندما عادوا من مصر، اتصلت بهم فيمن اتصل، وجدت وضعهم مائعاً، رغم أنّهم يعدون العدة لأمر. وبعد قليل سُرّح البارزون منهم في قائمة من 63 ضابطا أكثرها بعثي*>>.

هؤلاء الضباط، الإسماعيليون والعلويون النصيريون والدروز، كانوا على اتصال بالضباط وضباط الصف من أتباع مذاهبهم، مستخدمين كافّة الوسائل من عشائرية ودينية واجتماعية، وكانت القيادة السياسية لحزب البعث على حذر منهم(1) كما سنرى في الصفحات المقبلة في تصريح الأمين العام للحزب آنذاك، ميشيل عفلق.

يكتب ميشيل سورات، الباحث الفرنسي، في كتاب "*سوريا اليوم*" ، ص.88 والذي قُتل من بين المختطفين الفرنسيين عام 1986 في بيروت ،<< *ألتقيت أحد المفكرين السوريين الذي قال لي: منذ عشرين عاماً، كنّا نقول: أنا بعثي أو أنا ناصري أو شيوعي أو إخوان*

مسلمين أو قومي عربي... والآن نقول: أنا سني أو علوي أو درزي أو مسيحي أو إسماعيلي...>>.

مَن كان وراء هذه الدعوة نحو الطائفية ومنذ عهد الوحدة؟ أو بالأحرى مِن قبل الوحدة ؟.

كتب منير مشابك موسى عام 1957 عن حالة العلويين النصيريين، أي بعد 11 عاما من الاستقلال: *<<في ظلّ هذا الحكم القائم، أي حكومة القوتلي، العلويون يعيشون في تطور ملموس وينفتحون على الآخرين في المدن والعالم بفضل القوانين والإصلاحات الجديدة، يمكن أن نعتبر 35% يعيشون بمستوى مقبول سواء كان في المدن أو في الريف، حياة الفلاحين المعاشية في تحسّن دائم، الدولة تهتم بهذه المسألة بشكل جدّي. ولكن ألد الأعداء هو النظام النصف إقطاعي الذي يسيطر عليه رؤساء العشائر والمشايخ>>* (2).

مَن الذي أوصل الشعب إلى هذا المنطق الطائفي الذي بدأ يتلاشى بشكل محسوس بعد الاستقلال؟ من الذي يضحض الطائفية ويعتبرها عدوه الأول والأخير ولا يسوس البلاد بغيرها؟ القوتلي؟ هاشم الأتاسي؟ ناصر؟ القدسي؟ الحوراني؟ عفلق؟ خالد العظم؟ رشدي الكيخيا؟ فارس الخوري؟ ربما لأديب الشيشكلي كلمة حق تـُرجِمت إلى باطل.

(1) أنظر سامي الجندي، المرجع السابق، ص. 88.

(2) المصدر السابق الذكر، جزء 2 صفحات 937-38.

بيان الرئيس شكري القوتلي بعد الانفصال

تشرين الأول (أكتوبر) 1961

أيها المواطنون الأعزاء،

لو اختارني الله شهيداً في المعارك التي خضتها إلى جانبكم، منذ خمسين عاماً وأكثر، لأكرم الله شهادتي بجواره، ولكان يوم شهادتي أفضل أيام عمري. أما وقد كتب الله لي أن أرافق طويلاً تاريخ وقائعكم وجهادكم لأذوق من الحياة معكم مرها وحلوها، وأجلس معكم

مجالس هوانها ومجدها، فإنني أقلب اليوم صفحات هذا التاريخ الحافل وأشعر من الأعماق أنه من حقكم عليّ، ومن حق الله وهذا التاريخ، أن أقول لكم بأنه ليس في عمري كله أفضل وآثر من يومين اثنين: يوم رفعت باسمكم راية الجلاء وعلم الاستقلال في السابع عشر من نيسان عام 1946، ويوم أعلنت باسمكم في مجلس النواب السوري في الخامس من شباط 1958 وحدة الجزءين العربيين سورية ومصر.

وعندما أخذت من أكفكم مجتمعة مفتاح الاستقلال لأضعه أمام باب الوحدة العربية، كنت على يقين يشبه طمأنينة العبادة بأن الله العلي القدير الذي بيده مفتاح كل مصير، قد أذن لي بأن أختم حياتي السياسية أشرف ختام، لا سيما وقد أغدقتم عليّ من مجد التحايا كمواطن عربي سلم الأمانة بمثل ما أغدقتم على المواطن العربي الذي أحطتموه بقلوبكم وأصدق آمالكم حينما وضعتم على كتفيه أعباء الأمانة. بل كنت أشعر أنكم تودعون رئيسكم وعهدكم الذي أنهيتموه بأطيب ما تستقبلون رئيسكم وعهدكم الذي تقبلون عليه، يقيناً منكم أن من يقرأ الماضي قد يكفيه أن ينظر بعين واحدة، أما من يقرأ في غيب المستقبل إنما يجب أن يقرأ بألف عين، وأن المرحلة الجديدة التي تواجهونها لهي أمر عظيم وحدث جلل. ويشهد الله أنكم كنتم في الأمر الذي عزمتم عليه صادقين كل الصدق، واثقين كل الثقة بأنكم إنما وضعتم مصيركم في الضفة العليا من الطموح القومي المثالي، طموح الشهداء والمجاهدين الأبرار الأخيار من أخوتكم بعد آبائكم وأجدادكم، الذين لم يبخلوا على مثالياتكم بتضحية مصالحهم وأموالهم وما يملكون، بل قد سفحوا تحت قدم المثالية العربية أطهر الأرواح وأزكى الدماء. يشهد الله أنكم أقبلتم على قيادتكم العربية، في ظل الوحدة، بكل شعور مطمئن ونفس راضية، مهما عرف عنكم من تبصر وحذر إزاء الحكم والحكام، ومهما عرفتم به من حذر وتشكك نحو ما يبذل بين أيديكم من عهود ووعود. وإن يكن الوطن في واقعه اليومي الذي لا مفر منه، ولا سبيل إلى الإشاحة عنه، مجموعة مصالح ومجتمع أفراد، فقد كنتم يوم الوحدة، كما كنتم في أيام مشهودة من تاريخ جهادكم، ترتفعون فوق مستوى الاعتبارات المصلحية لأن عاطفتكم القومية كانت دائماً نداء واستجابة للنداء، وعطاء واستعداداً للعطاء.

في هذا الخطاب الذي أوجهه اليوم إليكم، أيها الأعزاء، لأشهد الله على ما أعرف وأقول، فإنني أشهده تعالى، وهو العليم الشهيد، على أنكم باختياركم الوحدة المطلقة ونظام الحكم الرئاسي، إنما كنتم تقدرون بكل تأكيد، وتتوقعون بلا شبهات، إنكم بهيئاتكم وأفرادكم، ستشتركون اشتراكاً عملياً في بناء الوحدة وتنظيم كيانها، وتحمل التبعات في تقرير مستقبلها وتوسيع آفاقها، وتشميل دعوتها واجتذاب قلوب العرب إليها بأي شكل من أشكال الوحدة والاتحاد، لأن الوحدة لا تعني عملية ضم، والنظام الرئاسي لا يعني انعزال الراعي عن الرعية. وإنكم وأنتم طلائع دعوة الوحدة في أرض العرب، لا تنقصكم مزايا الشعب الواعي ومآثر المواطنين المجربين في ساحة المعركة، ولا تعوزكم فضائل الذكاء المنظم والعقل المستنير والإيمان القويم.

أقول، كنتم تطمحون عن حق إلى المشاركة في بناء الوحدة وتوطيد دعامتها وتنظيم واقعها، خروجاً بها من حيز العواطف إلى حدود العقل، ومن تجريد الأمل إلى واقع الحياة العملية، لأن أعز ما في الدنيا على الإنسان أن يضع بيده تصوراته، ويصوغ من المادة الملموسة أحلامه. ولقد كانت الوحدة، يوم أذنتم لي أن أعلنها باسمكم، ذروة الحلم الجميل والأماني العذاب، فما أجمل وما أعذب أن تعمل أيديكم في تطهيرها وهندسة شكلها

وتخطيط وضعها، وما أعظمها وحدة تمت بالمشاركة الروحية واستقرت بالمشاركة العملية. وإنني لعلى يقين عظيم بأنكم كنتم وستبقون أبداً في حركة البناء العربي الجبار، مهندسي بناء، لا مخربين، وقادحي فكرة، لا مصطلين.

أيها المواطنون، إخواني وأبنائي،

بعد غياب يزيد عن الشهر، سمعت من البعيد بأنباء وثبتكم وانتفاضة جيشكم الأمين. وعندما عدت إليكم، وجدت نفسي أمام أسئلة وأسئلة تبادرني من حركاتكم وسكناتكم، ومن قلوبكم وألسنتكم. وكان عليّ أن أرد على أسئلتكم وما يجول في خواطركم.

بجملة صغيرة أجيب على كل ما تتساءلون عنه وتطيلون التساؤل: إنني معكم وإلى جانبكم. إنني أقف معكم لا لأنني أنصركم ظالمين أو مظلومين، فحاشا أن أنحاز إلى الباطل أو أتنكب طريق الصواب. بل إنني معكم وإلى جانبكم لأنني أعرفكم معرفة رفقة لصيقة، وسير على الطريق الطويل، وأعرف إنه لا يمكن، مهما بلغت بكم عظائم الأمور، أن تجتمعوا على باطل وتجمعوا على ضلال. بهذه الكلمات أافتتح الجواب على أسئلتكم، وبكلمات قليلة أختتمه لأقول لكم إن خيبة أملي لكبيرة، وذهني يطوف حائراً في معالم التاريخ القريب، يتحرى معكم إيضاحاً وبياناً.

لماذا استحالت الوحدة إلى سراب؟ لماذا وثب عليها من كان سبّاقاً في الوثوب إليها؟ لماذا أصبحت الوحدة، في واقعها العملي شكلاً لم يكن مألوفاً في عالم الشوق العظيم والأمنيات الرائعة؟ هل ضخّمتها تصوراتنا، فضلّت بنا التصورات؟

أم أن العاطفة المثالية التي كانت بكل عنفوانها وراء الوحدة قد وضعت وضعاً مهيناً في الإطار التجريبي الذي أحاط بواقع الوحدة؟

إنني أستطيع أن أقول باسمكم، أيها المواطنون، إنكم لم تفقدوا أبداً حماستكم المؤمنة بوحدة العرب على أبعد مدى وأوسع نطاق. إنما الذي فقدتموه وافتقدتموه هو الأسلوب الصحيح في تجنيد النفوس المؤمنة والأيدي العاملة في ساحة النضال والعمل العربي الموحد.

إننا لا نؤمن بالعزلة في ساحة النضال، والمرحلة أمامنا طويلة، والعدو متربص بنا، متسقط مواضع الضعف في جبهتنا. وإننا لنؤمن اليوم أكثر من أي يوم مضى بوحدة المصير في وحدة النضال. إننا في ساحة النضال القومي نبتغي جنوداً من كل فئة وطبقة وجماعة، ومن كل حقل من حقول النشاط والإنتاج. ولكن السياسة التي كانت ترسم مناهج الحشد القومي في معسكر النضال، كانت تحشر في صفوف الخيانة والرجعية والتعامل مع الأجنبي والتواطؤ مع الاستعمار، مجموعاً كبيراً من المواطنين، الذين لا يمكن أبداً أن يحشروا في زمر الخونة والعملاء لمجرد انتسابهم إلى فئة من الناس أو طبقة من طبقات المجتمع. كذلك فإن اليد التي كانت تخطط للتعاون القومي لإشراك كل فرد وكل فعالية في أداء شرف الواجب، كانت تثيرها حرباً قاسية بين طبقات المجتمع الواحد، لتشل بالفعل حركة التعاون، وتحول دون انصباب الفعاليات جميعها في ميدان العمل القومي. ولولا وعي الشعب والألفة الاجتماعية القائمة بين أفراده وجماعاته، لسادت روح الكراهية من وراء هذه السياسة المتعسفة. كما أمعن الحكام في بلبلة الأفكار وتمييع العواطف، إلى جانب ما مارسوه من أسباب الضغط والكبت والإرهاب، حتى ساد الذعر وعمّ التذمر، وبات المواطنون لا يأمنون على حياتهم بعد أرزاقهم، مهما كانت الطبقة التي ينتسبون لها والجماعة التي ينتمون إليها. ولقد كنت أنبه وأحذر من مغبة هذه السياسة العقيمة التي

تصدر على الهيئات والفئات والطبقات أحكاماً جماعية وتهماً غيبية. وأوضحت في مناسبات كثيرة أننا في هذه البلاد لا نستطيع أن نضع الخيانة والولاء على أساس من تكوين المجتمع القائم، ولا نستطيع أن نبخس المساهمين في الحركات الوطنية خلال أربعين عاماً خدماتهم الجليلة وأيديهم البيضاء على استقلال هذا الوطن العربي وكرامته. وإنه لـ باستطاعة أي نظام أن يفرض على المواطنين ما شاء من الأحكام ليشرك في أموالهم مواطنيهم إشراكاً عادلاً تقتضيه مبادئ العدالة الاجتماعية وتقدير نصيب العمل. ولكن ليس باستطاعة النظام أن يسلب هؤلاء المواطنين من شرف المواطن السوري، وكرامة الإنسان الحر، بل لا ندري لماذا يعمد الحاكم المسؤول إلى إخراج هؤلاء المواطنين من الاعتبار القومي، وقطع صلاتهم الروحية بالوطن الذي أحبوه وأسهموا في حركة بنيانه، ثم يقول إنه في سبيله إلى اتحاد قومي.

أيها الأخوة الأعزاء،

أمام هذه النماذج من أساليب التفكير والتدبير، وما نشأ عنها من عواقب وحوادث صغيرة وكبيرة، كانت تنتشر أصداؤها كلها في محيطنا الصغير انتشار القصف الشديد، أتساءل اليوم عن سر تعب الوجدان القومي في صلاته مع نظام الوحدة. وأكاد أجد وراء كل شكوى صغيرة أو كبيرة، وكل تذمر كان يفاقم أمره في العام الأخير، أثراً واضحاً لمطلب الشعب في قضايا أساسية هي بالواقع فوق المطالب الاقتصادية المادية أو السياسية، ألا وهي كرامة المواطن، وحريته في الدفاع عن حقه، وصيانة شعوره بأنه فرد ذو كيان وحرمة، وأنه مهما كان صغيراً فإنه لجدير بأن يشارك في أي عمل كبير، ومهما يكن من فروض العدالة الاجتماعية أن يذوب هذا الفرد في المجتمع، فهو إنما يذوب فيه ليعطيه من روحه وجهده ودمه، لا ليذهب فيه هباءاً وهدراً.

قلنا أيها المواطنون، منذ الأيام الأولى للوحدة، إننا لا نستورد المبادئ ولا نستعير العقائد، ولا نخضع لصانعي المذاهب من شرق أو غرب، يحاولون إغواءنا عن مبادئنا وعقائدنا مما أتى به ديننا السمح وتراثنا الغني وتقاليدنا الحكيمة، ولكننا لم نكن نريد لنظام الحكم أن يفرض تجاربه بالقسر على جمهوره، ولم نكن نريد للحاكم بأساليب قاهرة أن يجرع الأنظمة للشعب تجريع عقاب وقصاص.

نحن نعلم أن عجلة الزمان لا يمكن أن تعود إلى الوراء، والشعوب التي لا تمضي مع مركب التطور تمشي عليها أقدام المتطورين، ونحن لا نستطيع كذلك أن نتنكب طريق الأمم الصاعدة في سلك الحضارة، وأن نطرح ما استحدث من أساليب التصنيع والتنظيم وإنماء الثروة القومية وتكوين مجتمع تسوده العدالة، إنما الذي لا بد أن نعنيه أيضاً ليبلغ الإصلاح أهدافه ونتجنب من السرعة أخطارها، أن روح العدالة الاجتماعية في أساليب التعايش والتعامل اقتصادياً واجتماعياً، ليست في الواقع لدى كل الشعوب، مهما بلغت اشتراكيتها المتطرفة، سوى تسلسل منطقي في معركة تطوير وتدرج. والاشتراكية ليست في ممارستها العملية سوى السير في مناهج مرسومة عبر مراحل طويلة، لأن الخطوة الاقتصادية التي لا ترافقها حالة نفسية واجتماعية ملائمة، تنزلق انزلاقاً طبيعياً نحو هوامش الانحراف والضياع. وإن تشريعاً إصلاحياً يفرض بالقسر يمكن أن يخلق بدقائق وينفذ بساعات، لكن الوعي الاجتماعي الذي يحضن استمرار الإصلاح ويضمن نجاحه لا يمكن أن يخلق إلا بالتطور وبالحسنى التي يجب أن ترافق إنماء الوعي القومي وتفتيح الذات وتجميع الفعاليات .

وعندما نقول بالحسنى، التي هي أجمل كلمات التنزيل الحكيم، إنما نقول بالرفق والتبصر في العواقب، ومعالجة الأمور بالحكمة والتسامح، أي بنظام الحرية في اشتراكية سمحاء.

أيها المواطنون، أخواني وأبنائي،

طالما أشرتم إليّ من قريب ومن بعيد، فرادى ومجتمعين، في سركم وعلنكم، وحملتموني تبعات التاريخ وعواقب الأمور، ولطالما وقفت من المسؤولين عن مصير هذه الوحدة موقف المواطن الناصح الذي يخاطب المواطنين كما يخاطب المسؤولين، داعياً إلى الحكمة والصبر والروية. طالما قلت لكم إننا نمر بتجربة فريدة، وإننا مسؤولون عن نجاحها، وإننا لن نفرط بالوحدة. في الوقت نفسه كنت أقول لمن بيدهم الأمر كله إن إعلان الوحدة شيء وممارستها شيء آخر، فبالعواطف قامت، وبالعقل والحكمة وبالحسنى تدوم. وقد بنيت الوحدة على جبل راسخ من الثقة، وليس إلا بهذه الثقة الجماعية يستمر نموها ويصلب عودها. وكانت كل مسؤوليتي، بعد أن تألف جهاز الوحدة السياسي، أن أكون مواطناً مع المواطنين، أشعر بشعورهم، وأفرح لفرحهم، وأتألم لألمهم، ولم أكن ضنيناً بكلمة حق أقولها، سواء أعبرت عن تفاؤل أو تشاؤم أو أية وجهة نظر. بل قد وقفت في بعض الأمور التي تمس كيان الوحدة، ووجدان الشعب من ورائها، موقف المحذر، لا موقف الناصح أو المخبر. وكنت أعلم في كل حال إن الأذن التي تصغي لي إنما هي أذن مجاملة لا أذن وعي، وإن اللسان الذي يخاطبني ليس لسان من يريد أن يعلم بأمر بل لسان من يقول بأنه أعلم بكل أمر. ثم كنت أعود لنفسي لأتساءل :هل يمكن أن نكون أكثر حرصاً على الوحدة من المسؤول عنها، وهي بين يديه وحدة أمام الله والتاريخ وأجيال العرب؟ ومن ذا الذي يجرؤ على التفريط بها وتبذير طاقاتها والاستهانة بالوجدان القومي الذي كان في أساس خلقها وتكوينها؟

إني لأنقل اليوم شعوركم أيها الأخوة، إذ أجيب بأن الذي فرط بالوحدة وأخلى بينها وبين الشعب هو جهاز الحكم برمته من الأعلى إلى الأدنى، جهاز الحكم الذي كان يخبط في أساس الوحدة على غير هدى وتبصر، جهاز الحكم الذي كانت له ألف عين وعين، لكنه لا يبصر بعين واحدة منها، جهاز الحكم تفكيراً وتدبيراً وتصميماً وتنفيذاً .

هذا الجهاز الذي كان شديداً في موقف السماحة واللين، جباناً في موقف الحزم وقوة الإرادة، يتراخى عن محور الوحدة ليشد على محور النفوذ الرسمي والأنانية الشخصية، جهاز تألف للوحدة دون مستوى الوحدة خبرة وذكاءاً ووعياً وإيماناً، وتقرب إلى الشعب، ولكن بوصفه جلاد الشعب، جهاز الحكم الذي تألف كيانه البوليسي من قيادات ضمن قيادات، ولو طال بها الزمن لآل مصير الجمهورية كلها إلى مجموعة أقاليم يحكمها أفراد متنافرون. جهاز عجيب غريب، أنبت للجسم الواحد عدة رؤوس، وللرأس الواحد عدة ميول ونزوات وشهوات. جهاز الحكم تناوبته الزعازع، يتمرد بعضه على بعض، ويتربص يمينه بشماله، وتنفيذيه بمركزيه، حتى لتغدو صورة الحكم في الإقليم مثل صورة الحكم في آخر عهود الخلافات العربية.

ولقد كان في أساس هذه الأخطاء كلها قاعدة واحدة: تأمين الأقلية، وتخوين الأكثرية، وتسليط هيئات مصطنعة وأفراد على تنفيذ اشتراكية تعاونية لا يؤمنون بها ولا يعملون من أجلها ولا يفهمون أي مبدأ من مبادئ العدالة والتعاون .

وكان كل مدار الثقة بهم أنهم حاقدون يكرهون الناس، ويتطيرون من وجوه الخير.

وعندما أتحدث عن جهاز الحكم ومساوئه، مصغياً إلى أصوات الألوف من أبناء الشعب، وعلى الأخص في هذا البلد العربي، فإني أشير بوصف خاص إلى إغفال هذا الشعب إغفالاً عجيباً في تقرير أنظمته وعدم الالتفات إلى هيئاته ومنظماته ونقاباته في استطلاع رأي على الأقل، أو عرض وجهة نظر أو مناقشة موضوع. ولم يبق في ساحتكم كمنظمة تزعم الانتساب إلى الشعب سوى الاتحاد القومي، الذي سيطرت عليه القوة التنفيذية سيطرة غاشمة لم تترك له سوى بعض مظاهر الإرادة الشعبية، مثل شؤون بلدية كتنظيف زقاق وتنوير حي وتمديد أنابيب. ولطالما شكا النواب المعينون لمجلس الأمة من عدم جدوى وجودهم تحت قبة المجلس، لأن ليس لهم من وظائف التمثيل النيابي سوى إقرار المشاريع التي كتبها موظفو الدولة، والتصويت عليها برفع الأيدي الصامتة. فإن يكن من وراء كل هذا التحفظ والتزمُّت نفسية الخوف من الشعب والحذر منه، ففي التاريخ ألوف الأمثلة على أن الشعب لا يلبث أن يحذر من يحذرونه، ويبتعد عن المبتعدين عنه، ويفتح الهوة الكبيرة بينه وبينهم. وإن يكن من وراء هذا الحذر والانكماش خطة مدبرة لتقليص المشتركين في البناء العام عدداً ونوعاً، فلا يبقى في مراتب النظام الاجتماعي سوى جهاز الدولة ومجموعة الأجراء الضعفاء، فإن العدالة الاجتماعية والتعاونية القومية بريئة من هذه الخطط ومخططيها.

ومهما يكن من شأن العقائد النظرية والسياسات العملية التي سادت مصر وسورية خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، فإنه من المحقق المؤكد أن البعض الذي قد يجوز تطبيقه في مصر، لا يمكن ولا يجدي تطبيقه في سوريا، لاختلاف البيئات جغرافياً وبشرياً واجتماعياً. ومن المعروف الشائع إن خير الوحدات أو الاتحادات الناجحة في دول الأرض هي التي أعطت لامركزية واسعة لدويلاتها أو لولاياتها، ومنحتها في كثير من الشؤون حقوقاً تشريعية وتنظيمية، تخالف القوانين العليا والأفكار السائدة نفسها، لأن الوحدة في مفهومها العلمي والعملي، مهما يكن نظام الحكم الذي يسودها، ليست في إلغاء المصالح الصغيرة والمحلية، بل بالإقرار بها والاعتراف بضروراتها، والعمل على التنسيق بينها ضمن إطار رحب من السياسة العليا، وبذلك تضمن الدولة تكافل الوحدات الصغيرة وتعاونها، وتتلافى أحوال التمزق والتفكك التي تؤول إليها لزاماً أنظمة ضيقة ونظريات غيبية تفرض على الجماهير بالقسر والإذلال.

ومع كل ذلك، أيها الأخوة والأبناء الأعزاء، فإنني أعيذكم من أن تظنوا بأن التجربة الفاشلة في نظام الوحدة السياسية بين البلدين العربيين، إنما هي فشل للوحدة ذاتها كمبدأ وعقيدة وأمل أجيال. أعيذكم من التشاؤم في تطلعكم إلى مستقبل العرب على ضوء هذه التجربة الأولى في حياة الأمة، لأن هزة الفشل المريع لم تصب وجداننا، ولم تصب عقيدتنا وطموحاتنا القومية النبيلة، بل أجدر بها أن تصيب الذين أخطأوا وضلوا في أساليب النظر والعمل، وابتعدوا عن واقع الأمة وحقيقة الشعب وسنة التطور، أعيذكم من الحساب العجول بأن فشل التجربة الأولى قد يعني فشل كل تجربة ومضاء في سبيل وحدة العرب. وإنه لجدير بي أن أذكّركم بما قلت يوم قيام هذه الوحدة، ***بأنه ليس من العجب أن تتحد أقطار العرب، بل العجب كل العجب أن تبقى على القطيعة والفرقة.***

بل بوسعي أن أرفع صوتي عالياً بالتفاؤل، لأن التجربة الأولى في حياتنا القومية قد رسمت لنا طريقاً في التخطيط، لتشكل من أشكال الوحدة الراسخة البناء، يتوفر لها الباحثون

والعلماء والمجربون، هيئات وأفراداً في كل بلد عربي، قبل أن ينظر فيها رجال الدولة والحاكمون ومجالسهم.

أقول وأرفع صوتي بالتفاؤل، لأن عمر الأمم لا يقاس بالسنوات القليلة، والشعوب التي تتوفر في حياتها التجارب، تتوافر لها دون سواها إمكانات النجاح والصواب .

وإن يكن من حظ هذا البلد العربي الأمين أن يكون ميدان التجربة الأولى، فإنه، وهو صاحب رسالة ودعوة عربية عريقة، لأجدر أن يكون اليوم أكثر حماسة واندفاعاً إلى وحدة عربية جريئة يتقدم بها إلى الشعب العربي في جميع الديار، وفي مقدمتها مصر العربية الشقيقة.

ولكي تكونوا، أيها الأخوة المواطنون، على أهبة العمل ومستوى الدعوة والرسالة، عليكم أن تعلموا جميعاً بأنكم يجب أن تنطلقوا من قواعد صالحة للانطلاق، ومن أرض ثابتة راسخة تحت الأقدام. عليكم أن تدركوا بأن وحدتكم الوطنية، المدعومة بتعاون الأفراد والجماعات، وفي مقدمتها رجال العمل السياسي والتوجيه القومي والإصلاح الاجتماعي، هي المنطلق المكين الذي يؤهلكم لأداء الرسالة القومية، ويمهد للكلمة المخلصة الصادقة، ترسلونها في سبيل العروبة والحق.إن الوحدة الوطنية التي تلزمها ظروفكم الداخلية والخارجية، ضرورة أساسية من ضرورات هذه المرحلة التي نجتازها في حياتنا القومية والدولية، لأنكم، شعباً وجيشاً، غدوتم ملء عين الزمان، والتاريخ ينظر إلى نياتكم وأعمالكم وعواقبها.إن وحدتنا الوطنية ضرورة مبرمة من ضرورات الدفاع عن كياننا وعن قوميتنا وشرف عروبتنا ونحن نقف على خط النار إزاء العدو الصهيوني الأثيم، الذي لن نغمض عيوننا عن نزوات شروره وعدوانه، ولن نغفل في حسابنا معه مؤامرات الاستعمار ومكائد الغدر والغادرين.وإن هذه الوحدة الوطنية التي يجب أن تتمسكوا بها أيها المواطنون، وتدعموها بكل عزيمة وإيمان، هي سبيلكم إلى دعم جيشكم الأمين في انطلاقه القوي إلى أهداف أمة العرب في تحرير فلسطين وكسر شوكة الغاصبين.

إن الوحدة الوطنية إنما تقوم على مبادئ وأهداف بينة، تلتفون حولها وتصدقون القول والعمل. ولكم من تاريخكم القريب والبعيد، قبل الوحدة، وقبل الجلاء، ومنذ طلائع فجر الجهاد، مبادئ وعقائد لا يمكنكم أن تحيدوا عنها مهما تبدلت الظروف وأنظمة الحكم وتعاقب الحكام.

وفي مقدمة هذه المبادئ المهمة :

- سلامة وطنية بجيش قوي.

- سيادة الدولة في الدعوة إلى السلام بالعدل وعدم الخضوع لمناطق النفوذ وسياسة الحرب والمعسكرات .

- اشتراك وجداني وعملي في نصرة القضايا العربية، في مقدمتها فلسطين والجزائر وعمان، وجميع قضايا التحرر العربي.

- متابعة الدأب من أجل تحقيق الوحدة العربية، والمباشرة بلا إبطاء في إرساء قواعد التضامن العربي، عسكرياً واقتصادياً وسياسياً .

- إعداد الشعب في الميدان الداخلي إعداداً منظماً، في مختلف نواحي النشاط الاجتماعي والاقتصادي والفكري، للإفادة من جميع الفعاليات على أساس من الحرية، كافلة الإنتاج والإبداع، وفي حدود تنهيج واقعي لإنماء الثروة القومية وبسط العدالة الاجتماعية ورفع مستوى المواطنين، وعلى الأخص عمالاً وفلاحين.

أنتم مدعوون أيها المواطنون إلى وحدة وطنية بميثاق قومي، تقوم على هدى المبادئ والعقائد التي هي مكاسب جهادكم وكفاحكم وسيرتكم القومية المشرفة، التي كانت منذ مطلع هذا القرن قدوة للشعوب ومناراً.

وإنني لوطيد الأمل في أن تبادروا إلى الخروج من تيارات الفترة العصيبة التي اجتزتموها بوعي وسلام، وتتطلعوا إلى المستقبل بشجاعة وعزم وتفاؤل. وأرجو أن تدركوا كل الإدراك حقيقة أولية من حقائقنا القومية العربية: إن أي نزاع واختلاف في الاجتهاد والرأي في نطاق المجموعة العربية لن يكون سوى خلاف عائلي عابر، من شأنه أن ينير الطريق ويرشد إلى الصواب ويمهد لجو أكثر ألفة وصفاء.وإنه لجدير بي في كلمتي إليكم، أن أخص بتحية التقدير والإعجاب جيشكم المظفر، حامي الديار وحارس الشرف والكرامة والحرية. جيشكم الذي وضع نفسه في خدمة الحق والحرية، وأعرب في انتفاضته النزيهة الخيرة السمحاء عن آلامكم وآمالكم، التي هي آلامه وآماله، فأضاف إلى أوسمته التي تحملها رايته الخفاقة، أثمن وسام هو وسام الشعب.

أيها الأخوة والأبناء الأعزاء، كلمتي الأخيرة إليكم أنكم أنتم وحدكم مسؤولون في تقرير المستقبل، وأن القيادات في صفوفكم عناوين زائلة، وتبقون أنتم الشعب، سطور البقاء والخلود. ولقد استطعت أن أتوفر على خدمة نضالكم وجهادكم، مواطناً عادياً وجندياً مكافحاً، أكثر مما أتيح لي أن أتوفر لهذه الخدمة الشريفة، رئيساً وحاكماً ومسؤولاً.ولطالما أغدقتم عليّ من العطف والمحبة والعزة، ما ملأ نفسي رضى، وضميري طمأنينة، وليس من مزيد أبداً. وإن أعظم ما يطمح إليه عامل في الحقل العام، عانق القضية المقدسة منذ مطلع هذا القرن، فتى وشاباً وشيخاً، أن يستحق استمرار الرضى عنه في صفوف المواطنين العاديين، مواطناً صالحاً وجندياً.

أبناء المذاهب الباطنية على رأس السلطة
(من 8 آذار/مارس 1963 إلى يومنا هذا)

(مرعبة ومعقّدة، السياسة التي تسير عليها سورية تحتجب وتنزلق بين أصابع الذين يظنون انهم أدركوا فهمها، تفرّقٌ ومؤامرات، تحالفات مفاجئة تنتكس بسرعة، تطوّر ضدّ الطبيعة، أسرارٌ عقائدية في أروقة الدولة، النفاق البيزنطي يحيط بها، الوضوح غائب، الغير المتوقع يمكن أن يحصل في كل لحظة... وحين نشعر بأننا اجتزنا بوابة الظلام الواسعة والثابتة، بكل بساطة وسهولة نرى بوضوح أنّه لا يحق سوى لأسياد المعابد الدخول إلى هذا المكان)(1)

بعد تغيير وزارات ووزارات، واحتجاز رئيس الجمهورية، ناظم القدسي، ووضعه في السجن، وتقديم استقالته التي رُفضت من قبل الضباط، وإعادته من الحدود السورية اللبنانية أكثر

من مرّة، وفقدان هيبة الدولة، والحنين إلى عهد الوحدة مع مصر، وسقوط حكم أحد أكبر أعداء الوحدة العربية، عبد الكريم قاسم في العراق بتاريخ 8 شباط/ فبراير1963. استيقظ السوريون بعد شهر من ذلك على بيانات تبثها الإذاعة وتعلن عن سقوط حكم الانفصال في الثامن من آذار/مارس 1963. الانقلاب على الحكم الذي لا هيبة له، كان من المفروض أن يحصل في التاسع من آذار/مارس بقيادة اللواء الناصري محمد الصوفي، وذلك بقدومه بالفرقة أو اللواء المرابط في حمص، لقلب النظام ولإعادة الوحدة بين شطري الجمهورية العربية المتحدة... ماذا حصل إذاً ؟

(*في ليلة السابع والثامن من آذار بدأت الدبّابات والمشاة تتحرّك للانقضاض على دمشق. وقاد العقيد زياد الحريري لواءً من الجبهة مع إسرائيل، بينما تحرّك لواء ثاني من السويداء في جبل الدروز باتجاه العاصمة بعد أن سيطر عليه الضباط البعثيون، وانحصر اللواء المدرع السبعون القوي المتميّز في الكسوة بين فكّي الكمّاشة، فاستسلم قائده المقدّم*

Claude PALLAZOLI, *La Syrie, le rêve et la repture*. p65. (1)

عبد الكريم عبيد، وفي الحال استولى عليه محمّد عمران بلباس مدني، وكان مسرّحاً من الجيش، *وكان في قطنا على المشارف الجنوبية الغربية لدمشق لواء كان من المحتمل أن يكون معادياً(1)*، بقيادة راشد قطيني الذي قال للإنقلابيين: لست معكم ولست ضدّكم.(2) وذهب السرّ مع اللواء راشد قطيني!

ومع الاستيلاء على اللواء السبعين، والذي كان اللواء المدرّع الوحيد في الجيش السوري، وتحييد القطعة التي كانت تحت قيادة راشد قطيني في قطنا، سارت قوّات زياد الحريري، التي كانت في خط المواجهة مع إسرائيل، إلى دمشق، دون أن يتحرك ساكن للقوات الإسرائيلية! فأقامت حواجز في المدينة، واستولى النقيب سليم حاطوم الدرزي، وعضو اللجنة العسكرية على محطة الإذاعة، وتمّ احتلال وزارة الدفاع ومقر

قيادة الجيش بلا قتال، ووضع قائده العام، عبد الكريم زهرالدين ورئيس الجمهورية، ناظم القدسي، وأكرم الحوراني وأكثر الشخصيات السياسية الانفصالية قيد الاعتقال. بينما وصل ضابط مسرّح، صلاح جديد، رئيس اللجنة العسكرية على درّاجة هوائية ليتسلّم مسؤولية مكتب شؤون الضباط، ذاك المركز الحسّاس(3) ليبدأ بتسريح الضباط الغير موالين للجنته وطائفته.

أمّا حافظ الأسد الذي كان مسرّحاً من الجيش، فيكتب باتريك سيل<< *وكانت اللحظة المظفّرة للأسد هي لحظة استيلائه على قاعدة العين الجوية، حيث كانت القوة الجوية بكاملها متمركزة فيها والتي كانت القوة الجوية الوحيدة ضدّ الانقلاب، فقد أُرسلت بعض الطائرات لقصف المتمردين. وكانت الخطة تقضي بأن يتحرك الأسد ضدّ الضُمير على رأس سرية من لواء الحريري، مستهدفاً الوصول قبل الفجر لتجنّب وقوع هجوم عليه من الجوّ، ولكن حصلت مشكلة معرقلة لم تكن في الحسبان، فقد استغرقت المفاوضات في الكسوة أطول ممّا كان متوقعاً. ولذا فقد كان في وضح النهار*

(1) أنظر باتريك سيل، الأسد، صفحتين 129-130

(2) Cf. B. VERNIER, *Le rôle politique de l'armée en syrie*, in politique étrangère, 5 juin 1964, p.487.

(3) أنظر باتريك سيل، المرجع السابق.

عندما أُوقفت قوّته الصغيرة على بعد ثلاثة أو أربعة كيلومترات من القاعدة التي كانت الدبّابات قد وجِدت لتتمركز حولها، وكان الأسد لا يزال بالملابس المدنية.

يقول (حافظ الأسد) مستذكراً: "أرسلتُ إليهم مبعوثاً برسالة تحذيرية بأنني سأباشر القصف إذا كانت هناك أيّة مقاومة. وبعد بضع دقائق جاء اثنان من ضبّاطهم في سيارة ليقترحا التفاوض، فهرعت على الفور معهما إلى حيث آمر القاعدة، وقلت له: لقد انتهى الأمر بالنسبة لكم ونحن لا نريد أن نقتل أحدا، ولكن مالم تستسلموا فإننا سنستعمل القوة. ثم أمرته بإنزال الطائرات. ويتابع الأسد:" وصاح أحد الضبّاط: هل تعتقد بأننا سنستسلم للناصريين؟ وكان السائل مسجوناً معي في القاهرة(1)عند انهيار

الوحدة، فقلت له: بالأمس فقط كنّا في السجن معاً، وأنت تعلم أنني بعثي لا ناصري. وتوتّر الجو كثيراً، ولكن بعد فترة من الصياح والصراخ المتبادل استسلموا. وكان بإمكانهم ان يُقاوموا، فالقوات التي تحت تصرّفهم كانت أقوى من وحدتي الصغيرة، ولكنهم كانوا جبناء، وعندما دخلت قوّاتي إلى القاعدة كانت على وشك أن تفتك بالضباط الانفصاليين لولا أن تدخّلتُ وحميتُهم>>(2)

الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الموقف على أي قارئ هي: أولاً لماذا لم يترك زياد الحريري العمل لقطعة عسكرية كانت ستأتي من وسط البلاد، أي من حمص، بقيادة محمد الصوفي ذو الاتجاه الوحدوي، بينما أتى هو، أي زياد الحريري، بقطعة عسكرية من خطّ المواجهة مع إسرائيل؟ ولماذا لم يتحرك ساكن من القوات الإسرائيلية في تلك الليلة؟ وكيف استولى محمد عمران، العلوي النصيري، والضابط المُسرّح على أقوى الألوية في الجيش السوري وهو اللواء السبعين وكان بلباس مدني؟ وكيف أصبح صلاح جديد مدير شؤون الضباط في قيادة الأركان، هذا المركز المهم، وكان مسرحاً أيضاً من الجيش؟ ماذا يستنتج القارئ من هذه المعلومات التاريخية التي صرّح بها حافظ الأسد بذاته؟ وعلى ذلك تتفق المراجع التاريخية التي كتبت عن تلك الفترة دون

(1) سُجنَ حافظ الأسد أربعين يوماً بعد الانفصال في القاهرة، بانتظار تبادل الضباط المصريين الذين احتجزتهم قوى الانفصال في سوريا.

(2) المرجع السابق، الصفحتان 130-131.

استثناء، من منيف الرزّاز إلى سامي الجندي إلى نيكولا فاندام وميشيل عفلق ومنصور الأطرش ومحمّد عمران وغيرهم...

أليس لمخابرات الدول الكبرى دور في تهديد راشد قطيني ومحمد الصوفي وفواز محارب وباقي الضباط الوحدويين؟ ولربما نخص في ذلك المخابرات الانكليزية، كعادتهم، يخططون للانقلاب بقوى مختلفة ويتركون هذه القوى تتصارع فيما بينها، وكلّ انقلاب يعود بالبلاد سنوات نحو الخلف كما اصبح ذلك معلوما للقاصي والداني، ولو نجح الانقلاب في التاسع من آذار لكان إمكانية إعادة الكمّاشة على دولة الصهاينة

باتحاد إقليميّ الجمهورية العربية المتحدة أكثر خطراً ووطئة على الإسرائيليين الذين طالما ردّد قادتهم بأنهم لم يخشوا جمال عبد الناصر إلاّ في عهد الوحدة، كذلك صرّح بنغوريون وأباإيبان وموشي دايان...

الدولة العلوية النصيرية تدخل التاريخ. (عهد الثامن من آذار/مارس) فترة التمهيد

هفوة من هفوات التاريخ على غرار الدولة الفاطمية بل أشدّ تعسّفاً وأكثر دمويّة...

أذكر من الكلمات التي كتبها سامي الجندي في كتابه *"البعث"* ما معناه: *لم تعرف القبائل المتوحشة ولا العصر الحجري... عهداً كعهد الثامن من آذار، كل الأمور صحيحة وكلّها خطأ، تظنّ نفسك بأنك تُعد التاريخ، ثمّ إنكّ لا شيء، ثم أنتَ شيءٌ مهم، ثم أنت لا شيء، تضيع في دوّامة 8 آذار حتى عن نفسك...*

كانت الدراسات عن عهد الثامن من آذار لدى أكثر الباحثين وكما بدا للعيان تنقسم إلى ثلاث فترات وهي:

1- سورية تحت سلطة القيادة القومية لحزب البعث بقيادة ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ومحمد أمين الحافظ ومحمّد عمران وأشباههم، من 8 آذار/مارس 1963 حتى 23 شباط/فبراير1966.

2- الجناح اليساري لحزب البعث أو القيادة القطرية، بقيادة نور الدين الأتاسي وصلاح جديد وحافظ الأسد وإبراهيم ماخوس وعبد الكريم الجندي ويوسف زعيّن.

3- عهد حافظ الأسد وهو عهد رأسماليّة الدولة والأسرة وليس من حوله منازع للحكم(1).

برأينا يمكن أن نقسّم تلك الفترة بشكل آخر:

1- الصراع على السلطة بين ضباط اللجنة العسكرية (العلويون النصيريون والدروز والإسماعيليون) من جانب، والضباط الناصريون والوحدويون من جانب آخر،

حُسم هذا الصراع بعد فشل جاسم علوان في 18 تمّوز/يوليو سنة 1963، لصالح المجموعة الأولى.

2- الصراع على السلطة بين القيادة القومية، أتباع ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وأمين الحافظ وأنصارهم من جانب، واتجاه القيادة القطرية، تلاميذ زكي الأرسوزي، وهم أعضاء اللجنة العسكرية، وحُسِمَ هذا الصراع بانتصار جناح الأرسوزي في 23 شباط/فبراير 1966.

3- الصراع بين الضباط العلويين النصيريين من جانب والضباط الدروز من جانب آخر حتى صيف عام 1967، ثمّ الصراع مع الضباط الإسماعيليين حتى نهاية عام 1969 وانتهى بكلتا الحالتين بانتصار العلويين النصيريين.

4- الصراع بين الضباط العلويين النصيريين، أتباع صلاح جديد من جانب، وأتباع حافظ الأسد انتهت بانتصار الأسد عام 1970.

5- الصراع بين حافظ الأسد والطليعة المُقاتلة للإخوان المسلمين من عام 1976 إلى

(1) أنظر باللغة العربية مثلاً، سامي الجندي في كتبه: *البعث، عربٌ ويهود، كسرة خبز*... وكتاب *سقوط الجولان* لمصطفى خليل بريز، وباللغات الأوروبية:

Cf. N. VAN DAM, *op-cit*, C. PALAZZOLI, *op.cit*.pp.182-222, E. PICARD, *Clans militaires et pouvoir Ba'thiste en Syrie, in Orient, juillet-septembre, 1979*, pp.49-62 et la Syrie *d'aujourd'hui*, CNRS 1946-1976, pp.143-84 ; et Ph. RONDOT, *la Syrie*, pp. 39-50.

عام 1982، انتهت بانتصار حافظ الأسد.

سنحاول في الصفحات التالية أن نتوقّف عند مجريات الأحداث وخفاياها قدر ما تعطينا المراجع التاريخية والمخطوطات، مع المقارنة بين الهفوات لدى المؤرّخين من جانب، والذين كتبوا مذكّراتهم للتاريخ من جانب آخر. مع العلم أنّ الذين كتبوا

مذكّراتهم من بين أولئك الذين كانت لهم مساهمة في السلطة ينطبق على أكثرها المثل العربي القائل: *لا أحد يقول عن زيته بأنه عَكِر*...

استيقظ العالم في صباح الثامن من آذار/مارس على بيانات النظام الجديد تبثها إذاعة دمشق التي احتلها سليم حاطوم الضابط الدرزي، ليتناول الخطابات الأولى فيها صابر فلحوط، وهو درزي أيضاً، ترافق خطاباته المارشات العسكرية والتي تلقّاها الشعب بقليل من الاكتراث. وتمّ تعيين صلاح الدين البيطار رئيساً للوزارة، وأنّ هدف الثورة التي قامت تحقيق أهداف الأمّة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية، وهذا يعني أنّ الانقلاب كان بعثياً أكثر منه انقلاباً وحدوياًً. وحين شعرت الجماهير بأنّ هناك مماطلات على الوحدة كانت تهتف في الشوارع: *لا تسألني عن صلاح، بدنا الوحدة هالصباح*. والمعني هنا كان صلاح الدين البيطار، رئيس مجلس الوزراء.

أُعيد الضباط المسرّحون إلى الجيش في ذات اليوم وعلى رأسهم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد الذين رُفّع كلٌ منهم رتبتان في الجيش عن الرُّتب التي كانوا فيها قبل تسريحهم.

تمّ تعيين مجلس لقيادة الثورة بشكل موزاييك سياسي، وكان يرأسه العقيد لؤي الأتاسي الذي رُفّع لرتبة فريق، وزياد الحريري وغسّان حدّاد وفهد الشاعر كضباط مستقلّين. وثلاثة ضباط ناصريين وهم محمّد الصوفي وراشد قُطيني وفوزي محارب. وثلاثة ضبّاط من اللجنة العسكرية، أوّلهم موسى الزعبي ومحمّد عمران وصلاح جديد للعمل في الخفاء.

يكتب سامي الجندي في كتابه *البعث*، ص.142 عام 1969 عن صلاح جديد مايلي: *<<تَبيّن لمن يعرفون خفايا علاقات العسكريين أنّ حاكم سورية الحقيقي منذ 8 آذار/مارس 1963، هو اللواء صلاح جديد، ولكنّه استطاع بمهارته أن يُخفي هويته الحقيقية. استغلّ جميع الخلافات وسعّرها لمصلحته، وكلّ الأشخاص كلٌّ حسب طاقته وهوايته. لولا حقده الذي يبلغ اللؤم لأعطى سوريا خيراً كثيراً. ولكنّ الضغينة تسيطر على كلّ عواطفه، لا يحبّ أبداً، يكره دائماً، مُناورٌ عنيدٌ، يُبدي الطاعة*

والاستكانة وهو يُعدّ الشرَك، لا يحتمل أيّة معارضة أو مخالفة لأمرٍ من أوامره حتى في صغير الأمور. إذا ناقشته أظهر الاقتناع وتودد لك حتى لتظنّه صديقك الوحيد، وتشتدّ الحملة عليك، فيدافع عنك ويقف معك حتى تسقط. مَن رآه يؤدّي التحية للفريق أمين الحافظ، بعد أن أصبح رئيساً للأركان العامّة، عَجِب للانضباط والاحترام. كان يذهب من قطعة لقطعة عسكرية يُنشِد المدائح باسمه ويتغنّى بكرمه وشجاعته ونخوته الجاهلية، ينادي به بديلاً للرئيس عبد الناصر في المنطقة. ويوجّه النقد للفريق من عناصر لم أشك ساعة أنها تأتمر بأمره. فيظنّ ذاك أنه اللواء عمران، فيحمل عليه. استغلّ كل القوى المدنية والعسكرية والطائفية.كان الأستاذ ميشيل عفلق يفتر ثغره تفاؤلاً عندما يراه، وأنا أعلم أنّه يُعد العدة للخلاص منه، يعجب بهذا التلميذ الوفيّ المهذّب الحي الحزبي الانضباطي.

بقي أن يعلم القارئ أنّ اللواء صلاح جديد لم ينتسب للحزب ولم يُقسم يمينه. انضمّ إلى حلقات الأنصار قبل أن يكون طالباً في الكلّية العسكرية، وحضر عدة اجتماعات، ثمّ انتهت علاقته الرسمية بالحزب، ولكنه كان يُبدي الميل ويتعاون مع الضبّاط الحزبيين في الفترة التي كان فيها طالباً في الكليّة العسكرية. كان عندي نسخة عن قائمة الحزبيين فيها، ولم يكن اسمه بينهم. لولا حركة 23 شباط/فبراير 1966 لبقي كالظل، تفيء إليه ولا تمسك بشخصه، ولقد حاول بعد أن يعود ظلا فما تمكّن. معروف عنه أنه يكره الوساطات والشفاعات والتدخّل في القضايا الفردية، ولكنّك تلمس أثره في كلّ قضيّة فردية. عُرِف عنه أنه ضد العائلة، وبحثت في الأمر، ولم أجد أحداً من عائلته بلغ الثامنة عشر إلاّ وعيّن في وظيفة. ساهمت ظروف حياته في تعقيد شخصيته، حذرٌ شديد الحذر، معروف أنه يساري مُتطرّف، ولكن دراسة المخطط الذي سارت حسبه السياسة السورية حتى 5 حزيران/يونيو (أي حرب 1967) *يُناقض هذا ويضحده... يكره الرئيس عبد الناصر حتى الموت، يعتبره المسؤول عن مقتل أخيه>>*

يضيف سامي الجندي في ذات المصدر، ص. 144-45 *<< سألني صلاح جديد مرّة: كيف نُعالج قضيّة الطائفية؟ قلت: أصبحت هذه المشكلة سياسية أولاً، ولكنّها تتعقّد*

يوماً بعد يوم، وستصبح قضيّة اجتماعية وستعرّض البلاد للخطر(1) وأُفضّل أن تعودوا إلى المشروع الذي بدأه الجيل العلوي المثقّف الذي سبقكم.

قال: ما هو؟

قلت: نشر الكتب السرّية، فالطوائف الأخرى تُسيء الظنّ بكم وتذهب إلى أنّكم جمعية، يجب أن تبدأوا بالحلول من جذورها، وأنا موقنٌ أن ليس في كتبكم ما يُخشى من نشره، فقد حدّثني عنها بعض شبابكم وأعتقد أنّ فيها كثيراً من الفكر والشعر، وأنا موقنٌ أنّكم غير متعصّبين، وقد خاض شبابكم كل معارك النضال، فلا تتركوا مجالاً للشكّ بنيّاتكم. لقد بات ذلك خطيراً عليكم وعلى الوطن.

قال: لو فعلنا لسحقنا المشايخ.

أجبت: ثوريّ وتخشى المشايخ،؟! كيف إذن نتعرّض للمشكلات الكبرى؟ نقارع الاستعمار ونجبن أمامهم؟

لم يُحر جواباً، بدا عليه التفكير، وبدأت منذئذٍ مشاكلي مع الحكم. وعلمت بعد ذلك أنّه يدفع الزكاة للمشايخ ويتقرّب منهم >>.

لا بدَّ لنا من رأي في هذا الحوار كأحد المختصين في دراسة المذهب العلوي النصيري ألا وأنّ "صلاح جديد" كان يعي ما يقول في مسالة نشر الكتب السريّة للطائفة النصيرية، وكذلك ما هي الأخطار التي ستنتج عن هذا الأمر، ولكنّ سامي الجندي كان ولا بدّ أنّه اطلع على كتاب *"الهفت والأظلة"* للمفضّل بن عُمر الجعفي، والذي نشره عارف تامر، وليد بلدة السلمية، الإسماعيلي المذهب، كسامي الجندي، والذي أحدث ضجّة سنة 1960 حين تمّ نشره في بيروت، وكاد يوقع مشكلة طائفية بين الإسماعيليين والعلويين النصيرين، لولا تدخّل عبد الحميد السراج الذي قام بشراء النسخ المتواجدة في المطبعة الكاثوليكية وأتلفها، خوفاً من فتنةٍ طائفيةٍ وحفاظاً على الوحدة الوطنية في عهد الجمهورية العربية المتحدة. والدكتور سامي الجندي الرجل المثقّف والذي تولّى وزارة الثقافة في حكومات البعث أكثر من مرّة نشكّ في أنه لم يطلع على هذا الكتاب الذي يحتوي على تربية النفس الإنسانية بالحقد والكراهية للمسلمين السنّة بشكل خاص.

وقد قمنا بتحقيق *كتاب "الصراط"* المتمم لهذا الكتاب ولذات الكاتب ونشرناه في دار أفريقيا الشرق في الدار البيضاء عام 2008. وهنالك هفوة أخرى وقع فيها سامي الجندي في كتابه، *كسرة خبز*، حول حرب الأيام الستة والتي سنوضحها في الصفحات المقبلة...(1).

تمّ تسريح 622 ضابطاً من الجيش، وأغلبهم من المسلمين، وأُدخِل في الجيش لتعويضهم عددٌ من الضبّاط الاحتياط، أكثرهم من الأقليات الدينية وبشكل خاص من العلويين النصيريين(2).

القوّة الثانية التي كان يمكن لها أن تقف في وجه المخطط الطائفي للاستيلاء على السلطة كان الناصريون، وكان ممثلوهم يهددون باسم الجماهير، ولكن تلك الجماهير لم تكن منظّمة. أمّا الضباط الناصريون فكانوا منشغلين بالمحادثات في مصر للإعداد لإعادة الوحدة بين مصر وسوريا والعراق، والذي نتج عنه اتفاق السابع عشر من نيسان 1963، لإقامة اتحاد فدرالي بين الأقطار الثلاثة بدلاً من الوحدة الاندماجية كالتي كانت بين سورية ومصر سابقاً(3) ولاحظنا أنّ من بين أعضاء الوفد السوري لم يكن بينهم أي عضوٍ من أعضاء اللجنة العسكرية سوى محمّد عمران، وفي هذا الصدد

(1) أوردنا في كتابنا، *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري* عناوين 48 كتابا، من بين مخطوط ومطبوع، وجميع هذه الكتب بلا استثناء تدين المذهب النصيري بكلّ أسف.

(2) أنظر سامي الجندي، *عربٌ ويهود*، ص.122، ومصطفى خليل بريز، *سقوط الجولان*، ص. 21، ومنيف الرزّاز، نقلاً عن ميشيل سورات، في *سورية اليوم*، ص. 99 عن كتاب *التجربة المرّة*.

(3) لزيادة المعلومات والمناقشات التي دارت حول هذا الاتفاق، أنظر *صحيفة الأهرام القاهرية*، عدد 20 أيار/مايو 1963.

كتبت إليزابيت بيكار: إن الاجتماعات التي تمّت في القاهرة ما بين 14 آذار/مارس و14 نيسان أبريل، عام 1963 في القاهرة، تركت اللجنة العسكرية مَن يتكلّم باسم سوريا رجالاً من الدرجة الثانية في السلطة الفعلية، كعبد الكريم زهور وآخرون لا يحلّون ولا يربطون كميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، وكان من وراء الستار رجلٌ صامتٌ يستمع ولا يقول شيئاً وهو محمّد عمران الذي كان ضدّ الوحدة (1).

بعد أن عاد الضباط الناصريون من القاهرة وجدوا أنّ أكثر أعوانهم في الجيش قد تمّ تسريحهم، وكانت العبارة المتداولة في تلك الظروف هي: *إدخل يا بعثي، أخرج يا ناصري*.

وفي مطلع شهر أيار/مايو 1963، في دمشق، أعداد كبيرة من طلاب الجامعة ومن اللاجئين الفلسطينيين، وصلوا على ظهور سيارات شاحنة، حاولوا احتلال الأركان والإذاعة، فتصدّت لهم قوّات الجيش وكانت النتيجة مقتل أكثر من ثلاث مئة مواطن بين المدنيين، وهذه لأوّل مرّة في تاريخ سوريا تباح دماء المواطنين السوريين بأيدي جنود الجيش السوري، ولأول مرّة تبدأ مسيرة دماء الفلسطنيين بسلاح البعثيين(2).

ولكن القوى الناصرية في الجيش لم تنتهي بعد، حيث أنّ بقايا الضباط الناصريين لم يلقوا المقاومة جانباً...

في ذات الشهر سُلّم زياد الحريري وزارة الدفاع، وأُرسل بمهمّة مستعجلة إلى الجزائر، في 23 حزيران 1963، ومن هناك وصلته برقية من الحكومة بتعيينه مستشاراً عسكرياً في السفارة السورية بواشنطن، وتمّ تسريح الضباط الموالين له في ذات الوقت، وكان عددهم خمسة وعشرين ضابطاً(3).

في 18 تمّوز/يوليو 1963، الساعة الحادية عشر صباحاً، هذا الوقت لم يسبق أن

(1) أنظر *سوريا اليوم*، ص. 99، وكذلك سامي الجندي، *البعث*، صفحات 120-123.

(2) Cf. B. VERNIER, *Armée et politique au Proche-Orient*, pp.138-39 et Edouard SAAB, *La Syrie ou la révolution dans le rancœur*, p.133.

(3) Cf. B. VERNIER, idem, p. 138.

اختير للانقلابات العسكرية، قاد العقيد جاسم علوان الضبّاط الناصريين بمحاولة الاستيلاء على مبنى الإذاعة، وبدعم من حركة القوميين العرب، فأخرجوا له محمّد أمين الحافظ، الذي كان وزيراً للداخلية ووزيراً للدفاع بدلاً من زياد الحريري، واشترك في المعركة برشاشه، وقضوا على هذه المحاولة الانقلابية بعد يومين من القتال، كان عدد الضحايا وأكثرهم من الأبرياء، 400 أو 820 أو 900، وأهم أسباب فشل هذا الانقلاب كان أحد الضابط الذي أوكلت إليه اللجنة العسكرية التقمّص بالناصرية (1)، وكان البعثيون قد أسسوا قبل أقلّ من شهر الحرس القومي، وهو ما يُشابه الشبّيحة التي نظّمها بشّار وماهر الأسد في مطلع القرن الواحد والعشرين، وكان أفرادها فتياناً يحملون سلاح بندقيّة الساموبال التشكوسلوفاكي لقتال الشوارع، ولم يكونوا أقلّ دمويّة من أحفادهم الشبّيحة. وهكذا تمّ إفراغ الجيش من ضبّاطه، أو أنّه تمّ حل الجيش العربي السوري لاستبداله بالجيش العقائدي...

لؤي الأتاسي، رئيس مجلس قيادة الثورة حين ذاك، الضابط المهذّب، قدّم استقالته للمرّة الأخيرة، ورفض أن يتحمّل مسؤولية الجرائم الإنسانية الوحشية، والجرائم الوطنية والقومية بالتآمر على الوحدة، ليحلّ مكانه شخصية فارغة وإحدى الديمومات التي عرفتها سوريا باسم محمّد أمين الحافظ. وانسحب جمال عبد الناصر من ميثاق 17 نيسان/أبريل في الثاني والعشرين من ذات الشهر، بعد التخلّص من الناصريين وإعدام عشرات الضباط منهم ميدانياً. وبعد الانتهاء من الانفصاليين والضباط الموالين للحريري ثم الضباط الناصريين، بدأ الصراع في الخفاء على السلطة بين أعضاء القيادة القومية، بقيادة ميشيل عفلق ومن حوله صلاح الدين البيطار ومحمّد أمين الحافظ من جانب، وأعضاء القيادة القطرية، أتباع زكي الأرسوزي، بتخطيط صلاح جديد ومحمّد عمران وحافظ الأسد(2).

(1) أنظر إدوار صعب، *المرجع السابق*، ص. 130.

(2) Cf. E. PICART, *Clans militaires et pouvoir ba'thiste en Syrie, in Orient*, n° juillet-septembre, 1979, pp. 53-55 , *Le Monde Diplomatique*, septembre 1967, p.6, Patrik SEIL, *Al-Assad*, p.139.

في نهاية صيف عام 1963 وبداية الخريف، مع افتتاح العام الدراسي والجامعي، تقدّم 300 مرشّح من معتنقي المذهب العلوي النصيري إلى الكليّات العسكرية، مما أثار لفت انتباه وزير الدفاع آنذاك، عبدالله زيادي، وعرض الموقف على أمين الحافظ، الذي نهره وشتمه بحزم تحت شعار أننا نبني لمجتمع قومي وثوري، وختم شتائمه بكلمة: انقلع. وأورد باتريك سيل هذه الحادثة بأنه جمعه مع صلاح جديد وحافظ أسد مساءً ليخفف من شدّة همومه ويطمئنه على أنّ سوريا تنحو مسيرة القومية العربية، وفي اليوم التالي تمت إقالته... ولكن ما بين أيلول/سبتمبر 1963 وشباط/فبراير 1964 تمّ إنشاء تسع قطع في الجيش، بأمر من صلاح جديد على أسس طائفية(1).

في نهاية عام 1963، بدأت ظاهرة جديدة في سوريا بعد هذه الأحداث التي مرّت بها البلاد، تطفو على السطح، ولأُول مرّة في تاريخ البلاد، سواء على المستوى المدني أوالمستوى العسكري. هذه الظاهرة هي الطائفية في سوريا... فرئيس الدولة، محمّد أمين الحافظ، والذي لم يكن له من السلطة إلاّ القشور(2)، كان محاطاً بضابطين علويين نصيريين هما محمد عمران وصلاح جديد. الأوّل كان يقود اللواء السبعين(3) والثاني كان رئيساً للجنة العسكرية. وفي اللقاءات الرسمية كان الناس يرون من حوله أيضاً الدرزي منصور الأطرش وسليم حاطوم، ومن الإسماعيليين عبدالكريم الجندي وأحمد الماز... فأطلق عليهم الدمشقيون لقب "الباطنيون"، وكان الإنسان البسيط في دمشق، حين

(1) Cf. E. PICARD, *La Syrie d'aujourd'hui*, p.161 وانظر أيضاً خليل مصطفى بريز، *سقوط الجولان*، ص. 30.

(2) يكتب باتريك سيل في كتابه الأسد، ص. 165، *كان الحافظ أمام العالم الخارجي رجل سوريا القوي، إذ كان يمسك بيديه مناصب رئيس مجلس الرئاسة، والأمين العام للقيادة القطرية والقائد العام للجيش والقوات المسلّحة ورئيس*

الوزراء، ولكنه بالنسبة للجنة العسكرية كان رجلاً من قش، بدون قاعدة عسكرية أو خلفية حزبية. فقد كانوا يمسكون بلجامه من خلف الكواليس، حتى أنّ الأسد ذكر بأنّ " أمين الحافظ " لم يكن يستطيع نقل جندي واحد بدون موافقتنا.

(3) كان قادة اللواء 70 من أقوى الرجال الذين تحكّموا بمصير سوريا خلال سنوات الخمسينات والستينات، منهم أديب الشيشكلي وفوزي سلّو ومحمد عمران وعزّت جديد...

يتكلّم عن الوضع السياسي في البلاد يقول: عدس، وتعني:علوي– درزي– سمعولي(1).

خلال تلك الفترة كانت القيادة القطرية تجتمع لتتخذ القرارات، وكان أعضاء اللجنة العسكرية يتوشوشون فيما بينهم، ومن ثم يهمسون في آذان بعض أعضاء القيادة القطرية، وتنتهي الاجتماعات بالاتفاق على القرارات التي يؤيدونها والتي كان متفقٌ عليها سابقاً(2)

وبدأت الهجرة من الريف إلى المدينة من قِبَل أقرباء أعضاء اللجنة العسكرية وأعوانهم إلى دمشق وحواضرها للحصول على الوظائف في الدولة، وأخذت "القاف" المقلّقة تعلو في الدوائر الرسمية في المدن الكبرى للتوظيف في كافة المجالات وخاصة المخابرات(3)

وكان هنالك صراع آخر في الخفاء ما بين محمّد عمران من عشيرة الحدّادين وصلاح جديد، من عشيرة الخياطين، على مركز رئاسة الأركان الذي ظلّ خالياً منذ طُرِد زياد الحريري منه(4). وبالنتيجة رُفِّع كلٌّ منهما إلى رتبة لواء وتمّ تعيين محمّد عمران رئيساً للأركان بسبب القِدم في الخدمة. ولكنّ صلاح جديد كان يُحضّر في الخفاء للتخلّص منه، فكان ينتقد الفريق أمين الحافظ وتصرّفاته أمام ضبّاط كانوا يأتمرون بأمره، وكان الحافظ يظنّ أنّ هذه الانتقادات تأتي من محمّد عمران. وقد أوجد بنفسه الحجّة ضدّه بعد عودته من زيارة للخرطوم، حيث فشلت قوّات الجيش بإخماد المظاهرات ضدّ الجيش عام 1964، فراح يُطالب إثر عودته بإعادة السلطة للمدنيين، وكذلك حلّ القيادة القطرية لحزب البعث التي كان أمين الحافظ الأمين العام لها، فوقع في الفخ الذي نصبه له صلاح جديد، وتمّ إرساله سفيراً إلى إسبانيا، وحاول ابن أخيه مصطفى عمران، قائد اللواء السبعين أن يتوجّه إلى دمشق بقواته، ولكنّ أكثر الضباط كانوا تحت سيطرة جديد، ففشل، وتولّى صلاح جديد قيادة هذا اللواء ليسلّمه فيما بعد لابن عمّه عزّت جديد (5).

بعد التخلّص من محمّد عمران، صعد زكي الأرسوزي إلى السطح، لم يتوانَ في بذل

(1) Cf. B.VERNIER, *op-cit*. pp.477-78.

(2) أنظر سامي الجندي، *البعث*، ص. 133.

(3) أنظر ذات المصدر.136-137.

(4) أنظر نيكولا فاندام، *الصراع على السلطة في سوريا*، ص. 49، وسامي الجندي، البعث، ص. 142.

(5)Cf. B. VERNIER, *loc-cit*, pp. 498-99.

المدائح بين قطعات الجيش لصالح تلميذه المخلص صلاح جديد(1).

بعيداً عن دمشق، في مدينة بانياس، صيف عام 1964، حيث لا زالت ذكرى سليمان المرشد حيّة في الأذهان، حصل صدام طائفي ما بين المرشديين والعلويين النصيريين من جانب، وأهل والسنّة من جانب آخر، واستطاع الحرس القومي(الشبيحة) إخماد الفتنة(2).

ولكن تفجّر التمرّد في مدينة حماة، وكان أوّل صِدام ما بين السلطة الحاكمة في دمشق وجماعة الإخوان المسلمين، ولأوّل مرّة في تاريخ سوريا منذ الاستقلال. حيث بدأ سكّان حماه يسمعون هتافات لم تكن سوريا معتادة عليها في غابر تاريخها. منها هذا البيت من الشعر : *آمنتُ بالبعثِ ربّاً لا شريك لهُ = وبالعروبة ديناً بعد وجداني*

وهتاف آخر يقول: *يلعن يومك يا حطين = والخاين صلاح الدين،*

في وجه هذه الهتافات، كتب فتى لا يتعدّى سنه الحادية عشر من العمر، على لافتة، الآية القرآنية الكريمة:<< ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون>>(3)

أوقفت المخابرات ذلك الفتى، وخرجت مظاهرة بقيادة الإخوان المسلمين تجوب شوارع المدينة مطالبةً بإخلاء سبيله. ووعد محافظ حماة بإخلاء سبيله، وحيث اعتاد البعثيون على أن يخلفوا بوعودهم، فإنهم سرّحوا عددا من مدرّسي التربية الإسلامية، ثمّ خرجت مظاهرات أقوى في كل أنحاء المدينة تطالب بإيقاف الهتافات ضدّ الدين وإطلاق سراح الفتى الموقوف وإعادة مدرّسي التربية الإسلامية لعملهم، فتدخّلت

المخابرات بالقوة لإيقافها، ففشلت، وحينئذٍ تدخّل الجيش بضغطٍ من صلاح جديد على أمين الحافظ، فَضُرِبت الجوامع بالمدافع لأول مرة منذ زحف المغول (4).

(1)أنظر سامي الجندي، *البعث*، ص. 138.

Cf. B.VERNIER, loc-cit, p.139.(2)

(3) قرآن كريم، سورة 5، الآية 48.

(4) هذه الأحداث هي تلخيص لخطبة ألقاها المهندس مروان حديد، في مسجد الروضة بدمشق عام 1974، وهذا لا يتناقض مع ما كتبه سامي الجندي عن هذه الأحداث في كتابه *البعث* ص. 145- 147. وانظر أيضاً سخافة سرد هذه الأحداث عند مصطفى طلاس في *مرآة حياته*، الجزء الثاني، صفحات 485-488.

يجب الإشارة هنا بأنّ أحداث مدينة حماة في عام 1964 حصلت قبل إقالة محمّد عمران من رئاسة الأركان، الذي اتخذ موقفاً ضدّ ضرب المدينة بالمدافع، بينما أصرّ صلاح جديد على استعمال القوة وأقنع أمين الحافظ برأيه، وقد ردّ على موقف عمران بالعبارة التالية: لقد فات وقت المزاح(1).

الاضطرابات لاحقت مدناً أخرى وخاصة حمص ودمشق واللاذقية وحلب، ولكنها لم تأخذ المدى الذي حصل في مدينة حماة... وبدأنا نسمع في الشارع السوري كلمة نصيري بدلاً من علوي من جديد، ونسمع أيضاً كلمة باطني وتعني المذاهب الباطنية الثلاث، وراحت الشجارات في الشوارع والمدارس تأخذ أشكال زمر طائفية بين أبناء المجتمع، وبدا تغيير واضح في المجتمع السوري بين الكثير من الأطراف بشكل لم تعهده البلاد من قبل.

هذا التغيير في المجتمع المدني انتقل أيضاً إلى المجتمع العسكري، بشهادة عضو مجلس قيادة الثورة، فهد الشاعر، حيث قال: إنّ جيشاً ينشغل ثماني عشرة ساعة كل يوم في السياسة، ويأكل وينام خمس ساعات، لن ينفع البلاد في وقت الشدّة (2).

بالرغم من التحذيرات التي وجّهت إلى محمد أمين الحافظ، رئيس مجلس قيادة الثورة، من قِبل عبدالله زيادي(3) منذ عام 1963 وغيره من الحزبيين، ومن بينهم عفلق، ولم يأبه لهذه التحذيرات، وجد نفسه في وجه صلاح جْديد الذي كان يمسك بعنان الجيش

العقائدي وقيادة الأركان، وحين استيقظ على نفسه وجد بأنّه ليس أكثر من ديمومة بين أصابع صلاح جديد، فقال كلمته التي نقلها سامي الجندي: *لا أرضى أن أكون واجهة سوى للحزب*(4). استغلّ محمّد عمران هذا الوضع لأمين الحافظ، والتحق به من مدريد إلى الدار البيضاء بعد مكالمة هاتفية، خلال حضوره مؤتمر القمّة العربية التي

(1) سامي الجندي، *عربٌ ويهود*، ص. 112.

(2) أنظر مصطفى خليل بريز، *سقوط الجولان*، ص. 258.

(3) من الذين حذّروه أيضاً الضباط الناصريون أثناء زياراته لهم في سجن المزّة، ونخصّ بالذكر، راشد قطيني وفوزي محارب ومحمّد الجرّاح وجاسم علوان.

(4) أنظر *البعث*، ص. 153.

دعى لها الرئيس جمال عبد الناصر، للتشاور في مسألة تحويل مياه نهر الأردن، وكان ذلك في 13 أيلول/سبتمبر عام 1965، للتعاون معه من أجل الحدّ من سيطرة صلاح جديد. ودعى للانضمام إليه بعد عودته إلى دمشق صلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني، ومنيف الرزّاز من الأردن، ليتولّى الأمانة العامة لحزب البعث. وتسلّم محمّد عمران وزارة الدفاع التي كان قد رفضها سابقاً. ومع جميع هذه التحالفات الجديدة من أجل الحدّ من سيطرة اللجنة العسكرية، استطاعوا تغيير اسمها فقط إلى المكتب العسكري للحزب بدلاً من اللجنة العسكرية. وعاد ميشيل عفلق من ألمانيا لينتقد في بداية شباط/ فبراير1966 التسلط الطائفي العلوي على الحزب وعلى سياسة البلاد، خلال اجتماع المؤتمر القومي الثامن للحزب(1). وكان قد تمّ تعيين حافظ الأسد آمراً لسلاح الطيران منذ عام 1965، وأخيه رفعت قائداً لقوة ضاربة.

حدث انفصال تام بين أعضاء القيادة القومية وأعضاء القيادة القطرية، بعد أن رفعت القيادة القومية أمراً بعدم تسريح الضبّاط دون الأخذ برأيها فيه. ولكن القيادة القطرية رفضت هذا الأمر بكامله واعتبرته كأنّه لم يكن. وفي هذه الأثناء سافر حافظ الأسد مع ناجي جميل إلى إنكلترا بحجّة العلاج، ولكنّه لم يلتقِ من بين أطباء بريطانيا العُظمى

سوى بوزير الخارجية جورج طومسون؟! إلاّ أنّ أمراضه كانت من نوع المرض الدبلوماسي.(2)

<< بدأت المصادمات بين(أتباع) عفلق والضبّاط في 21 شباط/فبراير 1966، عندما حاول اللواء محمّد عمران، أن يختبر سلطاته الجديدة، فأصدر أمراً بنقل ثلاثة من أهمّ مؤيدي صلاح جديد، وهم اللواء أحمد سويداني، المدير السابق للمخابرات العسكرية، والذي كان عندئذ في إدارة شؤون الضبّاط، والعقيد عزّت جديد من سلاح الدبّابات، والرائد سليم حاطوم، الذي كانت وحدته الفدائية تقف في حراسة القصر الجمهوري،

(1) أنظر مجلّة *الغرباء*، العدد 4-5 عام 1980، ص.19, وانظر ايضاً نيكولا فاندام، *المرجع الوارد*، صفحات 51-63، وكذلك برنار فيرنيي، *المرجع الوارد*، صفحات 139 – 42.

(2) أنظر باتريك سيل، *الأسد*، ص 167.

ومحطّة التلفيزيون ونقاط استراتيجية أخرى. وفي 22 شباط/فبراير، قامت اللجنة العسكرية بالرد على الضربة، إلاّ أنها قامت أوّلاً بحركة تمويهية لإفقاد الخصوم توازنهم. تمّت هذه الحركة بواسطة خدعة قام بها قائد الجبهة المواجهة لإسرائيل، الضابط العلوي، عبد الغني إبراهيم (1) الذي اتصل بقيادة الجيش بدمشق ليفيد بأنّ شجاراً قد نشب بين ضبّاط خطّ المواجهة، وأنّهم سحبوا السلاح وشهروه في وجوه بعضهم البعض. وجعلت هذه الخدعة الفريق أمين الحافظ، ووزير الدفاع محمد عمران ورئيس الأركان يهرعون ليحلوا هذه المشكلة. وبعد أن طافوا على الوحدات واشتركوا في نقاشات مطوّلة، عاد الثلاثة إلى دمشق منهكين، واتّجهوا إلى فراشهم في الثالثة صباحاً يوم 23 شباط/فبراير، وبعد ساعتين فقط استيقظوا بصدمة قاسية على صوت الرصاص.

فقبيل الفجر قام فدائيو سليم حاطوم، تعززهم قطعة رفعت الأسد الضاربة وكتيبة دبّابات يقودها عزّت جديد، بشنّ هجوم على منزل الفريق أمين الحافظ. ومن داخل المنزل قام الفريق وحرسه بدفاع شجاع. واستمر إطلاق النار في هذه المنطقة من وسط دمشق حتى الظهيرة، إذ كان أفراد المغاوير يأتون موجة بعد موجة للانخراط في

القتال. وأخيراً عندما نفذت ذخيرة المدافعين وقُتِل الحرّاس وتهدّم المنزل بقنابل الدبّابات، وجُرِح أطفال أمين الحافظ(وقد فقدت إحدى بناته عينها فيما بعد)(2) وكان قائد حرسه الملازم محمود موسى، فقد جُرِح ونقل إلى المستشفى، حيث لحق به عزّت جديد بقصد الإجهاز عليه. إلاّ أنّ موسى سبق له أن كان فدائياً (أي من عصابة سليم حاطوم) *تدخّل حاطوم لإنقاذه وهرّبه فيما بعد إلى بيروت. وكانت حصيلة القتال*

(1) عبد الغني إبراهيم هو الذي ادّعى أنّ يوسف العربي الضابط الفلسطيني، اسرّ له قبل أن يموت بأنّ ياسر عرفات عميل لإسرائيل.

(2)حين كان الناس يسألون ابنة امين الحافظ: من فقأ لك عينك؟ كانت تُجيب: عمّو سليم(حاطوم) دلالة على العلاقات الإنسانية التي كانت تجمع رجال حزب البعث.

خمسين شخصاً >>(1).

وضعت مجموعة(عدس)، أي القيادة القطرية، مَن وضعت في سجن المزّة، ممن لهم تأثير في الجيش والحزب، من بينهم أمين الحافظ وصلاح الدين البيطار ومنصور الأطرش وشبلي العيسمي ومحمّد عمران... وكذلك أعضاء القيادة القومية للحزب من أردنيين وسعوديين ولبنانيين، ما خلا منيف الرزّاز وميشيل عفلق. وتمّ تسريح أربعمئة ضابط وموظّف، أمّا ميشيل عفلق فقد هرب بسهولة إلى بيروت بحذر، ولكن أتباع صلاح جديد لم يأبهوا له لعلمهم أنّه لا خطر منه عليهم(2).

أهمّ حدث بعد ذلك أنّ حافظ الأسد تولّى وزارة الدفاع، وأسخف شخصيّة في تاريخ سوريا الحديث، نور الدين الأتاسي، تمّ تعيينه رئيساً للدولة وجمع أحياناً إلى جانب منصبه هذا مركز رئيس الوزراء والأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي، لدرجة أنّ آل الأتاسي في حمص، كانوا يرددون على سبيل السخرية، "نحن نفخر بأنّ أكبر رِجل كرسي في سوريا هو من عائلتنا". وحاول صلاح جديد بعد ذلك أن يعود ليحكم سوريا من وراء حجاب، لكنّه لم يفلح، فقد بدا لجميع الناس أنّه حتى تلك الفترة حاكم سوريا الحقيقي(3). يساعده حافظ أسد كوزير للدفاع وإبراهيم ماخوس للخارجية.

لنعد إلى ميشيل عفلق، مؤسس حزب البعث العربي منذ عام 1943، ولنحاول فهمه من الناحيتين الوطنية والحزبية والشخصية.

منذ عهد حسني الزعيم، أُوقف ميشيل عفلق من قبل قوى الأمن ووضع في السجن وتحت ضغوط شتى كتب ورقة يستقيل من خلال فحواها عن العمل الحزبي. ثم عاد لنشاطه الحزبي بعد انتهاء عهد الزعيم، بارك الوحدة مع مصر ولكنه بقي بعيداً حين شعر بأنّه لن يستطيع حكم الإقليم السوري من وراء الستار، كما أسلفنا في الصفحات

(1) باتريك ستيل، *الأسد*، صفحات 167-168.

(2) حدّثني الأستاذ شاكر الغضبان، مدير متحف بيروت سابقاً والذي درّس في جامعة ستراسبورغ لأكثر من عشر سنوات مادة علم الآثار، كيف التقى ميشيل عفلق في سهل البقاع هارباً أو شبه هارب من سوريا، وأوصله بسيارته لبيروت، وكان تعليقه عليه بأنه إنسان لطيف ومهذّب...

(3) أنظر كتاب *البعث* ص. 143 لسامي الجندي.

السابقة، كان أيضاً على علم بمجريات الأحداث الطائفية داخل حزبه منذ قبل الانفصال، وكان على علم أكيد بأنّ انقلاب الثامن من آذار يجب أن يؤدّي إلى إعادة الوحدة بين شطري الجمهورية العربية المتّحدة أو الاتحاد الكونفيديرالي الثلاثي مع العراق ومصر، وكان يرى بأمّ عينه الاتجاه الطائفي الذي يسير فيه الحزب دون أن ينبث بأية كلمة حتى بعد إقصائه عن الحزب، ولكنه قال كل ما كان يجب قوله سنة 1963، إنما في عام 1981، أي بعد أكثر من ثمانية عشر عاماً بتلمّسه اتجاه البعث الذي أسسه مع صلاح الدين البيطار نحو البعث الطائفي بدلاً من البعث العربي. يقول ميشيل عفلق حين تأبين صلاح الدين البيطار في بغداد: << *بعد قيام حركة 8 آذار في سوريا سنة 1963، بدأنا نسمع الناس يتحدّثون عن حالة شاذة عن الحزب وعقيدته وممارساته. تلك هي نزوع عدد من الضبّاط الذين شاركوا في حركة آذار ووصلوا إلى مراكز قيادية فعّالة تحت غطاء الحزب نحو تكتيل الأعوان على أسس طائفية وتوجيه الأحداث في البلاد على هذه الأسس البغيضة. وفي البداية كنّا نرفض أن نصدّق ذلك. وتصوّرنا أنّ في ذلك محاولة من الأعداء للتشهير بالحزب والثورة (1). لأن عشرين سنة*

قد مرّت على الحزب قبل انقلاب آذار ولم تنشأ فيه مثل هذه الظاهرة(2). وكان بين البعثيين من أبناء سوريا من المنتمين إلى الطائفة العلوية قادة ومناضلون بارزون(3)، وشيئاً فشيئاً صرنا نلمس حقيقة هذه الظاهرة التي نشأت إبان حلّ الحزب في القطر السوري وفشل تجربة الوحدة مع مصر(4) التي خلّفت أوضاعا

(1) مَن هم هؤلاء الأعداء؟ الشعب العربي السوري أم الوحدة العربية؟

(2) الغريب أنّ منير مشابك موسى لفت نظرنا منذ عام 1958 إلى هذه الظاهرة من خلال أطروحته باللغة الفرنسية، *دراسة في المجتمع العلوي النصيري*، وهو غير مسؤول عن أي حزب سياسي، يحذّر من دخول رجال الدين النصيري في حزب ميشيل عفلق ويدفعون بأبناء الطائفة للسيطرة على الجيش من وراء غطاء حزب البعث، ولا يغيب عن أذهاننا أنّ ميشيل عفلق تخرّج أيضاً من ذات الجامعة التي تخرّج منها مشابك موسى ولكن قبل عشرين عاماً.

(3) مَن هم هؤلاء القادة والمناضلين؟ لم يعط إسم أي واحد منهم، ولكن لربما كان وهيب الغانم أستاذ حافظ الأسد أو ربما محمّد عمران وامثاله!.

(4) الوحدة مع مصر كمؤرّخ، لم تفشل، ولكنّها طُعِنت بمؤامرة داخلية وخارجية، سوى أنّ عفلق نسي بأنّه مختص بمادة التاريخ، لدرجة أنّه لا يعلم كيف يختار كلماته!

سلبية ومريضة لدى بعض الحزبيين وفي سوريا عموماً. فاستغلّها هذا النفر من العسكريين المتآمرين والمقامرين لانتهاج هذا السبيل المنحرف والعمل من خلاله للاستيلاء على الحزب والبلاد(1). ولمّا لم تجد كل وسائل الحوار والإقناع والردع بالعقوبات الحزبية ضدّ هؤلاء، وتأكّدنا من تصميمهم على تنفيذ مخططهم الخبيث، وقفنا في وجههم بشكل حاسم لا يقبل الالتباس ولا التردد، حرصاً على سلامة خط الحزب وإنقاذاً لمستقبله وصيانة لمصير البلاد من هذا الخطر المزدوج، خطر الطائفية السياسية البغيضة والتسلّط العسكري وضرب الحزب بقوة السلاح(2). وصار واضحاً لأصغر مناضلٍ في الحزب ولأوساط واسعة من الشعب أنّ السلطة في سوريا أمست في قبضة فئة عسكرية ومدنية ذات نهج طائفي تستغلّ طائفة معيّنة في البلاد استغلالاً خبيثاً لبسط تسلّطها وتحقيق مآربها، مستفيدة من نفرٍ من الأتباع المنتمين الذين لا يملكون من حقيقة السلطة إلاّ القشور. ورغم ذلك فقد عزّ علينا أن نشير صراحة إلى هذه البدعة في تاريخ سوريا وفي تاريخ الحزب(3) فسمينا إنقلابيي 23 شباط

بالقطريين(4). وقد كانوا بالفعل كذلك لأنّهم تآمروا على وحدة سوريا ومصر وتآمروا فيما بعد على كلّ مشروع وحدوي سنحت فرصته...>>

ما صرّح به الاستاذ ميشيل عفلق، مؤسس حزب البعث، لا يختلف أبداً عمّا كتبه منيف الرزّاز، الذي تولّى الأمانة العامة للحزب من بعده لا بقليل ولا بكثير ولكن المؤامرة الطائفية استمرت تحت غطاء الحزب(5).

(1) لم يذكر لنا الاستاذ عفلق إسم ايّ واحد منهم!؟

(2) ولماذا لم يتكلم عن ضرب الشعب بقوة السلاح؟ فهل للشعب قيمة بمفهوم ميشيل عفلق؟!

(3) ولو كان ذلك على حساب الوطن وشعبه وعلى حساب الوحدة العربية؟ فتاريخ الحزب بمفهوم عفلق أهم من سلامة الوطن... هذا التصريح نُقِل في شهر آب/أغسطس عام 1981.

(4) هل يا تُرى سمع الاستاذ ميشيل عفلق بتسمية الشعب لهم بالباطنيين منذ عام 1963 بدلاً من القطريين؟

(5) أنظر *التجربة المرّة* لمنيف الرزّاز، نقلاً عن ميشيل سورات، *سوريا اليوم*، باللغة الفرنسية، ص. 93.

حركة 23 شباط ونهاية الضباط الدروز والإسماعيليين

أطلق البعثيون الجدد على أنفسهم لقب اليساريين، واعتبروا أنفسهم في سباق مع عبد الناصر في القوانين الاشتراكية كما بدا للعيان، فأمموا من الشركات المتبقية كل ما استطاعوا، ولم يُبقوا سوى الدكاكين والمحلات التجارية الصغيرة والمتوسطة بأيدي عامّة الشعب، وراحت المزاودة أيضاً على قوانين الإصلاح الزراعي خبط عشواء لتزداد الطين بلّة، وكان الهدف من ذلك نوع من الانتقام من السنّة، كما عشناها وكما صرّح عبد الكريم الجندي، وزير الإصلاح الزراعي حينذاك، بشكل مُغطّى لصحيفة اللوموند الفرنسية(1).

عاد الصراع على السلطة بشكل آخر، ولكن هذه المرة ليست مع الوحدويين والإخوان المسلمين واليمين البعثي على حدّ زعمهم، ولكن بين العلوية النصيرية والدروز. الحقد المتزامن على مدى القرون بين الطائفتين لم ينطفئ، النصيريون يكرهون الدروز لدرجة أنّهم لا يضعون في أصبعهم(كشتبان) أثناء قيام أحدهم بعملية الخياطة، كما كتب سليمان افندي الأضني في *كتاب الباكورة* السليمانية عام 1862... ولكنّ الدروز يحملون على النصيرية أكثر ممّا يحمل عليهم هؤلاء. وقبل الدخول في الصراع الذي حصل بين الطائفتين، لا بدّ وأن أضع القارئ في الصورة بين الطائفتين من خلال *الرسالة الدامغة للفاسق*، التي كتبها حمزة بن علي بن أحمد، مؤسس الديانة الدزية، وهذا نصّها:

<<الرسالة الدامغة للفاسق، الردّ على النصيري، لعنه المولى في كلّ كور ودور.

توكّلتُ على مولانا العلي سبحانه وتعالى

أمّا بعد، أيّدكم المولى بتأييده، أنه ورد إليّ كتاب ألّفه بعض النصيرية الكافرين بمولانا، جلّ ذكره، المشركين به الكاذبين عليه، الغاوي للمؤمنين والمؤمنات، الطالب الشهوات

(1) أنظر صحيفة *اللوموند*، 6 تشرين أوّل/أكتوبر 1966، ص.4.

البهيمية، والبرازة الطبيعية و دين النصيرية الدنية، فعليه وعليهم لعنة مولانا سبحانه، ولعنة الخنازير العابدين لإبليس وحزبه وسمّاه كتاب الحقائق وكشف المحجوب(1). فمَن قَبِلَ كتابه عبَد إبليس واعتقد التناسخ وحلل الفروج، واستحلّ الكذب والبهتان ونسبه إلى الموحّدين الحقيقية. وحاشا دين مولانا جلّ وعزّ من المنكرات، وحاشا الموحّدين من الفاحشات، وحاشا لعبيد مولانا سبحانه أن يُنسبَ إليهم شيءٌ من الشهوات البهيمية الدنية والأقاويل الشركية، فمولانا سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ويجازي كلّ نفسٍ بما كسبت وهم لا يُظلمون(2). فلمّا قرأته وجب علي الاحتياط عليكم معشر الإخوان والحفظ لأديانكم، فكتبتُ هذه الرسالة ردّاً على ما ألّفه

هذا الفاسق النصيري، لعنه المولى، كي لا يدخل في أديانكم شبهةً ولا يقع عليكم تهمةٌ. فالحذر الحذر معشر المؤمنات أن تنظر واحدةٌ منكنّ إلى رجل مؤمن أو مخالف إلاّ بالعين التي تنظر بها إلى ابنها أو أبيها، وتطلب كل واحدة منكنّ خلاص روحها بمعرفة مولانا، جلّ ذكره، وتعلم كل واحدة منكنّ أنّ مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه يراها حيث كانت وفي أيّة حالةٍ كانت، وأنتنّ تعلمن أنّ إحداكنّ تستحي من جارتها وتفزع من جارها إذا كانت في حالة مُنكرة، فكيف مَن لا تُخفى عنه خافية لا في سرّ ولا علانية.سبحانه وتعالى عمّا يقول(وردت يقولون) المشركون علواً كبيرا، فنعوذ بمولانا من سخطه وعذابه، ونتبرأ من كل من خالف توحيد مولانا، سبحانه وجلّ ذكره، ولم يُرْوَ من شرابه. فعليكنّ معاشر المؤمنات بمعرفة مولانا جلّ ذكره والإقرار بوحدانيته والاعتراف بصمدانيته ولا تعبدن غيره ولا تقررن بسواه في كل عصر وزمان ودهر وأوان، ولا تلفت واحدة منكنّ إلى ورائها ولا تتعلّق بمن مضى من الأدوار ولا بمن اندرس من الشرائع والأعصار، وليس يلزمكنّ غير طاعة مولانا، جلّ ذكره، وتوحيده والقبول من حدوده وحفظ فروجكن إلاّ لبعولكن(وردت لبعولتكنّ) وتعرف كل واحدة

(1) هذا الكتاب لابن شعبة الحرّاني، وقد ورد ذكره في مخطوطات نصيرية أخرى، وسردنا ذكره في كتابنا، *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*، ص, 188، ولكننا لم نستطع الاطلاع عليه حتى الآن.

(2) مقاطع من آيات كريمة، البقرة وآل عمران.

(3)

منكنّ بأنّ جميع من مضى ووقع عليه الإسم والصفة مثل السابق والتالي والحد والفتح والخيال والناطق والأساس والإمام والحجة والداعي(1) كلّهم عبيد لمولانا، جلّ ذكره، موجودون في عصرنا هذا مشخوصون. وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم موجودون معنا، فعليكنّ بمعرفة المعبود الموجود، مولانا سبحانه، والتبرّؤ من الأعداد الموجودين معنا حتى لا تحتاج واحدة منكنّ تلفت إلى ورائها لا إلى ولي ولا إلى ضدّ، ولا تعتقد بأنّ مولانا جل ذكره، بل الإمام عبده ومملوكه، لا يقدر على دفع مضرّة ولا جرّ منفعة، إلاّ بقوة مولانا، جل ذكره، ومولانا مُنزّه عن الأسماء والصفات والازدواجات، سبحانه وتعالى عن أقاويل المشركين وأباطيل الملحدين علواً كبيرا.

فأوّل ما قاله هذا الفاسق النصيري، لعنه المولى بأنّ جميع ما حرّموه من القتل والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللياطة، فهو مطلقٌ للعارف والعارفة بمولانا، جلّ ذكره، فقد كذّب بالتنزيل والتأويل(2) وحرّف وما جاز له أن يسرق من أموال الناس، ولا وسعة له في الدين أن يكذب إذا كان أصل دينه الكذب، وأصل الكفر والشرك والصدق(وردت السدق) من الإيمان كالرأس من الجسد والقتل، فما يستحسنه أحد إلاّ أن يكون كافرا بنعمة مولانا مشركاً به غيره.

وأمّا قوله، أنّه يجب على المؤمن، لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه، وأن يُظهر لأخيه المؤمن عياله، ولا يعترض عليهم فيما يجري بينهم، وإلاّ فما يتمّ إيمانه، فقد كذب، لعنه الله، وسرق الأوّل من مجالس الحكمة بقوله، لا يُمنع أخاه من ماله ولا من جاهه ويستّر بذلك عن كفره وكذبه. وإلاّ فمن لا يغار على عياله فليس بمؤمن، بل هو خّرّمي طالب الراحة والإباحة (3) راكب هواه وضلالته، إذ كان الجماع ليس هو من

(1) السابق هو الله، والتالي هو الحاكم، والحد هو حمزة بن علي بن أحمد، والفتح هو أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب، والخيال هو المقتني بهاء الدين، والناطق هو محمّد رسول الله، والأساس هو علي بن أبي طالب.والإمام؟، والحجة ؟ والداعي ؟.

(2) التنزيل هو تفسير أهل السنة والجماعة للقرآن الكريم، والتأويل هو تفسير أهل الشيعة.

(3) الخرّمي أي هو من أتباع بابك الخرّمي، الذي ثار بخرسان عام 209 للهجرة في عهد المأمون، وقضيَ عليه وعلى أتباعه في عهد المعتصم، عام 223 للهجرة، أنظر *تاريخ الطبري*، المجلّد الخامس، الجزء العاشر، صفحات 268-333، الطبعة الأولى، خيّاط، بيروت.

الدين، ولا ينتسب إلى التوحيد، إلاّ أنّ يكون جِماع الحقيقة، وهو المفاتحة بالحكمة، بعد أن يكون مطلقاً للكلام مؤيداً بالحكمة الحقيقية.

وأمّا قوله بأنّه يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فرجها وأن تبذل له فرجها مباحاً حيث يشاء، وأنّه لا يتمّ نكاح الباطن إلاّ بنكاح الظاهر، ونسبَه إلى توحيد مولانا، جلّ ذكره، فقد كذب على مولانا، عزّ اسمه، وأشرك به وألحد فيه وحرّف مقالة أوليائه الموحّدين. فعليه وعلى مَن يعتقده لعنة اليهود والنصارى والمجوس. فطلب هذا الفاسق التهمة في أبدانكن. ولو نظرتنّ معاشر الموحدات في الأديان المُضلّة لبانت لكم الحقائق

وامتنعتنَّ عن الشهوات والبوائق(1) وتفكرتنَّ في المجالس الباطنية التأويلية. وأمّا وسائط مولانا، جلّ ذكره، فما منهم أحد طلب من النساء مناكحة الظاهر، ولا ذَكر بأنّه لا يتم، لكن ما تسمعنه إلاّ بملامسة الظاهر. فعلمنا بأنه لم يكن لهذا الفاسق النصيري، لعنة المولى عليه، بغية غير الفساد في دين مولانا جلّ ذكره. ودين مولانا لا ينفسد أبداً. لكنّه طلب الشهوة البهيمية التي لا يُنتفع بها في الدين ولا الدنيا، بل تضر، وإنّما هي شهوةٌ رُكّبت من الطبائع الأربعة في سائر الحيوان، فمَن اختارها على دينه كان أشرّ من الحمار والبقر، كما قال: إن هم كالأنعام بل أضلّ سبيلا(2) فمن نهى نفسه عن الشهوات البهيمية كان أفضل من الملائكة المقرّبين. والدليل على إبطال قول هذا الفاسق، بأنّ المجامعة الظاهرة تزيد في الدين وأنّه لا يتمّ هذا إلاّ بهذا، فقد كذب، فإنه لو أنّ رجلاً مؤمناً موحّداً عارفاً عاش مائة سنة ولم يتزوّج حلاله ولم يعرف حراماً لم ينقص ذلك من منزلته في الدين شيئاً، وكذلك لو أنّ امرأةً مؤمنةً موحدةً عارفةً بدين مولانا جلّ ذكره، وتعبده حقّ عبادة وعاشت مائة سنة ولم تتزوج وماتت بكراً، لم يُنقص ذلك من منزلتها في الدين شيئاً. ولو كان رجل كافرٌ وامرأة كافرة وهما جميعاً يتناكحان ليلاً ونهاراً ويتناسلانن لم ينفعهما ذلك ولا يُنجيهما من العذاب، فعلمنا بأنّ جميع ما قاله هذا الفاسق النصيري محال وزور.

(1) البوائق جمع بائقة وهي السفالة.

(2) قرآن كريم، سورة الفرقان، الآية 44، نصها: إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا,

وأمّا قوله: الويل كلّ الويل على مؤمنة تمنع أخاها فرجها، لأنّ الفرج مثل أئمّة الكفر، والإحليل إذا دخل فرج الإمرأة دليل على الباطن، وممثوله على مكاسرة أهل الظاهر(1) وأئمّة الكفر والحرام على مَن تكلّم غير المستحق فهو الزنا، ومن عرف الباطن فقد رُفِع عنه الظاهر(2)، فقد كذب على دين مولانا وحرّف وأغوى المؤمنين وأفسد المؤمنات المحصنات،وليس كل مَن عرف باطن شيء وجب عليه ترك ظاهره.

وفي الأشياء ما لا يجب ترك ظاهره ولو علم تأويله على سبعين وجه(وردت وجها) منها الطهارة، وباطنها البراءة من الأبالسة(3)، وطهارة قلوبكم من محبّتهم والاتصال بالإمام، ولا يجوز لأحد ولا يستحسنه عاقل إذا عرف باطن الطهارة أن يدخل الخلاء ويبول ويتغوّط ويخرج من الخلاء ولا يغسل قبله ولا دبره ولا يغسل وجهه ويتمضمض ويتنشّق ويقول بأنّه قد عرف. فإذا ترك ظاهرها يتوسّخ جسمه وتنتن رائحته ويقع عليه اسم النجاسة، بل يجب على مَن عرف الباطن أن يزيد في طهره ونظافة بدنه إذا كان هو رسماً مليحاً يُستحسن ظاهره وباطنه. وكذلك أيّ رجلٍ عرف باطن ثوبه ولبسه، وهو التقية والسترة وإقامة الشريعة مع أهلها واللطف بهم، ثم أن ينزع ثوبه وسرواله ويرميها ويمشي في الأسواق عرياناً، قيل أنّه مجنون، وقد خرج من المروّة وترك الفتوّة برمي ثيابه وهتك عورته، وكذلك من عرف باطن الزنا، لا يجوز له ارتكاب ظاهره، فيقع عليه اسم القبيح والفساد في دينه والعداوة بين الإخوان ومسبّته.

فالحذر الحذر معاشر المؤمنات، أن تُفسدن أديانكنّ بما ليس لكنّ فيه فائدة لا في الدنيا ولا في الآخرة. وكلّ رجل ينكح امرأةً مؤمنةً بغير الشروط التي تجب عليه في الحقيقة والشريعة الروحانية، كان منافقاً على مولانا جلّ ذكره، إذ كان فيه هتك الدين وهدم التوحيد. فنعوذ بمولانا، جلّ ذكره، من ذلك، ونبرأ إليه من كلّ من يعتقده. ومن كانت

لها بعل فلا شروط لها إلاّ لبعلها، أو تبين منه وترجع في الرتبة إلى غيره.

(1) المعني بأهل الظاهر هم أهل السنة والجماعة.

(2) هذا من بعض معتقدات النصيرية، راجع كتابنا، *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*، الجزء الأوّل.

(3) البراءة من الأبالسة تعني البراءة من جميع الأديان التي سبقت ديانة الحاكم بأمر الله، أنظر الصفحات السابقة.

وأنا أذكر لكم الشروط التي تجب عليكم في الكتاب الموسوم بالشريعة الروحانية في علم اللطيف والبسيط والكثيف(1)، ونبين لكم ولجميع المؤمنين والموحّدين والموحدات، ما يجب عليكم في الشريعة من أوّلها إلى آخرها، والغرض فيها إذا شاء مولانا، جلّ ذكره

وبه أستعين في جميع الأمور، حتى تكون جميع شروطكم وكلامكم ومخاطبة بعضكم لبعض والتهنئة والتعزية وما تكتبون في رقاعكم إلى الحضرة المقدّسة، بخلاف ما يكون للعامة الحشوية الظاهرية(2) والمشركين المتعلّقين بكتب التأويلية(3)، العابدين للعدم بغير معرفة ولا رويّة. ثمّ أن لا فرق بينهم وبين من عبد الصنم والشمس والقمر، وتكونوا من العالين الموحدين لمولانا، جلّ ذكره، الموجود في كلّ عصر وزمان، سبحانه وتعالى عن إدراك الوصف علواً كبيرا.

وأمّا قوله، الفاسق النصيري، لعنه المولى، أنّه قد كشف لكم المحجوب أعني التوحيد، فقد كذب في قوله، لأنّه كشف عن الكفر وأظهره، وبيّن الشرك واعتقده، واختار أشرّ الطرقات وأنتنها، ونطق بما نُعيذ المولى منه سراً وجهراً، بقوله في كتابه بأنّ مولانا هو الروح الزكية الذي قيل في القرآن"(و)يسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي(4)وإنّ مولانا، جلّ وعزّعن ذلك، مصوّر الإنسان في بطن أمه عند الجماع. وهذا مالا يستحسنه يهودي في حبر من أحباره، ولا نصراني في أسقفه. وأن أجِلُّ عبداً من عبيد مولانا، جل ذكره، أن يكون مصوّر الخلق في بطون الأمهات، وأن يحصل عند المجامعة ويشاهد التصوير في بطون الأمهات. والتصوير من الأفلاك وطبائعها الأربعة، والأفلاك هنّ جمادات لا عقل لها. ومثل ما يتصوّر الإنسان في بطن أمّه ويصير له حسّ ونمو وتمييز الأكل والشرب ومعرفة الأم والأب، وهم من آبائه العقل الطبيعي. كذلك يتصور الكلب والقرد والخنزير وجميع الحيوان والوحش.

(1) لم نستطع الاتطلاع على هذا الكتاب، ولكن هناك رسالة النساء الكبيرة، إنما لا يذكر الكاتب فيها النصيري.

(2) الحشوية الظاهرية هي جزء من أهل السنة والجماعة، ونشأت هذه الطريقة بين بعض اتباع الإمام مالك، ورفض مبدأها أكثر أهل السنة وقد انقرضت كالمجسّمية والشكلية.

(3) يعني هنا الشيعة الإمامية.

(4) سورة الإسراء الآية 85.

ومن الحيوان من يكسب العقل أكثر من الإنسان، مثل الحمام الذي تدرجه من مرحلة إلى مرحلة مرّة واحدة. ثمّ أنّك تسيبه من مسيرة عشرين يوما، فيرجع إلى وكره في يوم

واحد. ومن بني آدم مَن تعلّمه كلمة واحدة تُؤول إلى صلاحه ونجاة روحه ألف مرّة فلا يفهم. ومنهم مّن تتعبُ معه فلا يتعلّم.

ومن الحيوان من هو أكثر نموا وأكثر حسّاً من بني آدم مثل الفيل والجمل والفرس والبغل، فعلِمنا أنّ الصور كلها من نطفة الذكر وحرارة الرحم وتأثيرات الأفلاك. والقوّة من الطبائع لتدبير الجنين. وليس التصوير في ساعة النكاح، كما قال هذا الفاسق النصيري، ونسبه إلى مولانا جلّ ذكره. والنطفة تقيم في الرحم يوماً واحداً ثم تصير دماً. ولم تزل تتغيّر من حال إلى حال، إلى أن تصير خلقاً سوياً من الطبائع. وكذلك البيضة تحضنها الدجاجة فيتكوّن من البيضة مثل التي تحضنها سَوى.

وهناك أعظم من هذا، مثل الخنفس والعقرب والدود والنمل وما شاكل ذلك من غير نطفة ذكر ولا حرارة رحم، بل تتكوّن من الطبائع والجمادات. فعلمنا أنّ هذا الخلق والتصوير لا ينتسب إلى مولانا، جلّ ذكره، ولا إلى عبيده الدينية. بل ينتسب إلى عبيده التصويرات الروحانية وخلَقهم الحقيقية، كما قال: " صنعة الله ومن أحسن من الله صنعة"(1) والله هاهنا هو الداعي، وصنعته أهل الظاهر(2) وتغييرهم إلى التأويل والباطن. ومن صنع شيئاً فقد خلقه، كما قال المسيح: " من لم يلد من بطن أمّه مرتين لم يبلغ ملكوت السموات(3) ومعرفة الأرضين أعني الولادة الدينية ومعرفة النطقاء والأسس(4) وكذلك قال الناطق: أنا وعليّ أبوا المؤمنين، أراد ظاهراً وباطناً.

وهذا الخلق والتصوير لعبيد مولانا الدعاة إلى التوحيد، ومولانا جلّ وعزّ، لا يدخل في الأعداد ولا يُعدّ في الآحاد، إذ كانت الأعداد والآحاد والأزواج والابتداء والانتهاء كلّها منه بدت وإليه تعود، سبحانه وتعالى عمّا يُشركون.

(1) سورة البقرة، الآية 138.الآية هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

(2) أهل الظاهر هم السنة والشيعة.

(3) مستوحات من إنجيل القديس يوحنا، 3-5.

(4) أشرنا إلى النطقاء والأسس في الصفحات السابقة.

وأمّا قوله، بأنّ أرواح النواصب والأضداد ترجع في الكلاب والقرود والخنازير إلى أن ترجع في الحديد وتُحمى وتصرب بالمطرقة، وبعضهم في الطير والبوم. وبعضهم ترجع إلى المرأة التي تثكل ولدها(1)، فقد كذب على مولانا جلّ ذكره، وأتى بالبهتان العظيم. فلا يدخل في المعقول ولا يجب في عدل مولانا سبحانه، بأن يعصيه رجل عاقل لبيب، فيعاقبه في صورة كلب أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصورة البشرية، ولا يعرفون ما جنوه ويصير حديداً يُحمى ويُضرب بالمطرقة. فأين تكون الحكمة في ذلك والعدل فيهم. وإنما تكون الحكمة في عذاب رجل يفهم ويعرف العذاب، فيكون مأدبة له وسبباً لتوبته. وأمّا العذاب الواقع بالإنسان{ف}نقلته من درجة عالية إلى درجة دونها في الدين، وقلّة معيشته وعمى قلبه في دينه ودنياه، وكذلك نقلته من قميص إلى قميص على هذا الترتيب، وكذلك الجزاء في الثواب ما دام في قميصه فهو زيادة درجته في العلوم وارتفاعه من درجة إلى درجة في اللهوات(2)

إلى أن يبلغ حدّ المكاسرة، ويزيد في ماله وينبسط في الدين من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ حدّ الإمامة، فهذه أرواح الباطنية وثوابها(3) وما تقدّم أرواح الأضداد وعقابها(4) فمن اعتقد هذا كان عالماً بتوحيد مولانا، جلّ ذكره. والعمل الصالح مع الإخوان يُنتَفَعُ به ويُثاب عليه عاجلاً وآجلاً، ويُخشى من عقاب مولانا جلّ ذكره، عاجلاً وآجلاً، ويعمل الحسنات ويتجنّب السيئات. ومن اعتقد التناسخ مثل النصيرية

(1)" *إنّ النصيرية كافّة، تعتقد بأنّ شرفاء المسلمين الراسخين في العلم، إذا ماتوا، تحلّ أرواحهم في هياكل الحمير، وعلماء النصارى في أجسام الخنازير، وعلماء اليهود في أجسام القرود. أمّا عامة الناس من المسلمين، فتحلّ أرواحهم في الجمال والفيلة والكلاب السوداء، وعامة الناس من النصارى، فتحلّ أرواحهم في أجساد الخيل، وعامة الناس من اليهود، تحلّ أرواحهم في أجساد البغال*". أنظر *كتاب الباكورة* لسليمان الأضني، وهذا المُعتقد مأخوذ من كتاب منّو سمرتي ص 406-421، أحد المذاهب البوذية، ترجمه إلى العربية إحسان حقّي.

(2) الدرجات هذه من فكرة المفضّل بن عمر الجعفي في *كتابه الصراط*، والذي حققناه ضمن كتابنا، *مبدأ الثنوية في المذهب العلوي النصيري*.

(3) Cf. notre thèse de doctorat, *Isma'iliens, Nusayrites et Druzes en Syrie*, pp51-63 1983.

(4) الأضداد أي أضداد الله، وهم قابيل في عهد آدم، والنمرود في عهد إبراهيم، وفرعون في عهد موسى، ويهوذا الاسخريوطي في عهد عيسى، وأبو بكر وعمر وعثمان في عهد محمّد.

المعنوية في علي بن أبي طالب وعبده(1)خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. وأمّا قوله أنّ المشركين النواصب الذين يُشركون بين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فقد كذب وأُبطِل في قوله، وإن كان هذا هو الشرك، فقد رضي علي بذلك وبايع أبا بكر وعمر وعثمان. وهم يروون عن عليّ بأنّه ضرب على خفّه فمات عشرون ألف رجل من أهل النهروان(2) ومن كانت هذه صفته لا يدخل تحت العجز. فعلمنا أنّه رضي بهم، ومحمّد نصبّهم معه. فقد اتفقت الشيوخ المتقدّمون بأنّ الأساس زوج الناطق(3) وشكله وشريكه في علم الباطن. وقد قال الناطق بأنّ الشرك هو خفي لا يبين كما لا يبين دبيب النملة السوداء على المسح الأسود في الليلة الظلماء. فصحّ عندنا بأنّ الشرك بخلاف ما قاله هذا الفاسق النصيري.

ثمّ أنّه إذا ذكر علياً يقول: علينا سلامه ورحمته(4) فيطلب الرحمة من المفقود المعدوم ويجحد الموجود الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته، ولا يكون في الكفر أعظم من هذا. فصحَّ عند الموحّد العارف بأنّ الشرك الذي لا يُغفر أبداً بأن يُشرَك بين علي بن أبي طالب وبين مولانا جلّ ذكره، ويقول عليّ مولانا الموجود ومولانا هو علي، لا فرق بينهما، والكفر ما اعتقده هذا الفاسق من العبادة في علي بن أبي طالب، والجحود لمولانا جلّ ذكره. والناطق والوصي والإمام والحِجّة كلّهم عبيد لمولانا في كل عصر وزمان. ومولانا مؤيّدهم، سبحانه وحده لا شريك له.

وأمّا قوله بأنّ محمّد بن عبدالله هو الحجاب الأعظم، الذي ظهر مولانا الحاكم منه،

(1) يقول محمّد الجسري، أحد علماء النصيرية في القرن الرابع الهجري، في كتابه، *رسالة التوحيد*، المخطوط رقم 1450، الورقتان 4-5، من المكتبة الوطنية في باريس، لأتباع ديانته: *قال محمد بن سنان: على أي معنى توحّدون، على أنّه محتجب أو ظاهر؟ قلنا: على أنه ظاهر وهو المعنى المُحتَجب. فقال: مَن قال أنّ علياً الظاهر هو الله فقد كفر(...) ومن زعم أنه يعرف الله بالباطن فقد لحق.*

(2) أهل النهروان ويعني بهم الخوارج.

(3) لم نفهم المعنى هنا فالأساس هو علي لدى الدروز ومحمّد هو الناطق. ربّما يعني زوّج بالشدّة
(4) هذا ما تقوله النصيرية إذا ما ذكروا أي كان من الأئمة الاثني عشر.

ومن لم يصدّق بهذا الكتاب فهو من أصحاب هامان والشيطان وابليس (1). وعميت بصائرهم التي في صدورهم. فقد كذب في جميع ما قاله المنجوس النصيري، وما عرف الدين ولا الحجاب. ومحمّد كان حجاب علي بن أبي طالب. وأمّا حجاب مولانا، جلّ ذكره، فلا. وهذا قول من عقله سخيف ودينه ضعيف. والحجاب هو سترة الشيء، ليس إظهاره. والذي أظهر المولى جلّ اسمه، نفسه منه كيف يشاء بلا اعتراض عليه، يُقال له حجّة القائم وهو المهدي، وبه دعا الخلقَ بنفسه إلى نفسه، وباشر العبيد بالصورة المرئية ومخاطبة البشرية. وكنه مولانا لا تدركه الأوهام والخواطر. إذ كان العالمون لا يُدركون وصفه، سبحانه وتعالى عمّا يقول المشركون علواً كبيرا.

وأمّا إبليس وهامان والشيطان، فقد أخطأ حزره وقياسه فيهم، ونطق برأيه وطلب الشهوة البهيمية، لأنّه أراد بإبليس وهامان والشيطان أبا بكر التيمي وعمر العدوي وعثمان الأموي. وذكر أنّ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه(2) وإنما ذكر أربعة أشخاص في نسق واحد ليس ثلاثة(3) ثمّ استثنى بالخامس ونسب هؤلاء الأربعه إليه بقوله: رجس من عمل الشيطان. فصار (وردت فصاروا) هؤلاء الأربعة من قِبَل الشيطان. فصار هو أجل منهم وأعلى، لآنّ العمل هو الصنعة والصانع هو المصوّر والمصوّر هو الخالق، والخلق خلقان كما تقدّم ذكره. فخلق البشرية من نطفة الذكر وحرارة الرحِم وطبائع الأفلاك، وخلق الحقيقة الدينية من كلام المفيد واستماع المفيد وقبوله بعقله، فيصير مستجيباً بالغاً(4) فينصبه حدا من حدوده، فصار خلقاً سوياً. فيقال هذا الرجل من صنعة فلان، يعني من خلقه. فصار

(1) أي من أهل السنة والجماعة. فهامان بالنسبة للنصيرية الصدّيق، والشيطان عثمان ذو النورين، وإبليس الأبالسة هو الفاروق عمر.

(2) قرآن كريم، سورة المائدة، من الآية 90. يفسّر النصيريون القرآن الكريم بشكل غريب، فنرى في أماكن أخرى أنّ الله عزّ وجل تقمّص في عصاة موسى تارة، وفي الكلب في سورة الكهف تارة أخرى...

(3) أي أنّ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام تمثّل أربعة اشخاص، ولكنّه لم يسوق سوى ثلاثة أسماء، فإن كان ابو بكر مثلاً يمثّل الخمر، وعمر الميسر وعثمان الأنصاب، فمن يتمثّل الأزلام إذا؟! وحيث أنّ الرابع هو علي وهو بمقام الله، فقد توقّف ابن سنان، وهنا يغالطه حمزة بن علي بن أحمد.

(4) المفيد عند الدروز هو بمثابة الشيخ عند الأديان الأخرى، ويعلوه في الرتبة العقل، وفوقه شيخ العقل.

(وردت فصاروا) أولئك الأشخاص شرعاً سويا، والواحد رئيسهم وشيطانهم، الذي شاط على حقيقة التوحيد وعاند ومرق من الحق وباعده، وجحد مولانا وضادده. فعليه وعليهم سخط مولانا وأبعدهم بالأجساد. وأمّا القلوب فمتباعدون عنه. فصحّ عنكم معاشر المؤمنين والمؤمنات الطاهرات، بأنّ هذا الفاسق النصيري، ما عرف مولانا، جلّ ذكره، ولا عرف إبليس ولا الشيطان. فعبد إبليس ووحده بجهله وجحد مولانا ونعمته. فنعوذ بمولانا جلّ ذكره، من الشك فيه والشرك معه والكفر به. ومولانا وحده لا شريك له في الجسمانيين ولا في الجرمانيين ولا في الروحانيين ولا في النفسانيين ولا في النورانيين(1) سبحانه وتعالى علوّا كبيرا وتنزّه عن الصفات.

فالحذر الحذر معاشر المؤمنين والمؤمنات، من ارتكاب الأهواء والفواحش والشهوات البهيمية واتّباع المُنكرات. وعليكم بمعرفة مولانا جلّ ذكره، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، ومعرفة وليّه وحدوده التوحيدية والقبول منهم فيما يرضاه مولانا جلّ ذكره، واعبدوه عبادة كليّة دون غيره من جميع من تقدّم من النطقاء والأوصياء والأئمة والحجج والدعاة. فكلّهم عبيده. فاسمعوا وأطيعوا ما أمركم به عبد مولانا، جلّ ذكره، وصفيه هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا، سبحانه، فقد" اقتربت الساعة وانشقّ القمر" ودعوتكم إلى شيءٍ نكر"(2) وهو توحيد مولانا جلّ ذكره، فقد ظهر المستور، وبيّنت لكم ما في الصدور، ونشرت لكم ما في القبور، ومولانا بكم لخبير. والسلام على المؤمنين والمؤمنات والموحّدين لمولانا جلّ ذكره، والموحدات. والحمد والشكر لمولانا وحده وهو حسبنا ونعم النصير المعين.

تمّت الرسالة (3)

(1) هذه من درجات التعليم في المذاهب الباطنية والتي أوّل من وضعها الإسماعيليون ثمّ تلاقفها النصيريون والدروز كلّ على طريقته. أنظر تفاصيلها في أطروحتنا السابقة الذكر، صفحات 58-62.

(2) قرآن كريم، سورة القمر، الآية 1و 5.

(3) نشر هذه الرسالة شتروتمان في *دورية الإسلام رقم 25*، عام 1939، الصفحات 270-82 وحققها باللغة الألمانية، وكانت من املاك سيلفستر دو ساسي، وتبرّع بها للمكتبة الوطنية في باريس منذ عام 1832. ثمّ نُشِرت في *سلسلة الحقيقة الصعبة*، ج 7، صفحات 163-74.

لقد أردنا من إعادة طباعة هذه الرسالة أن نطرح بعض التساؤلات بأبسط ما يمكن.

1- ما هو الهدف الذي يجمع بين أبناء الطوائف الباطنية في المواقف الحرجة، المصلحة الوطنية أم الوصول إلى السلطة ؟

2- هل أتباع هذه الطوائف تتناسى أنّهم كانوا وما زالوا أعداء لبعضهم البعض على مدى أكثر من ثمانية قرون أو أكثر؟ لنفترض أنّهم لم يقرأوا هذه المخطوطات ولم يطلعوا عليها، فهل هنالك كلمات وعبارات وعادات وتقاليد تناقلوها في مجتمعاتهم تؤكّد حقدهم على بعضهم البعض، ويتّفقون بحقدهم على أتباع الديانات الأخرى بشكل عام وعلى المسلمين بشكل خاص؟ فالإسماعيليون يقولون مثلاً: *النصيرية الذين هم أعداء إلى المولى راشد الدين سنان*(1) والنصيري لا يحمل خنجراً خلال القدّاس (2)، لأنّه يرمز إلى الإسماعيليين، لاستخدامهم الخنجر في القتل غدرا منذ الحروب الصليبية(3) والحروب التي دارت ما بين النصيريين والاسماعيليين منذ القرن الثاني عشر حتى القرن العشرين، هل تناساها الضباط الذين تحكّموا بمصير البلاد منذ عهد الثامن من آذار؟

الضبّاط الدروز، وعلى رأسهم سليم حاطوم، كان يدعمه من أعضاء اللجنة العسكرية طلال أبو عسلي وباقي الضباط الدروز، بدأوا يشعرون بأنّ مكانتهم تسير إلى الزوال. أمّا الإسماعيليون فعددهم قليل، وقد لا يشكّلون خطراً على السيطرة العلوية للسلطة، كان من بينهم عبد الكريم الجندي، وزير الزراعة والإصلاح الزراعي، والمير أحمد الماز، الذي

كان ذو رتبة عالية في الجيش. حتى أنّه أصبح قائد الجيش في الجولان خلال حرب الأيام الستة عام 1967. وهذان لن يصعب التخلّص منهما حين يأتي الأوان.

(1) Journal Asiatique, IX, sér. 7, 1872, p. 480.

(2) النصيرية لها أربعة قدّاسات للصلاة وهي، قدّاس الإشارة وقداس البخور وقدّاس الطيب وقدّاس الأذان. أنظر *كتاب الباكورة السليمانية*.

(3) أنظر منير مشابك موسى، المرجع السابق، ص. 410.

خلال النصف الثاني من شهر آب/أغسطسس عام 1966، بدأ الصدام يطفو على السطح، حيث سرّح صلاح جديد عدداً من الضباط الدروز من الجيش، بتهمة مساعدتهم صلاح الدين البيطار وشبلي العيسمي، عضوان قياديان في القيادة القطرية لحزب البعث، على الفرار من السجن. فردّ سليم حاطوم على هذا التسريح بقوّة، وذلك بتأهّب القطعة العسكرية الموالية له في قطنا، جنوب دمشق، ورفض حلّ الأزمة مع صلاح جديد وطلب حلّها مع وزير الدفاع حينذاك، حافظ الأسد. والتقى الاثنان في حرستا، وتمّ الاتفاق بإعادة الضباط الدروز المسرّحين، وأن يتمّ الاتفاق على هذه الأمور في الجيش باجتماعات القيادة القطرية وأن توافق عليه، وهذا ما حصل بتاريخ 4 أيلول/ سبتمبر من ذات العام. وأبدى صلاح جديد موافقته لتحاشي أزمة صراع طائفي على السلطة(1) ولكن يبدو أنّ الأزمة لم تنتهي، حيث أنّ الرياض وعمّان كانتا تحضّران لانقلاب في داخل سوريا، بمساعدة الاستخبارات البريطانية. وحيث أنّ طلال أبو عسلي كان في عمّان حينذاك، التجأ فجأة إلى القاهرة ليفشي أسرار محاولة الانقلاب هذه للسلطات المصرية، وأدى ذلك بالنتيجة للتقارب ما بين السلطة في سوريا وفي مصر التي كانت تقف في وجه الحلف الإسلامي ما بين السعودية والأردن وإيران، برعاية الولايات المتحدة وبريطانيا، فبدأ اقتراب وقوع عبد الناصر من الفخ الذي نُصبه له الإسرائيليون منذ انتصاره في حرب السويس سياسياً(2).

وللاحتفال بمناسبة المصالحة ما بين سليم حاطوم وصلاح جديد، في السابع من أيلول/ سبتمبر، دعى سليم حاطوم أعضاء القيادة القطرية لحفلة مَنسف، في السويداء،

واعتذر حافظ الأسد عن الحضور، بينما قبِل الدعوة رئيس الدولة، نور الدين الأتاسي، وحاكم سوريا بالخفاء حتى ذلك اليوم، ونعني صلاح جديد. وهناك احتجزهم سليم حاطوم، وادّعى بأنّ السبب هو عدم التزامهم بالتعهدات التي تمّ الاتفاق عليها بتاريخ الرابع من

(1) Cf. Hamid AL SHAWA, *Le Ba'th et l'armée en Irak et en Syrie*, in *Maghreb-Machric*, n° 71/1976, p. 71 et E. SAAB, *op-cit*, pp. 240-41.

(2) Cf. E. SAAB, *op-cit*., p.143.

أيلول/سبتمبر.

قدّم سليم حاطوم عدّة طلبات مقابل الإفراج عنهم، لرئيس الوزراء، يوسف زعين، ولوزير الدفاع، حافظ الأسد. تلك المطالب هي:

1-إعادة جميع الذين تمّ تسريحهم بعد حركة 23 شباط/فبراير 1966، إلى مراكزهم السابقة.

2- إطلاق سراح جميع الموقوفين نتيجة العصيان الذي حصل بقيادته ضدّ أعضاء القيادة القطرية.

3 – توزيع القوى العسكرية المؤتمرة بقيادة صلاح جديد على فرق الجيش المختلفة.

4- قبول الاتفاق الذي حصل بين الجناح العسكري بقيادة سليم حاطوم والجناح الحزبي أتباع حمّود الشوفي (من الدروز).

5 – تسمية خمسة أعضاء من جناح حمّود الشوفي في القيادة القطرية.

رفض وزير الدفاع، حافظ الأسد، كافّة المطالب، وأرسل لواءً من الجيش باتجاه السويداء، كما حلّق الطيران العسكري فوق المدينة(1) وذاك باسم التضامن بين العلويين(2).

لأخذ فكرة عن تلك المهازل المرّة التي عاشتها سوريا خلال تلك الأحداث، يكفي قراءة باتريك سيل في كتابه، *الأسد*، صفحات 181-88. مصير الملايين من المواطنين

العاديين تقررها نزوات شبه ضباط، لم يدخلوا يوماً في معركة مع الدويلة الصهيونية، وكانت همومهم السياسية الانقلابات من أجل المصالح الطائفية. نتج عن هذه المحاولة الانقلابية، كما يقول باتريك سيل، تسريح أكبر عدد من الضباط دفعة واحدة، من قِبل حافظ الأسد، وزير الدفاع،(400 ضابط)(2). وحاطوم المتهور وأشباهه من أتباع حمّود الشوفي لم يكونوا أقل نذالة باللعب في مصير البلاد. ناهيكم عن الكلمات البذيئة والقذرة التي كان يتبادلها ضباط البعث، من عبد الكريم الجندي وسليم حاطوم

(1) Cf. N. VAN DAM, *The struggle for power in Syria*, p. 74 et E. SAAB, *op-cit*., 240-43.

(2) أنظر باتريك سيل، *الأسد*، ص. 187.

ومصطفى طلاس وأمثالهم.

التجأ سليم حاطوم وطلال أبو عسلي إلى الأردن. ثمّ ذهب سليم حاطوم إلى بيروت لنشر فضائح الطائفية العلوية للصحافة هناك، بينما اتجه طلال أبو عسلي إلى القاهرة ليفشي أسرار مؤامرة على سوريا بأسلوب إنكليزي لم تفقه منه المخابرات المصرية لا من القريب ولا من البعيد. وحكمت المحكمة العسكرية العرفية السورية، برئاسة مصطفى طلاس(1) غيابياً على الاثنين بالإعدام وكذلك على فهد الشاعر، ولكنّ هذا الحُكم لم ينفّذ فيه. فما هو موقف المواطن العادي، في الشارع السوري، خلال هذه الأحداث الطائفية ؟

بينما كانت إذاعة دمشق والتلفزيون العربي السوري يلهب الناس بشعارات فارغة، كما كنّا نعيشها في وسط المجتمع السوري، كنّا نستفهم بأنها ليست أكثر من أكاذيب للتمويه. وكان النظام يحاول أن يخفي المصائب التي حلّت بالبلاد تحت غطاء مقاومته للأمبريالية العالمية وللرجعية العربية، ويهتف باسم العمّال والفلاحين والمثقفين الثوريين... بينما تراجعت الزراعة في البلاد، وتدنى مستوى دخل العمّال إلى ما يقارب 25% عن عهد

الجمهورية العربية المتحدة وعهد الانفصال، وأصبحت ساعات العمل ثمانية بدلاً من ستة، وكان إنتاج المعامل بشكل عام خاسراً على كافّة المستويات(2)...

بعد هذه الأحداث، بين الدروز والعلويين النصيريين، في شهر أيلول/ سبتمبر، كادت أحداث أخرى على مستوى طائفي أيضاً تحصل بين الإسماعيليين من جانب، والعلويين النصيرين من جانب آخر بسبب سيطرتهم على 60% من الجيش(3).

ولكنّ عام 1967 ترك أثراً في تاريخ العرب لا يُمحى، ألا وهو حرب حزيران أو حرب الأيام الستة. وسوف نتوقّف على أحداث هذه النكسة أو الهزيمة مطوّلاً. فآثارها لا تزال تواكبنا كلّ دقيقة وعلى مدى أجيال.

(1) قلائلٌ كانوا أولئك الذين يعرفون أنّ طلاس كان عضواً في اللجنة العسكرية منذ عام 1965، أنظر فان دام، المرجع السابق، ص. 59.

(2) *أنظر صحيفة اللومند الفرنسية*، 18 تشرين أوّل/أكتوبر 1966، ص.4.

(3) المصدر السابق، 17 تشرين أوّل/ أكتوبر، 1966،ص.3

حرب الأيام الستة

(5-11 حزيران/يونيو 1967)

أوّل سؤال نطرحه هو: إلى أيّ مدى كانت الجماهير في سوريا مستعدة لتقبّل هذه الحرب والتي كان وراء إشعالها أولاً، السلطة الحاكمة في دمشق ؟

الصحفي اللبناني، إدوار صعب، كتب قبل أكثر من سبعة أشهر، مقالا في صحيفة اللوموند الفرنسية، بتاريخ 31 تشرين الثاني/أكتوبر 1966 ما يلي:" نتساءل هل على مستوى المعارضة في الداخل، مَن كان يتمنّى حتى التدخّل الإسرائيلي لإسقاط هذا النظام"

وكمواطن سوري في مقتبل الشباب، ومع شديد الأسف، ما نقله إدوار صعب، كنّا نسمعه على أفواه الناس، وقد تكررت هذه الأمنية خلال الحرب الأهلية اللبنانية، نتيجة للدور الخياني الذي قام به الجيش المؤتمر بسلطة حافظ الأسد.

السؤال الثاني: ما هي غاية السلطة في سوريا من إشعال تلك الحرب؟

في شهر أيلول/سبتمبر عام 1965، وخلال مؤتمر القمة العربية في الدار البيضاء، فإنّ مجلس الدفاع المشترك، المنبثق عن الجامعة العربية، والذي كان يترأسه الفريق المصري، علي علي عامر، هو وجميع معاونيه، ما عدا الضباط السوريين، أوصوا بتجنّب أيّة حرب ضدّ إسرائيل حتّى ولو أنّها حوّلت مجرى نهر الأردنّ بكامله(1).

خلال هذا المؤتمر، انتخى محمّد أمين الحافظ بكلمة على مستواه العقلي بقوله: أعطوني ست ساعات وسأدخل تل أبيب، فأجابه أحمد بن بلا: نعطيك إيّاهم مئة مرّة كما نقل أحمد الشقيري في كتابه *"من القمّة إلى الهزيمة"*. وهنا تدخّل الرئيس جمال عبد الناصر نحو محمّد أمين الحافظ قائلاً: أنتم (في سوريا) ستجرون مصر إلى حرب ستكون خاسرة فيها(2).

شهادة أخرى من وزير الإعلام السابق، وسفير سوريا في باريس، كتب في كتابه، *كسرة*

(1) Cf. E. SAAB, *La Syrie ou la révolution dans la rancœur*, p. 230.

(2) أنظر مذكّرات الرئيس اللبناني، شارل حلو، في *مجلّة الأسبوع العربي*، 7 شباط/فبراير 1983.

خبز، صفحتين 15-16." *لم أخفِ أبداً أنّ النظام في سوريا يعدّ لهزيمة وليس لاسترداد فلسطين، لم تكن هناك أيّة بادرة للنصر. ولا أعني أنّه كان يعدّ لهزيمة نفسه، وإنّما لهزيمة العرب الآخرين، كي يبقى الثوري الوحيد، سيد المناخ الثوري العربي*". ويتابع، " *اختارني (إبراهيم) ماخوس، وزير الخارجية السوري لهذه المهمّة، وهو لم يُعدم الأشخاص ولا الوسيلة للاتصال بإسرائيل*".(1).

قبل اندلاع تلك الحرب، أو المؤامرة، بعدة أشهر، شهدت المدن السورية لافتات في كل مكان، كُتب عليها: الجيش لحماية الثورة، والشعب لحماية الوطن. وحين اندلاع المعارك تمّ تسليح الحزبيين ببنادق فرنسية 1936 وبنادق بولونية. هذه الأسلحة التي أراد المتسلّطون على سوريا أن يقمعوا بها أي تحرّك في الداخل.

قبل أسبوعين من اندلاع المعارك في 5 حزيران/يونيو 1967ن أوعز محافظ القنيطرة حينذاك، عبد الحليم خدّام، للعائلات العلوية النصيرية بمغادرة المنطقة(2).

بعد إثنين وعشرين ساعة من تحطيم الطيران المصري في 5 حزيران/يونيو دخل الجيش السوري المعركة بلوائي إحتياط (3) اللواء 10 واللواء50 كانا في ثكناتهما وأُمرا بالتحرّك بعد 48 ساعة من اندلاع الحرب ولم يصلا إلى الجبهة(4). أمّا اللواء المدرّع الوحيد في الجيش السوري آنذاك أي اللواء 70، فقد تلقّى الأوامر بالتوجّه نحو الجولان من قِبَل اللواء عواد باغ، فقد رفض تنفيذها وظلّ محيطاً بدمشق، واحتمى قائده، عزّت جديد، بابن عمّه صلاح جديد، الذي كان قد أعطاه الأمر بالبقاء حول العاصمة دمشق(5)

(1) السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم يُخبر سامي الجندي الرئيس عبد الناصر بهذه المؤامرة ولو عن طريق السفير المصري في باريس؟ أيّة مدرسة تلك هي مدرسة حزب البعث، وأي نوع من الخونة أنجبت؟

(2) أنظر خليل مصطفى بريز، *سقوط الجولان*، ص. 210.

(3) جريدة اللوموند الفرنسية، عدد 10 حزيران/يونيو 1967، ص.3.

(4) ذات المصدر، عدد 28 حزيران/يونيو 1967، ص.3 وانظر أيضاً *مرآة حياة مصطفى طلاس*، الجزء الثاني، صفحات 797-813.

(5) أنظر خليل مصطفى بريز، *سقوط الجولان*، صفحات 192 و 285.

كانت قوات الجبهة تحت قيادة الضابط الإسماعيلي، المير أحمد الماز، عضو اللجنة العسكرية، بينما كان قائد الجيش الفعلي، حينذاك، وزير الدفاع، حافظ الأسد(1).

المصادر السورية أعلنت أنّ إسرائيل قد أرسلت طيارتين لقصف مراكز عسكرية حول دمشق بعد أن قبلت سوريا وقف إطلاق النار. وعلى أثرها تلقّى الجيش السوري الأمر بالردّ حيث كانت بعض قطعاته موجودة في الجليل الأعلى. في العاشر من حُزيران ما بعد الظهر تعلن إذاعة دمشق الرسمية سقوط القنيطرة (التوقيع، وزير الدفاع، حافظ الأسد) بينما كذّبت إسرائيل ذاك البيان(2). وهكذا أعطى وزير الدفاع أمراً للقوات السورية بالانسحاب، أولئك الجنود البواسل، حين انسحبوا. أخبرونا أنّه بعد 24 ساعة مرّوا بطريقهم من

القنيطرة ولم يجدوا جندياً إسرائيلياً واحداً في المدينة التي أعلن حافظ الأسد عن سقوطها. ورحنا نسمع في الشارع، على سبيل النكتة المؤلمة بأنّ مجموعة جديد والأسد وماخوس، وزير الخارجية، قد باعوا القنيطرة مفروشة.

أمّا وزير الخارجية، صاحب رتبة الباب في المذهب العلوي النصيري، فقد صرّح بعد احتلال الجولان، بأنه *لا يهم حتى لو وصلت إسرائيل إلى مدينة حمص وحتّى حلب(3)، فهذه ليست سوى أراضي يمكن استرجاعها وأبنية يمكن بناؤها، ولكن حزب البعث، أمل الأمة العربية، إذا سقط فلا يمكن استرجاعه، ويجب ان لا يغيب عن أذهاننا بأنّ الاعتداء الاسرائيلي كان هدفه إسقاط الثورة التقدّمية في سوريا، وكلّ مَن يطالب بإسقاط النظام البعثي في سوريا ليس سوى عميلاً لإسرائيل*(4)

كذلك رئيس الدولة، نور الدين الأتاسي، فقد قال بإحدى كلماته: *سنجعل الأسطول السادس*

(1) Cf, E.PICART, La Syrie d’ujourd’hi, p.167.

(2) Le Monde, 11 juin, 1967.

(3) بهذه المناسبة كتب نزار قبّاني: ماخوس زعيّن والأكتع= لو ادّى البعث رسالته = لقبضنا من ثمن الأقرع.. والأقرع هو جبل في أقصى شمال سوريا.

(4)أنظر *سقوط الجولان* لمصطفى خليل بريز، ص. 213.

الأمريكي، طعاماً لسمك البحر الأبيض المتوسط(1).

أمّا صحيفة التايمز اللندنية فكانت تنظر للأمور بشكل آخر وهو:" إنّ الهجوم الإسرائيلي ضدّ سوريا، خلال حرب الأيام الستة، قد أنقذ النظام المتطرّف الذي يحكمها"(2)

لا شكّ بأنّ هدف تحدي السلطة في سوريا لدولة إسرائيل هو تحرير فلسطين بمساندة المقاومة الفلسطينية والتي كان على رأسها حينذاك، أحمد الشقيري، كما كنّا نقرأ في صحفهم ونستمع من إذاعاتهم، ما بين بيانات وخطب حماسية... ولكن الشقيري كذّب

ذلك في الكتابين اللذين أصدرهما وهما: "*من القمّة إلى الهزيمة*" ، صفحات 189-191. و "*على طريق الهزيمة مع الزعماء العرب*" ، ص. 143 و 254.

ونحن برأينا، بالإضافة لما كتبه سامي الجندي وأوردناه في صفحة سابقة" *ولا أعني أنّه كان يعدّ لهزيمة نفسه، وإنّما لهزيمة العرب الآخرين، كي يبقى الثوري الوحيد، سيد المناخ الثوري العربي*" كانت العصابة الحاكمة في دمشق تريد تراجع السنة في المنطقة بضربها بإسرائيل، ولو أنّ عبد الناصر لم يدّعِ مرّة أنّه حامي السنة في المنطقة، ولكن من حُماة القومية العربية، وحتى الآن نتساءل، هل كان ناصر يعلم خفايا الحكم الباطني في سوريا أم لا؟ ولا بدّ من أن لديه فكرة لا بأس بها، ولكن لماذا لم يُشر محمّد حسنين هيكل أبداً إلى هذه النقطة الحسّاسة من تاريخ مصر الناصرية ما بين 1963 و 1970! يمكننا أن نضيف أنّه خلال مؤتمر القمة العربية في الخرطوم بعد هزيمة حرب الأيام الستة، والذي لم تشارك به سوريا سوى من خلال مراقب، وهو وزير الخارجية، إبراهيم ماخوس، حيث توجّه للرئيس عبد الناصر منتقداً الرجعية العربية، فأجابه ناصر: *دكتور ماخوس، لست بحاجة لدروس في التقدمية العربية والرجعية العربية الآن ولكن عندي أكثر من مليون*

(1) قد يصعب علينا إلى أيّة درجة وصلت السخرية في مدينة حمص أمّ النكتة والروح المرحة، مسقط رأس رئيس الدولة والأمين العام لحزب البعث، نور الدين الأتاسي، فمنهم من كان يقول أنّ خلافاً مُسبقاً قد حصل بين سمك البحر المتوسط والبحر الأحمر، ثمّ ما بين أسماك نهر النيل والعاصي لتقاسم الغنيمة الناتجة عن تحطيم هذا السطول... وشر البلية ما يضُحك.

(2) عدد 23 حزيران/يونيو 1967، ص.4.

لاجئ عربي جديد، علينا أن نجد حلاً لهم الآن.

أوّل مسؤول عن تلك الهزيمة برأي السلطة الحاكمة في سوريا كان الدروز، وكنّا نستمع الإشاعات التي كان منبعها مكاتب الحزب في كلّ أنجاء البلاد تردد: الدروز خانوا(1)

وقد حاول سليم حاطوم بالقيام بانقلاب عسكري في 9 حزيران/يوينو 1967، فأمسكت به المخابرات العسكرية السورية، وتم إعدامه بعد ثلاثة أيّام هو وبدر جمعه.

المسؤول الثاني عن تلك الهزيمة كما كان يدلي أتباع الجيش الشعبي وأعضاء حزب البعث كان ملك الأردن الحسين بن طلال، فكانوا يُشيعون أنّه قد تلقّى ثمن الضفة الغربية بمبلغ ثلاثمئة مليون جنيه استرليني، لأنّ الحسين يُفضّل العملة الانكليزية على الدولار، فهو رجل بريطانيا في المنطقة. ولأخذ العلم أنّه قد استشهد من السوريين خلال حرب الأيام الستة 20 ضابطاً و125 جنديا وضابط صف، واستشهد في جبهة الأردن أكثر من ستة آلاف مقاتل...

الضباط السوريون المسرّحون منذ الانفصال حتى حرب الأيام الستة، كان عددهم حوالي سبعة آلاف، نصفهم كانوا على الحدود السورية اللبنانية والحدود السورية الأردنية، يريدون المشاركة في المعركة، وهم من جميع الاتجاهات السياسية، منعتهم السلطة من الدخول بحجّة أنّهم لا يريدون معركة في الداخل ضدّ الرجعية ومعركة في الخارج ضدّ الصهيونية(2). أمّا الرئيس شكري القوتلي الذي كان مقيماً في سويسرا، فقد قدم إلى بيروت وأراد الدخول إلى سوريا، فمنعوه، وفي الحادي عشر من ذات الشهر حين سمع بيان حافظ الأسد بسقوط القنيطرة، أصابته جلطة قلبية توفيَ على أثرها، وحين ذاك سمحت السلطة في سوريا بدخوله إلى البلاد ميتاً.

سؤال آخر يحق لنا طرحه لمحاولة رفع ولو شيءٍ من المسؤولية عن حافظ أسد بالنسبة لسقوط القنيطرة.

(1) لهذا السبب طلب سلطان باشا الأطرش لقاءً مع رئيس الدولة، نور الدين الأتاسي حتى يخفف من حدّة العداء ضدّ الدروز ولتحاشي الصراع الطائفي في البلاد، أنظر سامي الجندي، *عرب ويهود*، ص. 152.

(2) أنظر صحيفة *اللومند الفرنسية*، عدد 28 حزيران/يونيو 1967. ص.3.

الأوّل، أحمد سويداني، رئيس الأركان. حين سُئل عن علاقته بهذا البيان كرئيس لأركان الجيش، قال أنّه لم يُستَشر في هذا القرار، وكمواطن سمعه عن طريق الإذاعة كالآخرين(1).

المسؤول الثاني هو القائد العام للقوات العسكرية في الجبهة، المير أحمد الماز، الذي ألغى الوجبات الاحتياطية في الجيش، عدة أيّام قبل اندلاع المعارك(2)، وحدّثنا أقرباء وأصدقاء لنا كانوا في جبهة الجولان، أنّهم سطوا على مزارع لسرقة الفواكه والخضار والدجاج، ومنهم من كان يقتات بالأعشاب البريّة.

يجب أن نضيف أن أحمد الماز طلب أيضاً لوائي احتياط ثلاثة أسابيع قبل أندلاع المعارك للمشاركة، واستُجيب له(3) ولسنا بحاجة للتعليق على هذه المبادرة العسكرية الرائعة.

المسؤول الثالث كان وزير الدفاع، حافظ الأسد، الذي أرسل البيان 66 معلناً سقوط القنيطرة. هذا الأخير كان له هدف على المستوى البعيد كما كتب سامي الجندي في 1982/10/25 في دورية *أفريقيا- أسيا*، باللغة الفرنسية قائلاً: منذ كان وزيراً للدفاع كان طموح حافظ الأسد أن يأخذ مكانة ناصر في العالم العربي، وليبني دولة سوريا الكبرى التي كانت تحلم بها الطائفة العلوية، ويحلم أن تعلو رايته على الأردن وفلسطين ولبنان. لقد شعر بأنّه اقترب من تحقيق حلمه بعد أن دخلت قواته لبنان عام 1976، وخاصة بعد توقيع مصر على اتفاقيات السلام مع إسرائيل. وهو الذي خان ناصر في حرب 1967، وأعلن عن سقوط الجولان والقنيطرة قبل أن تدخلها القوات الإسرائيلية. لماذا؟ كان يريد فقط أن يسقط النظام الناصري وبَلقـَنة(تقسيم المنطقة كما هي بلاد البلقان الآن وكما كانت قبل نيتو) لصالح الأمريكان والسعوديين والإسرائيليين".

أمّا رجل سوريا القوي في تلك الفترة، صلاح جديد، فلم ينبث بكلمة واحدة للصحافة، والتزم صمتاً رهيباً ومقيتاً. ولكنه لا يناقض حافظ الأسد في هذا المجال، فهو يعتبر جمال

(1) أنظر مصطفى خليل بريز، *سقوط الجولان*، ص. 172.

(2) ذات المرجع، ص. 308.

(3) ذات المرجع، ص. 70.

عبد الناصر المسؤول عن مقتل أخيه، غسان جديد، كما رأينا في الصفحات السابقة، ويكرهه حتى الموت(1) يمكننا أن نضيف أنّ القوة الشعبية التي كانت تهدد النظام في تلك

الفترة هم الناصريون، حيث كان عددهم في مدينة حلب حوالي الخمسين ألف مُنظّم. وكذلك كان ريف دمشق قلعة لهم وأيضاً نقابات العمال في حمص كان يقودها الناصريون.

وزير الدفاع، حافظ الأسد، كان يخشى انتفاضة شعبية بعد الهزيمة، فاستدعى العميد كمال قصّاصة للقيام بمهمة تشكيل ألوية احتياط لتحاصر دمشق وحمص وحماه وحلب في حالة تمرد شعبي، ولكن كمال قصّاصة رفض تنفيذ الأوامر لأنّها تتناقض مع قوانين الجيش، حيث أنّ عليه باستدعاء مَن كانوا تحت خدمة العلم من كافة المحافظات وليس من محافظات معيّنة، وخوفاً من انتشار الفضيحة، أُلقي به من الطابق الثاني في بناء الأركان، وأُشيع أنّه انتحر، وتمّ دفنه بشكل سريّ (2).

لا بدّ من كلمة تُخفى على القارئ العربي، وهي أنّ هذه الحروب هي مجال للتجربة بين القوى العُظمى في العالم، لم تعد هذه القوى تتجرّأ بمواجهة بعضها البعض، لأنّ هذا يعني نهاية الحياة على وجه الكرة الأرضية، أو تحطيم حضارة الإنسان لمدى طويل من السنوات. وقد نشأ منذ قبل الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية، مؤسسة التصنيع العسكري، أي منذ عام 1938، واشتدت حاجة أمريكا لها خلال الحرب وازداد شأنها داخل أمريكا وخارجها، ومن مصلحتها دائماً استمرار الحروب، وقد حذّر من سلطتها وازدياد نفوذها الرئيس الأمريكي إزنهاور، في آخر خطاب له للأمة الأمريكية، قبل أن يتولى جون كيندي مركز الرئاسة. ويبدو أنّ جون كيندي كان يحاول التخفيف من حدة سيطرة مؤسسة التصنيع العسكري في الولايات المتحدة، ويبدو أنّ نائبه، لندون جونسون كان من كبار المساهمين في هذه المؤسسة، وتم قتل جون كنيدي كما نعلم وهو يحضر لانتخابات جديدة كانت الاحصاءات تعطيه النجاح، وحاولوا تغميم من كان وراء مقتله، وبعد ما يُقارب من خمسين عاماً بدأت أصابع الاتهام تتجه نحو جونسون، الذي

(1) سامي الجندي، *البعث*، ص. 144-145.

(2) أنظر خليل مصطفى بريّز، سقوط الجولان، ص.240-241.

تسلّم الرئاسة بعد كيندي، وبالنتيجة فإن لندون جونسون وسّع حرب فيتنام بالشكل الذي ترويه كتب التاريخ، وذلك يعني شراء الأسلحة من مؤسسة التصنيع العسكري، بأموال المواطن الأمريكي العادي. وهذا ما أفاض بمليارات الدولارات على هذه المؤسسة، أمّا حياة المواطن الأمريكي البسيط، والإنسان الفيتنامي البريء، فلا قيمة له عند تجار الحروب وخاصة منذ القرن العشرين. والتسليح الأمريكي لدولة إسرائيل فغالباً ما يكون على شكل مساعدات من الحكومة، وهذا لا يعني أنّ الحكومة الأمريكية لا تدفع ثمن هذه الأسلحة لمؤسسة التصنيع العسكري. من جانب آخر كان للاتحاد السوفيتي مؤسسة التصنيع العسكري التابعة للدولة، ونعلم جميعاً أنّ الحرب الباردة وضعت السوفييت في هذا السباق، ومعاملها تريد أيضاً أن تُصرّف هذه الأسلحة بأرباح ولو على دماء الشعوب. فكان سوقها المحتّم تلك الفترة الدول العربية التي تُعنى بالتقدمية. وخلال الفترة التي سبقت حرب الأيام الستة، كان رئيس وزراء إسرائيل "ليفي أشكول" لا يريد هذه الحرب لعلمه أنّها ستجرّ ورائها حروباً كثيرة، ولكن كبار الضباط في الجيش الإسرائيلي، موشي ديان وإسحق رابين... ومن وراءهم بن غوريون، مؤسس دولة إسرائيل، أرادوا هذه الحرب التي كانوا يخططون لها منذ سنة 1963 كما صرّح وزير خارجيتهم آنذاك، أباإيبان. كذلك جمال عبد الناصر لم يكن يريد تلك الحرب، ولكن أقنعه السوفييت بأنّ إسرائيل ستشن حرباً على سوريا، ومن ثمّ ضغط الشارع العربي، نتيجة الثوريين المغامرين وضغوطهم في الصحافة والإذاعات، أضطرته كرائد للقومية العربية أن يضع مصر في صدارة الحرب ضدّ الدولة الصهيونية، ذلك بعد أن طلب من قوّات الأمم المتحدة الخروج من خطّ المواجهة مع إسرائيل وإغلاقه لممرات إيلات الذي تنفذ منها السفن الإسرائيلية نحو البحر الأحمر ومن ثمّ إلى آسيا وأفريقيا. وظن عبد الناصر بأنّ الأمر سيتوقف عند هذا الحدّ، ويمكن بعد ذلك المطالبة بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين على الساحة الدبلوماسية. لقد كان خطأً استراتيجياً من الرئيس عبد الناصر أيضاً. حتى ولو أنّ سوريا والسوفييت والذين كانوا يسمّون بالتقدميين العرب قد جروه إلى هذه المحنة.

كذلك وقع صدّام حسين في ذات المأزق، وفتح باباً لتجّار الحروب ما كانوا ينتظرونه، فعدا عن حربه مع إيران التي جعلت من العراق أكبر سوقٍ لبيع الأسلحة، فإنّ هذه السوق توسّعت أكثر مما كان متوقعاً، ذلك منذ أن أعلن السوفييت سحبهم تلك الورقة التي قضّت مضاجع مؤسسة التصنيع العسكري في عهد غوربتشوف، وكان ذلك خلال مؤتمر هلسنكي عام 1988 بين الرئيس الأمريكي، رونالد ريغن وغوربتشوف، الذي أعلن نهاية الحرب الباردة وسباق التسلّح بين الدولتين العظمتين تلك الفترة. وكانت أنظار مدراء شركات التصنيع العسكري تتوجه نحو الشرق الأوسط لتوسع تجارتهم، فراجت تلك التجارة بمئات المليارات من الدولارات مع دول الخليج العربي- الفارسي بشكل منقطع النظير، تارة باسم الدفاع عن الحكومات وتارة ضدّ الإرهاب... نضيف إلى معلومات القارئ أنّ من أكبر المساهمين في هذه المؤسسة الأمريكية للتصنيع العسكري، ما عدا عائلة جونسون، هناك عائلة بوش وعائلة بيكير وديك تشيني... أولئك الذين سيطروا على السياسة الأمريكية بعد مقتل كنيدي، لا يستثنى منهم ربما سوى جيمي كارتر. على أنّ السوق العربية التي كانت تُباع فيها هذه الأسلحة لم تكن بخط المواجهة مع إسرائيل، سواء كانت ليبيا التي اشترت بمليارات الدولارات سلاح الطيران الميراج، من شركة اليهودي، مارسيل داسو، أو دول الخليج التي تشتري من المؤسسة الأمريكية للتصنيع العسكري. وهذه الأسلحة لطالما يتخطّاها الزمن فتصبح غير صالحة سوى لإخماد ثورات الشعوب كما رأينا مؤخراً في ليبيا، وكما رأينا في سوريا والعراق، من جانب شرائهم للأسلحة السوفيتية.

ما بين حافظ الأسد وصلاح جديد.

منذ الاصطدام مع الضباط الدروز في خريف عام 1966، راح حافظ الأسد يوجّه النقد لصلاح جديد بمسألة ازدواجية السلطة. أي السياسية والعسكرية، فهو يمسك من جانب

بالقيادة القطرية لحزب البعث، ويمسك ابن عمّه، عزّت جديد، بعنان اللواء السبعين، أقوى الألوية العسكرية في الجيش السوري. خلال هذه الأزمة التي استمرت ثلاثة أعوام وانتهت باستيلاء حافظ الأسد على السلطة، جرت أحداث عظام في سوريا وحلّ وباؤها كما عهدنا مع الطائفة العلوية النصيرية، متسترة بحزب البعث، حلّ وباؤها على سوريا وشعبها كما سنرى.

بدأ حافظ الأسد يجمع أتباعه للتخلّص من صلاح جديد وأتباعه، وإن كان صلاح جديد قد راهن على الحزب أكثر ممّا راهن على الجيش، فهذا خطؤه الاستراتيجي، حيث أنّ الحزب كان لجملة من المنتفعين لا يدرون كيف يسيرون به، فهو حزب يناقض أفكار أبناء سوريا في الريف وفي المدن أكثر من الريف. لم يكن انتماء السوريين للحزب من بين السنة سوى انتماء لمصالح خاصة، وبين طوائف الأقليات الدينية أيضاً سوى لذات السبب أو لأسباب طائفية، أو عشائرية في الطائفة العلوية النصيرية. أمّا حافظ الأسد فراهن على الجيش وما عليه سوى التخلّص من عزّت جديد، قائد اللواء السبعين، وراح يسطع نجم رفعت الأسد الذي بدأ بتشكيل سرايا الدفاع، كدولة داخل الدولة، وتولّى صديقه منذ كان طالباً في الكلية العسكرية في حمص، مصطفى طلاس، رئاسة الأركان. الضابطان الإسماعيليان، المير أحمد الماز وعبد الكريم الجندي، تمّ الخلاص منهما بسهولة، فأُرسِل الأوّل كسفير إلى إسبانيا(1) وأُرسِل الثاني إلى السماء بعد انتحاره بعدة رصاصات في رأسه وظهره وأماكن أخرى(2)، وقد كان حينها مديراً للمخابرات وهو الذي كان ينوي أن يضع الإسلام في المتاحف ويعتبر كلّ مَن كان يقرأ الفاتحة رجعياً على حدّ زعم أحمد الشقيري(3).. ثم خلع عزّت جديد من قيادة اللواء 70 ووضعه كضابط في الأركان. بينما أسس صلاح جديد قوّات الصاعقة كأحد التنظيمات العسكرية هدفها تحرير فلسطين، وضمّ تحت سيطرته لواء اليرموك الذي كان يُشكّل جزءًا من جيش التحرير الفلسطيني. وبعد الانتهاء من هذين الرمزين انعطف أكثر الإسماعيليين نحو الحزب الشيوعي السوري ونحو حزب البعث أتباع القيادة القومية وهذا يعني البعث الذي سيطرعلى العراق من بعد.

(1) أنظر نيكولا فاندام، *الصراع على السلطة في سوريا*، ص. 95.

(2) خبر انتحاره أُعلن في إذاعة دمشق بتاريخ 1969/3/2، وخبر مقتله وصلنا عن طريق قائد سيارة المخابرات، محمد منير الدندشي والذي وظّفه كسائق سيارة وزير الداخلية حينذاك، محمد رباح الطويل باسم الجوار. ويبدو أنّه أراد اتخاذ طريق ماوتسيتونغ من أجل نجاح التقدمية العربية ضد الرجعية العربية والامبريالية العالمية كايّ مراهق سياسي.

(3) انظر *على طريق الهزيمة*، ص. 254.

في الواقع أنّ الإسماعيليين كان لهم دور ثانوي في تلك الفترة التاريخية، وذلك لقلة عددهم نسبياً في البلاد، وبالرغم من أنّ سامي الجندي كان وزيراً في عدّة حكومات وأكثرهم ثقافة وانفتاحاً على المشروع الوطني، فقد كان منبوذاً من باقي الإسماعيليين وحتى من والدته لأنّه تزوّج امرأة من السنّة(1)، فالطائفية مغروسة بشكل رهيب في المجتمع السوري. السلطة في سوريا التي فاض انعزالها عن الجماهير يوما بعد يوم منذ صيف 1963، وصل هذا الانعزال لحدٍّ يكاد لا يُطاق، وخاصة بعد هزيمة حرب الأيام الستة عام 1967. بينما أراد صلاح جديد أن تتوجه سياسة البلاد بالتحالف مع دول المعسكر الشيوعي وازدياد التقشّف والتستّر باسم التقدّمية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية، أراد حافظ الأسد توجيهها نحو البلاد العربية واتفاقية مؤتمر القمّة في الخرطوم مع انفتاح اقتصادي بدلاً من التقشّف. وهذا ما أدّى لازدياد الشرخ بين الرجلين القويين المُتحكّمين في السلطة السورية(2) وراحت بعض الإشاعات تقول أنّ السلطة أرادت استبدال نور الدين الأتاسي، كرئيس للدولة، بمصطفى رامي حمداني، الذي كان محافظاً سابقاً لمدينة حمص. كما أُشيع عن مؤتمر لضباط الطائفة مع مشايخها في مدينة حمص، والذي كذّب ذلك الشيخ عبد الرحمن الخيّر عام 1969(3).

تفجّرت المسألة بين جديد والأسد خلال أحداث ما سُمّيّ بأيلول الأسود في الأردن، فقد قررت القيادة القطرية تدخّل الجيش السوري لمساعدة الفلسطينيين، ورفض حافظ الأسد تدخّل الطيران في المعركة، ومع توقّف القتال في الأردن بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر المفاجئة بتاريخ 28 أيلول/سبتمبر 1970، تمّ حسم الصراع بين الرجلين، لصالح حافظ الأسد، الذي كان يقبل قرار الأمم المتحدة 242، لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، الذي رفضه صلاح جديد، وكذلك بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي

(1) حدّثنا عن ذلك أكثر من شخصٍ من سكّان بلدة السلمية.

(2) Cf. I. HASSAN, *La Syrie de la guerre civile*, in *Peuple Méditéraniens*, juillet-septembre, 1980, p. 95, et N. VAN DAM, op-cit, 81.

(3) هذا عمّا نُشِر في صحيفة الحياة اللبنانية بتاريخ 1969/7/19.

فانتهى صلاح جديد في السجن، أمّا إبراهيم ماخوس، وزير الخارجية فالتجأ إلى الجزائر. وأطلق حافظ أسد على انقلابه إسم الحركة التصحيحية اعتباراً من 16 تشرين ثاني/ نوفمبر 1970.

عهد حافظ الأسد.

وضَعَ حافظ الأسد أوّلّ ديمومة كرئيس للدولة، أحمد الخطيب، وكان معلّماً غير معروف في الأوساط السياسية أو الثقافية، وتنازل عن منصب وزارة الدفاع لينصّبَ رئيس الاتحاد الوطني لطلبة سوريا، متعب شنان مكانه، وليحتل هو مؤقّتاً رئاسة مجلس الوزراء، ويضع مصطفى طلاس رئيساً للأركان. وحاول التخلّص من عقدته بانتمائه إلى الطائفة العلوية. وكنت شخصياً حينذاك كمواطن عادي في التاسعة عشر من عمري، لا أرى في ذلك أيّة موانع في أن يتحمل رئاسة الدولة كعلوي أو مسيحي أو أيّ كان من المواطنين المستقيمين عن طريق الانتخابات(1).

أدّى حافظ الأسد بعد حركته التصحيحية، صلاة الجمعة في الجامع الأموي بدمشق، وكان بسطاء الناس من العلويين يقولون، أهل الشام سنّنوه،(أي أصبح سنّياً)، وآخرون كانوا يقولون عنه بأنه ليس علوياً ولكن(أستميح القارئ عذراً) بندوق كردي(2)، وأمّا العامة من الناس فكانوا يستبشرون خيراً بعد كابوس صلاح جديد كما كنّا نطلق عليه.

(1) أذكر في تلك الأيام حادثة حصلت بيني وبين أحد أصدقائي من أبناء المذهب الإسماعيلي، من آل رستم، والذي قال لي في مساق الحديث: لن يُقبل حافظ أسد كرئيس دولة. فأجبته بحالة تعجّب: ولما يا فلان؟ فأجابني: لأنه علوي! قلت

بتعجّب أكثر: ألا زالت فينا هذه الروح الطائفية القذرة!؟ أجابني بشطر بيت من الشعر: ستبدي لك الأيام ما كنتَ تجهل...

(2) لربما استلهموا هذا الرأي من *كتاب الباكورة*، لسليمان أفندي الأضني، ص. 298، في الدورية الأمريكية للمجتمع الشرقي، حيث كتب: *وأمّا مَن ولد في مذهبهم وارتدّ إلى غيره، فيحكمون على الخارج عنه، بأنّ أمّه زنت فيه من ذلك المذهب الذي دخل فيه.*

أتانا حافظ الأسد بأوّل هدية رائعة، كانت نَصب آمالنا وأحلامنا، الاتحاد الثلاثي، بين سوريا ومصر وليبيا، كنّا نستمع لهذه الاتفاقية من إذاعة دمشق والدموع تسيل من أعيننا لشدة الفرح، لم ننم طوال الليل ونحن ننظر ببصيرتنا لمحو هزيمة حرب الأيام الستة 1967 التي كان حافظ الأسد من أهم المسببين لها.

أتانا الأمر ونحن في مرحلة الدراسة الثانوية، للخروج بمظاهرة تأييد لهذه الخطوة المباركة، ووقع عليَّ أن أتحمّل الهتافات كي تردد من بعدي حشود الجماهير الطلابية. فقبلت المهمة بلذة لا نظير لها، ورحت أهتف ما يلي: *أوّل ما نبدأ ونقول، صلّوا على طه الرسول*. وراحت أصوات الجماهير الطلابية تهتف ورائي، وتجمع أبناء حمص الكرام بالمئات وربما أكثر ليهتفوا بهتاف كان قد مُنع منذ تولي البعث للسلطة. ثمّ تلوته بهتاف ثاني: *هيك علّمنا جمال، لا رجعية ولا انفصال*. فاقتربت المخابرات منّا وبدأت تأخذ احتياطاتها، فتلوته بهتاف آخر: *هيك علمنا حافظ، على الوحدة لنُحافِظ... هيك علمنا السادات، عهد الإنفصال مات*... وجدت نفسي بعد ربع ساعة من الحماس على كتف أحد رجال الأمن وحملني إلى أقرب سيارة مخابرات(لاندروفر) ورماني في داخلها، لأجد نفسي بعد عشر دقائق في قبو المخابرات السياسية في حيّ المحطة، وتفرق بعدها المتظاهرون، وخرجت مساءً لألتقي الأستاذ روحي صافي، والذي كان مسؤولاً عن الاتحاد الاشتراكي العربي بمدينة حمص، ليقول لي، هذا أوّل مسمار يدقه البعثيون في تابوت الاتحاد الثلاثي.

بدأت مسيرة البلاد مع حافظ الأسد، شكّلَ مجموعة من الوصوليين والمرتزقة ونصّبهم فيما يُسمّى بمجلس الشعب وقال لنا، هؤلاء هم أعضاء برلمانكم.

نصّب نفسه رئيساً للجمهورية العربية السورية في مطلع عام 1971، بعد استفتاءٍ شعبي بنتيجة 99% أو أكثر من ذلك بقليل، ولا زلت أذكر كلمة من أحد البعثيين المُقالين من الحزب منذ سنوات، أستاذنا باللغة العربية، نصر الدين فارس، والذي كان لفترة مدير التربية في محافظة حمص، حيث قال: *رجل خسر حرباً، فبدل أن يُحاكم على خسارتنا بالحرب التي كان هو سببها، نكرمه ليصبح رئيساً للبلاد!*

وجدت نفسي في دمشق بعد أشهرٍ، فوجئتُ ليس فقط بكثرة صور حافظ الأسد، ولكن بصور أخيه، العريف رفعت الأسد. وبدأ انتقال سوريا من الحكم الطائفي إلى حكم لأسرة مستندة على النفوس الضعيفة في الطائفة العلوية النصيرية، والمرتزقة من حديثي النعمة من كافّة الأطراف، متحجّبة وراء حزب البعث، مشوّهة للقومية العربية. متستّرة بتقدمية لا ندري ما هي أصولها وأبعادها وفحواها ومعناها...

كان لأهل حمص موعد ضد السلطة على مدى ثلاثة أعوام في ذكرى المولد النبوي، وكان يشارك في تلك المظاهرات العديد من المسيحيين... ولكن كان لها موعد آخر وهو انتخاب الإدارة المحلية، نجحت فيها قائمة الأحرار ضدّ قائمة الجبهة الوطنية التقدمية ضد النظام بفوارق هائلة تعد بعشرة آلاف من الأصوات أو أكثر بالرغم من التزوير والضغوط والتهديدات والحافلات التي كانت تأتي بناخبين من القرى المجاورة، وكانت قائمة الأحرار تمثّل الأغلبية من الاتحاد الاشتراكي العربي(الناصريون)(1)، والإخوان المسلمين والشيوعيين وبعثي من القيادة القومية. ويبدو أنّ حافظ الأسد فهم درس الحرية، فكانت الانتخابات فيما بعد تسير على هوى السلطة بكافّة المستويات.

عندما نشر دستور سوريا في البداية بتاريخ 31 كانون الثاني/يناير 1973، لم تكن الوثيقة تحمل المادة 156، والتي تشترط بأن يكون دين رئيس الجمهورية الإسلام، كما كانت عليه منذ عام 1930، وثارت الاحتجاجات وخاصة في مدينة حماه. فطلب حافظ الأسد من مجلس الشعب إضافة هذه المادة في الدستور، وطلب من صديقه الحميم، موسى الصدر، إمام الشيعة في لبنان أن يُصدر فتوى بأنّ العلويين جزء من المسلمين الشيعة(2).

الجبهة الوطنية التقدمية التي شكلها حافظ الأسد، بقيادة حزب البعث، اشترك فيها، حينذاك

(1) كان الجناح الذي قاده الدكتور جمال أتاسي في تلك الفترة قد تحالف مع حافظ الأسد وانشقّت أكثر قواعده لتنضم إلى جناح اللواء محمد الجراح، ولكن الدكتور جمال أعلن انسحابه بعد فترة من الجبهة التقدمية، إلاّ أنّ ذاك أثّر كثيراً على القوة التنظيمية للاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا.

(2) أنظر باتريك سيل، *الأسد*، ص.279. ولكن يبدو أنّ موسى الصدر تجاهل الفتاوى التي كتبها علماء الشيعة بابن نصير منذ القرنين الرابع والخامس للهجرة، نذكر منهم على سبيل المثال، النجاشي والطوسي والكشّي...

الناصريون، جناح الدكتور جمال الأتاسي، حيث أنّهم انشقّوا نتيجة ذلك لقسمين، القسم الذي قاده جمال الأتاسي، والقسم الثاني كان يقوده اللواء محمّد الجرّاح، الذي رفض لسببين: الأوّل أنّ البعث احتجز لحزبه فقط العمل في المجال الطلابي أولاً والجيش ثانياً. ذلك مما جعل الكثيرين من أنصار جمال الأتاسي ينضمون لجناح محمد الجرّاح.

الطرف الثالث في الجبهة، كان الشيوعيون، يمثّلهما حزبان، الأول بقيادة خالد بكداش، وهو ملتزم بموسكو، والثاني بقيادة رياض الترك، ويأخذ اتجاه أحزاب القومية العربية.

كما دخل في الجبهة حزب الاشتراكيين العرب والوحدويين الاشتراكيين وحزب العمّال الثوري.

هذه الأحزاب لم يكن لها أيّ تأثير في الأوساط الشعبية، وكان من بينها مَن لم يكن يتعدّى أعضاؤه بضع مئات، حتى أنّ حزب العمّال الثوري كان يضمّ أقلّ من خمسين شخصاً. وراحت الفجوة تتسع ما بين الجماهير والسلطة، بالرغم من أنّ حزب البعث فتح باب الانتساب إليه بعد أعوام من إغلاقه ليصبح عدد المنتسبين إليه أربعين ألف مُنتسب عام 1973، بعد أن كانوا خمسة عشر ألفاً، ولكن أكثرهم انتسبوا لمصالح شخصية. لكن كما قال خالد بكداش، الأمين العام للحزب الشيوعي السوري آنذاك، بلقاء مع صحيفة اللومند الفرنسية، أنّ حزب البعث لم يكن يوماً شعبياً، وأراد الأسد الوصول لهذا الهدف بالرغم من علمه أنّ الكلمة الأولى والأخيرة هي للجيش(1).

عيّن حافظ الأسد بعد توليه رئاسة الجمهورية عام 1971، عبد الرحمن خليفاوي رئيساً للوزراء، وقد حاول خليفاوي الحدّ من سيطرة أتباع المذهب العلوي النصيري على الحزب، لكنّ رفعت الأسد كان في مواجهته دائماً، حتى قدّم استقالته عام 1975(2).

ولنعطي فكرة عن نسبة الناخبين الذين شاركو بانتخابات مجلس الشعب عام 1978، فالسلطة كانت تعطي رقم 20% بينما تعطي مراكز الأبحاث نسبة أقل من 5%(3).

(1) Cf. *Le Monde*, du 27 mars 1973, p.5 et P. WELLMARD, *Dossier du Proche-Orient Arabe*. P. 265.

(2) Cf. *Le Monde* du 6 Avril,1971, p. 8.

(3) Cf. E. PICART, *La Syrie d'aujourd'hui*, pp. 176-78.

بعد تسلّمه السلطة، ضمّ حافظ الأسد إلى أتباعه الضباط العلويين الذين كانوا يناصرون محمّد عمران، أوّل رئيس للجنة العسكرية، وشكّل الوحدات الخاصة بقيادة أحد أبناء عشيرة عمران، وهو محمّد علي حيدر. وحين أعلن محمّد عمران الذي كان يسكن في طرابلس حينذاك أنّه سيدخل إلى سوريا، تمّ اغتياله في منزله عام 1972، وبعد ذلك أقسم حافظ الأسد كالعادة، بشرفه العسكري المعروف بالنزاهة، أمام إبن محمّد عمران بأنّه لم يكن وراء عملية الاغتيال هذه(1).

أمّا عن جناح صلاح جديد فلم ينتظروا طويلاً للقضاء على حافظ الأسد، ولكنّهم فشلوا. كان ذاك في عيد العمال، الأول من شهر أيار/مايو 1971. في ذلك اليوم أتى حافظ الأسد ليرعى احتفالات عيد العمّال في مدينة حمص، وليفتتح معمل السماد الآزوتي على بحيرة قطينة، وكان سيذهب بالقطار الذي تمّ إمداد خطوطه من أجل هذا المعمل في غربي حمص. فأفلتت قاطرة سبقت تنقّل حافظ الأسد وانفجر جسر السكة الحديدية على بعد 2 كم من المحطة. فعاد إلى دمشق دون أن يشارك بالاحتفال، وأوقف الضباط العلويين من أنصار صلاح جديد وعلى رأسهم ابن عمّه، عزّت جديد(2).

بعد أن تخلّص حافظ الأسد من مجموعتي صلاح جديد ومحمّد عمران العسكريتين العلويتين، أصبح الحكم الذي يسيّر كافة المجموعات العسكرية من جانب، والسياسية المدنية من جانب آخر. فقد وجد نفسه أمام خيار واحد إذا ما أراد التشبّث بالسلطة، ممارسة الحكم باطنياً وظاهريّاً. فأمام الجمهور والعالم الخارجي كان يلعب ورقة القومية العربية والتقدمية وتحرير فلسطين، بينما كان يعتمد داخلياً لتثبيت حكمه على الضبّاط العلويين من كافّة العشائر، يغدق عليهم من المصالح على حساب الدولة، ومقابل ذلك هم من طرفهم يحاولون توزيع الأرباح الناتجة عن سمسرتهم في التجارة

(1) انظر نيكولا فاندام، *المرجع السابق*، ص. 90، *ومجلة الحوادث اللبنانية*، عدد أيلول/سبتمبر،ص.29، وباتريك سيل، *الأسد*، ص.294.

(2) لم تكتب الصحافة اللبنانية عن هذه الحادثة مباشرة، ولكن كتبت بتاريخ 6/11/ في *صحيفة الحياة* و1971/6/14 في *صحيفة الرأي*، أنظر نيكولا فاندام، *المرجع السابق*، ص. 96.

الخارجية والواسطات لكبار التجار والاختلاس، ولكنّهم فضّلوا في كافّة الأحوال الاحتفاظ بهذه الأرباح الغير مشروعة لأنفسهم وعائلاتهم. كذلك كان علي حيدر ورفعت الأسد وعلي دوبا وعلي أصلان...(1).

(1) Cf. I. HASSAN, *La Syrie de la guerre civile*, in *Peuples Méditerraniens*, n° 12, juillet-septembre, 1980.

حرب تشرين الأوّل/أكتوبر 1973
التحريرية أو التحريكية ؟

لا زلت أذكرُ كلمة قالها لي الأستاذ دومنيك شوفالييه، أستاذ الدراسات الشرق أوسطية في جامعة السوربون: *يا سيدي، العالم العربي يعيش في حالة تأخّر جامعي*... كان ذاك عام 1985.

القطب الأول في الجانب العربي في تلك الحرب كانت مصر بقيادة أنور السادات، وأهم شيء في شخصيته هو الشعور بالنقص، أمام قادة الدول الغربية من جانب، ولقّبه هنري كسينجر بمهرّج السيرك. ووجد نفسه على سدّة الحكم بعد قائد فذّ قاد مصر ما يقارب من ستة عشر عاماً، هو جمال عبد الناصر، والذي يمكن أن نقول فيه، له ما له وعليه ما عليه.

فقد حوّل الانكسار العسكري في حرب السويس عام 1956 إلى انتصار سياسي. وبعد هزيمة حرب الأيام الستة عام 1967، جعلنا من قيادته الشجاعة ومسيرته المستقيمة وعدم شعوره بالنقص أن لا نفقد الأمل. "لقد بلغ عدد القتلى الإسرائيليين في حرب الاستنزاف الطويلة الأمد مع مصر عامي 1969-1970م، 3239 قتيلاً، وعدد الجرحى 9700 جريح.. بينما لم يبلغ عدد القتلى الإسرائيليين في حرب 73م التي اعتُبِرت باهظة في تكاليفها البشرية سوى 2812 قتيلاً (مقابل 22125 قتيلاً من الجانب العربي) بالإضافة إلى 7500 جريح (مقابل 66260 جريح من الجانب العربي)(1).

في مقابلة على الشاشة الصغيرة الفرنسية، مع اباإيبان، وزير خارجية إسرائيل السابق، سمعناه يقول: *إنّ أخطر حرب خضناها ضدّ العرب كانت حرب الاستنزاف مع مصر عامي 1969-1970*.

(1) أنظر سلمان رشيد سلمان، *السلاح النووي والصراع العربي الإسرائيلي*، صفحتين 28-29. نضيف لمعلومات القارئ أنّ مصر خسرت في حرب الاستنزاف هذه حوالي 6200 شهيدا، عدا عن المدنيين الأبرياء في مدرسة بحر البقر الابتدائية ومعمل أبي زعبل وغيرها... مما اضطر عبد الناصر أن يطلب الحماية الجوية لأجواء مصر من السوفييت عام 1970.

لا نريد من كتابة هذه الفقرة إيقاع اللوم على حافظ الأسد شخصياً كمسؤول عن خيانة تشابه خيانته في حرب الأيام الستة، حين أعلن عن سقوط القنيطرة قبل يومين من دخول القوات الإسرائيلية إليها. ولن نتوقف عند مسيرة تلك الحرب وأحداثها بالأيام والأرقام، فقد وثّق محمد حسنين هيكل في كتابه " *الطريق إلى رمضان*" بالكثير، وكتب الكثيرون غيره بالعشرات، ونقل باتريك سيل ذكريات حافظ الأسد فيها، وكتب موشي دايان في مذكراته وأنور السادات في "*البحث عن الذات*" ، ولكن المنتصر في تلك الحرب ليس سوى هنري كسنجر، وزير خارجية أمريكا اليهودي، خلال رئاسة ريتشارد نيكسون وفورد. فقد كان يعرف من أين تؤكل الكتف. فهو ممثّل السياسة الخارجية لأقوى دولة في العالم، وكما يعلم جميع المحللين للسياسة في سنوات السبعين من القرن الماضي أنه كان أكبر داهية سياسية في العالم، ولطالما كنّا نردد بكل بساطة، أنّ دولة العصابات الصهيونية في فلسطين يعود فضل تثبيت وجودها بهذا الشكل الجبروتي لثلاثة أشخاص هم تيودور هرتزل، صاحب

فكرة تأسيس دولة إسرائيل، ودافيد بن غوريون، الذي أعلنها سنة 1948 عام النكبة، وإلى هنري كسنجر، الذي ثبّت وجودها في خضم المحيط العربي بعد حرب 1973. ولا أنكر أنّ باتريك سيل يحمل هذه الفكرة والتي كتبها في كتابه، *الأسد*، ص.420. واستعادت سوريا نتيجة تلك الحرب القسم الذي احتلته إسرائيل بعد حرب 1973 بالإضافة لمدينة القنيطرة التي هدّمتها دولة العصابات الصهيونية بوحشية نادرة.

بعد هذه المقدّمة البسيطة المختصرة، أين كان خطأ حافظ الأسد؟ نحن متفقون على تاخّره الجامعي، وهذه ليست مصيبته وحده، فقد كان صدّام حسين أكثر تأخراً منه... فقد ترك حافظ الأسد فرصة لا تتردد في التاريخ، وهي التحامه مع شعب سوريا من جديد، هذا الشعب كان قد تناسى هزيمة حرب الأيام الستة ودور الأسد الخياني فيه، وأعطاه الثقة، وحصل انفتاح اقتصادي بتدفّق الأموال من الدول المنتجة للنفط بشكل لم يسبق أن عرفته سوريا. تلك الفرصة هي أنه كان عليه أن يعطي للشعب حقّه في الحياة الكريمة، لكي يشعر المواطن السوري أنّ الوطن للجميع وليس لطائفة دون أخرى. ولكن هنري كسينجر وضع له فخّاً في لبنان، وقع فيه من وراء غاية هي نقل المؤامرات التي كانت تُحاك في لبنان عادةً في سفارات الدول العظمى بعيداً عن دمشق، ودون أن يشعر أوقع لبنان والمقاومة الفلسطينية وسورية في لعبة طائفية كريهة، ساعده في ذلك غباء أنور السادات الذي بدأ يضع مصر خارج مسألة الصراع العربي الإسرائيلي.

حرب حافظ الأسد وتدخله في لبنان زادت بالفجوة التي تفصله عن الجماهير العربية في سوريا ولبنان والمقاومة الفلسطينية. فقد حاول أنّ يكون حكماً بين جميع القوى المتقاتلة والموجودة على الساحة. فلم يُقنع أحداً منهم سوى سليمان فرنجية، رئيس الجمهورية اللبنانية في تلك الفترة. حاول التقرّب من اللبنانيين المارونيين لمحاولة إنشاء سوريا الكبرى(1)، فاعترضت الكتائب اللبنانية المسنودة من كسينجر وإسرائيل على مشروعه، ولكن كسنجر أوقعه في الفخ مرة ثانية، فسمح له بالدخول في لبنان، بالرغم من اعتراض إسرائيل في البداية، لكنّ كسينجر أفهمهم مستوى غباء حافظ الأسد في السياسة

الخارجية، فباركوا الفكرة إلى درجة العلن تقريباً وفي أكثر من مناسبة(2). وحاول الأسد إقناع التقدميين اللبنانيين بقيادة كمال جنبلاظ الدرزي، فلم يفلح، فانتهى باغتياله. وشدّ على أزر الطائفة العلوية الموجودة في طرابلس وشمال لبنان، لتكون سنداً له في المستقبل. أدّت هذه السياسة لازدياد الحزازات بين كافّة الطوائف وخاصة بين الدروز والعلويين بعد مقتل الزعيم الدرزي، كمال جنبلاط، وحافظ الأسد يوجّه بهم حسب سياسة مدروسة، واستطاع أن يكسب الكراهية من أهل السنة بعد مساهمة القوات السورية بمذابح مئات الفلسطينيين في تل الزعتر، ومقتل سليم اللوزي، الصحفي اللبناني، بشكل شنيع، وغيره. وسار على هذه السياسة عدة سنوات قبل أن تتفجّر المشاكل والتمرّد في قلب سوريا. كان ذاك من قِبل الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين.

(1) Cf. *Le Monde*, 16/03/ et 20/4/1976.

(2) أنظر باتريك سيل، *الأسد*، ص.452.

الحرب الأهلية في سوريا بين عام 1976 و 1982

التدخلّ السوري في لبنان في شهر نيسان/أبريل عام 1976، لصالح المارونيين، نزل كالصاعقة على الجماهير العربية وخاصة على السوريين، وكان هذا التدخّل بشكل خاص ضدّ المقاومة الفلسطينية التي كان نضالها من أجل تحرير فلسطين قد خيّب أمل أجيال وأجيال. لم يعد يُدرك المواطن السوري العادي أين هو وأين حكومته وأين أصبح هدف إعادة اللاجئين منذ عام 1948 مروراً بهزيمة 1967 وشبه هزيمة حرب تشرين بنتائجها السياسية كما رأينا في الصفحات السابقة...

أوّل صدى سياسي في الداخل كان انسحاب حزب الاتحاد الاشتراكي العربي (الناصريون) بقيادة جمال أتاسي، والحزب الشيوعي، بقيادة رياض الترك، من الجبهة الوطنية التقدمية، التي شكّلها حافظ الأسد، لتساهم بحكم البلاد، ولو شكلياً.

في نهاية ذلك العام، أي 1976، اجتمع في دمشق ممثلون لبعض التنظيمات الدينية الإسلامية لدراسة الوضع السياسي في البلاد، من سوريا ومن لبنان بعد عامين من الحرب وتدخل الجيش السوري لصالح المارونيين، ووزعوا بيان احتجاج نقتطف منه المقطع التالي الذي نشرته مجلّة *النذير*، الناطقة باسم الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين:" *لقد دخلوا إلى لبنان، باتفاق مع أسيادهم الأمريكان والصهاينة، بحجّة إعادة الأمن والاستقرار إلى ربوعه. ولكنّ أكاذيبهم لم تنطلِ على أبناء أُمتنا، فكل شعبنا يعلم أنهم دخلوا لذبح أهلنا من أبناء شعب فلسطين ولذبح مَن شدَّ على ساعدهم من أبناء شعب لبنان المسلم*".

وكما رأينا في الصفحات السابقة، أنّ حافظ الأسد يعتمد اعتماداً شبه كلّي على أبناء الطائفة العلوية النصيرية، إنما بدأت الأمور تأخذ شكلاً آخر، وهي اعتماده على أبناء عائلته بشكل خاص، في الجيش وفي القيادة القطرية لحزب البعث. على رأسهم بعد حافظ الأسد، رفعت الأسد، كعضو في القيادة القطرية وكقائد لسرايا الدفاع، وكان تحت إمرته 30000 ألف مقاتل. ثم على أخيه علي الأسد، عضو في مجلس الشعب، ثمّ أخيه جميل الأسد، رئيس جمعية المُرتضى، وكان يجمع تحت سيطرته مؤسسات من الشبيحة تحت إسم: فتيان علي وفتيان الجبل والفرسان الحمر وتجمّع الشباب العلوي بمدينة طرابلس في لبنان. ثمّ ابن عمّه عدنان الأسد كان على رأس تنظيم مسلّح، وابن أخيه رفعت (دريد الأسد)، يقود سرايا الصراع والتي كان تعدادها 10000 آلاف مقاتل. وقريبه علي أصلان كان يقود لواءً من الجيش، وحتى حماته، كانت عضواً في مجلس الشعب، وصهره نعيمه، كان رئيساً لنادي الصداقة السوري السوفييتي...(1)

بعد حوار دام عدة أيام بين طرفي الجماعات الإسلامية، انقسموا إلى اتجاهين، الاتجاه الأول أخذ بالآية القرآنية الكريمة: "*ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة* "

والجناح الثاني، أخذ بالآية الكريمة:" *وأعدّوا لهم ما استطتم من قوّة* "

هذا الجناح كان يضم أتباع المهندس الزراعي، مروان حديد، الذي كان من قادة التمرد في مدينة حماة عام 1964. وكان عدد تلاميذه في البداية يشكّلون فريقين لكرة القدم، أي 22 شخصاً. وتوفي مروان حديد في المستشفى بعد إضرابه عن الطعام ثم أنّه انتحر، كما ادعت السلطة، ولكن أحد المقربين إليه، نقل لنا بأنّ فكرة الانتحار هذه لا يمكن أن تخطر بباله، وهو قائل بيت من الشعر:

وقاتلهم ولو وحدكُ = وحرّض مؤمناً بعدكُ...

أتباع مروان حديد شكّلوا مجموعتين، الأولى وكان أكثرها من أبناء مدينة حماة، تحمل إسم كتائب محمّد، والمجموعة الثانية وأكثرها من أبناء حلب، وكانت تعمل تحت إسم حركة التحرير الإسلامية، وكذلك كتائب الحق(2).

بدأ تحرّك تلك المجموعات بالسلاح، وخلال ثلاث سنوات كانت السلطة في سوريا،

(1) Cf. E/ PICARD, *Y a-til un problème communetaire en Syrie* ?, in, *Maghreb-Machrec*, n°87, janvier-mars, 1980. وكذلك أعداد *مجلّة النذير* ما بين عامي 1979 و 1980.

(2) نقل لنا هذه المعلومات أحد تلاميذ مروان حديد، وكان من أصدقاء الدراسة في مدرسة أبي العلاء المعري وإعدادية الحسن بن الهيثم بحمص وكان من المقربين جداً لمروان حديد والشيخ حسن الحامد.

تتهم تارة النظام البعثي في العراق وتارة المقاومة الفلسطينية وتارة القوات اليمينية في لبنان.

هذه التنظيمات الثلاث، أعلنت انتماءها لجماعة الإخوان المسلمين تحت إسم الطليعة المقاتلة. وكانوا يهتفون ضدّ النظام في البداية في شوارع المدن الكبرى ما عدا دمشق. ثمّ تبعها مهاجمة مكاتب حزب البعث وشبيبة الثورة والاتحاد النسائي واتحاد الفلاحين، وكان أكثرها في مدن حلب وحماة واللاذقية. وبعدها أخذت الأحداث شكلاً مختلفاً بالاغتيالات لرجال مقربين من النظام، منهم الأستاذ الجامعي ورئيس جامعة

دمشق، محمد الفاضل، أحد مستشاري حافظ الأسد، في كانون الثاني/يناير 1977(1)، وعلي عابد العلي، أستاذ في جامعة حلب، في تشرين ثاني/نوفمبر1977، ثم إبراهيم نعيمة، قريب حافظ الأسد، ونقيب أطبّاء الأسنان في سوريا، والعقيد علي حيدر، قائد منطقة حماه في شهر كانون الأول/ديسمبر1976، واللواء عبد الحميد رزّوق في19 حزيران/ 1977، والعقيد علي سعدالدين، اليد اليمنى لرفعت الأسد في آذار/مارس 1981، ومحاولتين لقتل وزير الخارجية، عبد الحليم خدّام، مرّة في صيف عام 1976 بدمشق ومرّة في السفارة السورية بباريس، مطلع عام 1980.. ولم يكن يمر نهار أو ليل دون أن تحصل عملية اغتيال أو مظاهرة مسلّحة في أكثر المدن السورية. وظلّت الصحافة الرسمية تلتزم الصمت حول هذه الأحداث حتى شهر حزيران/يونيو 1979 بعد مذبحة مدرسة المدفعية في حلب، حيث بدأت الحرب فعلياً بين السلطة من جانب، وجماعة الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين (2) من جانبٍ آخر.

منذ تلك الفترة، النشرات المعادية للنظام غيّرت تعابيرها بمعنى تصدّيها لحزب البعث

(1) قبل أن تُعلن الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين مسؤوليتها عن قتله، كان الناس يظنون أنّ رفعت الأسد كان وراء مقتله.

(2) أنظر *مجلّة النذير*، الأعداد 1-45 ما بين عامي 1978-1982، وباللغة الفرنسية، صحيفة *اللوموند الدبلوماسية*، تشرين أوّل/ أكتوبر1979 ونيسان/أبريل1980، ودورية *مغرب مشرق*، رقم 87 و 91 عام 1980 و1982.

وللبعثين، بل راحت تتهم بلغة واضحة الطائفة النصيرية وليس الطائفة العلوية، الأسم الذي أُطلق عليهم في مطلع عهد الانتداب الفرنسي، فنقرأ مثلاً في أحد منشوراتهم عن *المعتقلين في سجون البعث النصيري*، ونقرأ في منشور آخر، تحت كاريكتور، القاضي بلباس عسكري يتوجه للمتهم الذي يرتجف، يسأله، *نحن ما عندنا مذنب أو غير مذنب، أنت مسلم أم نصيري*؟ وفي منشور آخر: *نداء إلى ضبّاط الطائفة النصيرية وعسكرييها...* وخرجت فتوى تقي الدين بن تيمية إلى السطح بعد أن أكل الدهر عليها وشرب، وراح الكثيرون من الناس يتداولونها، ولأهميتها سننشرها ونعلّق عليها على قدر

استطاعتنا مع التغاضي عن بعض جوانبها في الأمور التي لا تتلائم مع عصرنا..

نص فتوى ابن تيمية في النصيرية

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين وأعانهم على إظهارالحق المبين وإخماد شعب المبطلين : في"النصيرية " القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وقدم العالم وإنكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا وبأن " الصلوات الخمس عبارة عن خمسة أسماء وهي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة. فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزئهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات الخمسة وواجباتها. وبأن "الصيام" عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلا واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم ويضيق هذا الموضع عن إبرازهم؛ وبأن إلههم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو عندهم الإله في السماء والإمام في الأرض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم أن يؤنس خلقه وعبيده؛ ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه. وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيريا مؤمنا يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه. وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشايخه وأكابر أهل مذهبه، وعلى ألا ينصح مسلما ولا غيره إلا من كان من أهل دينه وعلى أن يعرف ربه وإمامه بظهوره في أنواره وأدواره فيعرف انتقال الاسم والمعنى في كل حين وزمان. فالاسم عندهم في أول الناس آدم والمعنى هو شيث والاسم يعقوب والمعنى هو يوسف(...) وقد قال قائلهم : هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا وحيدرة، ويعدون الأنبياء والمرسلين واحدا واحدا على هذا النمط إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: محمد هو الاسم وعلي هو المعنى ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان إلى وقتنا هذا..فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم أن عليا هو الرب وأن محمدا هو الحجاب وأن سلمان هو الباب وأنشد بعض أكابر رؤسائهم وفضلائهم لنفسه في شهور سنة سبعمائة فقال :

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولاطريق إليه إلاّ سلمان ذو القوة المتين

ويقولون إن ذلك على هذا الترتيب لم يزل ولا يزال وكذلك الخمسة الأيتام والاثنا عشر نقيبا وأسماؤهم مشهورة عندهم ومعلومة من كتبهم الخبيثة وأنهم لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور أبدا سرمدا على الدوام والاستمرار ويقولون: إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ويليه في رتبة الإبليسية أبو بكر رضي الله عنه، ثم عثمان - رضي الله عنهم أجمعين وشرفهم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال أنواع الضالين والمفسدين - فلا يزالون موجودين في كل وقت دائما حسبما ذكر من الترتيب. ولمذاهبهم الفاسدة شعب وتفاصيل ترجع إلى هذه الأصول المذكورة. وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام، وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ومن عامة الناس أيضا في هذا الزمان؛ لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الإفرنج المخذولين على البلاد الساحلية؛ فلما جاءت أيام الإسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم. والابتلاء بهم كثير جدا. فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم؟ وهل يحل أكل ذبائحهم والحالة هذه أم لا(..) وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا؟ وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين وتسليمها إليهم؟ أم يجب على ولي الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من رجال المسلمين الكفاة، وهل يأثم إذا أخّر طردهم؟ أم يجوز له التمهل مع أن في عزمه ذلك؟ وإذا استخدمهم وأقطعهم أو لم يقطعهم هل يجوز له صرف أموال بيت المال عليهم وإذا صرفها وتأخر لبعضهم بقية من معلومه المسمى؛ فأخره ولي الأمر عنه وصرفه على غيره من المسلمين أو المستحقين أو أرصده لذلك هل يجوز له فعل هذه الصور؟ أم يجب عليه؟ وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة وأموالهم حلال أم لا؟ وإذا جاهدهم ولي الأمر أيده الله تعالى بإخماد باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين وحذر أهل الإسلام من مناكحتهم وأكل

ذبائحهم وألزمهم بالصوم والصلاة ومنعهم من إظهار دينهم الباطل وهم الذين يلونه من الكفار: هل ذلك أفضل وأكثر أجرا من التصدي والترصد لقتال التتار في بلادهم وهدم بلاد سيس وديار الإفرنج على أهلها؟ أم هذا أفضل من كونه يجاهد النصيرية المذكورين مرابطا؟ ويكون أجر من رابط في الثغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكبر أجرا؟ وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم وإظهارالإسلام بينهم فلعل الله تعالى أن يهدي بعضهم إلى الإسلام وأن يجعل من ذريتهم وأولادهم مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم أم يجوز التغافل عنهم والإهمال؟ وما قدر المجتهد على ذلك والمجاهد فيه والمرابط له والملازم عليه؟ ولتبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى إنه على كل شيء قدير؛ وحسبناالله ونعم الوكيل .

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية: الحمد لله رب العالمين. هؤلاء القوم المسمّون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى؛ بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم. فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهّال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولا بملة من الملل السالفة بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها؛ يدّعون أنها علم الباطن؛ من جنس ما ذكره السائل ومن غير هذا الجنس(1). فإنه ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه؛ إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكر السائل ومن جنس قولهم: إن " الصلوات الخمس " معرفة أسرارهم و " الصيام المفروض " كتمان أسرارهم " وحج البيت العتيق " زيارة شيوخهم وأن (يدا أبي لهب هما أبو بكر وعمر) وأن (النبأ العظيم والإمام المبين هو علي بن أبي

طالب)؛ ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين. كما قتلوا مرة الحُجّاج وألقوهم في بئر زمزم وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم مدة(2). وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، وصنفوا كتبا كثيرة مما ذكره السائل وغيره وصنف علماء المسلمين كتبا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم؛ وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد الذي هم به أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام. وما ذكره السائل في وصفهم قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء في وصفهم. ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين؛ فهم مع النصارى على المسلمين. ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى؛ بل ومن أعظم المصائب ,عندانتصارالمسلمين

(1) برأينا أنّ ابن تيميّة اتطلع على *كتاب الأوسوس* الذي نشرناه في كتابنا: *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*، وكذلك على *كتاب الصراط* للمفضّل بن عمر الجعفي، والذي نشرناه ضمن كتابنا، *مبدأ الثنوية في المذهب العلوي النصيري*.
(2) هؤلاء هم القرامطة الإسماعيليون وليسوا بالنصيريين.

على التتار. ومن أعظم أعيادهم إذا استولى- والعياذ بالله تعالى- النصارى على ثغور المسلمين، فإن ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين " عثمان بن عفان " رضي الله عنه فتحها معاوية بن أبي سفيان إلى أثناء المائة الرابعة. فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل(1)، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره؛ فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك؛ ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين وأتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى وممن كان بها منهم وفتحوا أيضا أرض مصر(2)، فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية. ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك

المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم؛ فإن منجّم هولاكو الذي كان وزيرهم وهو "النصير الطوسي" كان وزيرا لهم بالألموت وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء(3). ولهم "ألقاب" معروفة عند المسلمين تارة يسمون "الملاحدة،" وتارة يسمون "القرامطة"، وتارة يسمون "الباطنية"، وتارة يسمون "الإسماعيلية"، وتارة يسمون "النصيرية"، وتارة يسمون "الخرمية"، وتارة يسمون "المحمرة"، وهذه الأسماء منها ما يعمّهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم، كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين ولبعضهم اسم يخصه: إما لنسب وإما لمذهب وإما لبلد وإما لغير ذلك. وشرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا بشيء من كتب الله المنزلة؛ لا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن. ولا يقرون بأن للعالم خالقا خلقه؛ ولا بأن له دينا أمر به ولا أن له دارا يجزي الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار. وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين أو الإلهيين وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور ويضمون إلى ذلك الرفض.

ويحتجون لذلك من كلام النبوات: إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أول ما خلق الله العقل، والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث؛ ولفظه إن الله لما خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل، فقال له: أدبر فأدبر.

(1) للحقيقة التاريخية، أنّ الخلاف بين ولات البلدان الإسلامية هو السبب الأول لانتصار الصليبيين في البداية، أنظر أسامة بن منقذ. وفي مراجع باللغة اللاتينية سبقت إبن تيمية، تقول أنّ النصيريين تصدّوا في البداية للصليبيين الذين هزموهم ثمّ هادنوهم. أنظر رينيه دوسو، *المرجع السابق، ص. 22-23.*

(2) هؤلاء هم الإسماعيليون وليسوا بالنصيريين، أي الخلفاء الفاطميون.

(3) أولئك أيضاً هم الأسماعيليون. ولكن إعطاء عنوان هذه الفتوى في النصيرية، كان يجب أن يكون: فتوى في المذاهب الباطنية.

فيحرفون لفظه فيقولون"{أول ما خلق الله العقل} ليوافقوا قول المتفلسفة أتباع أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل. وإما بلفظ ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب " رسائل إخوان الصفا" ونحوهم فإنهم من أئمتهم. (1).

وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين؛ وإن كانوا لا يوافقونهم على أصل كفرهم؛ فإن هؤلاء لهم في إظهار دعوتهم الملعونة التي يسمونها "الدعوة الهادية" درجات متعددة ويسمون النهاية "البلاغ الأكبر والناموس الأعظم"، ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى؛ والاستهزاء به وبمن يقر به حتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء ودعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين للرئاسة فمنهم من أحسن في طلبها ومنهم من أساء في طلبها حتى قتل. ويجعلون محمدا وموسى من القسم الأول ويجعلون المسيح من القسم الثاني.

وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش: ما يطول وصفه. ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضا. وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم وأما إذا كثروا فإنه يعرفهم عامة الناس فضلا عن خاصتهم.

وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم؛ ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح ذبائحهم (...).

وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم؛ فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة وهم شر من المخامر الذي يكون في العسكر؛ فإن المخامر قد يكون له غرض: إما مع أمير العسكر وإما مع العدو. وهؤلاء مع الملة ونبيها ودينها وملوكها، وعلمائها وعامتها وخاصتها، وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين وعلى إفساد الجند على ولي الأمر وإخراجهم عن طاعته.
والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يتركون في ثغر ولا في غير ثغر؛ فإن ضررهم في الثغر أشد وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ بل إذا كان ولي الأمر لا يستخدم من يغشه وإن كان مسلما، فكيف بمن يغش المسلمين كلهم. ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه بل أي وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك. وأما إذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليهم، فلهم إما المسمى

(1) هذا جزء من إحدى التيارات الإسماعيلية المتشعّبة، ويصعب إيرادها جميعاً في هذا المكان.

وإما أجرة المثل لأنهم عوقدوا على ذلك(...)
وإذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء؛ فمن قبل توبتهم إذا التزموا شريعة الإسلام أقر أموالهم عليهم. ومن لم يقبلها لم تنقل إلى ورثتهم من جنسهم؛ فإن مالهم يكون فيئا لبيت المال؛ لكن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون التوبة؛ لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم، وفيهم من يعرف وفيهم من قد لا يعرف. فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم فلا يتركون مجتمعين ولا يمكنون من حمل السلاح ولا أن يكونوا من المقاتلة ويلزمون شرائع الإسلام: من الصلوات الخمس وقراءة القرآن. ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام ويحال بينهم وبين معلمهم.
فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة وجاءوا إليه قال لهم الصديق: اختاروا إما الحرب المجلية وإما السلم المخزية. قالوا : يا خليفة رسول الله هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما السلم المخزية؟ قال: تدون قتلانا ولا ندي قتلاكم وتشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ونقسم ما أصبنا من أموالكم وتردون

ما أصبتم من أموالنا وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتتركون تتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة رسوله والمؤمنين أمرا بعد ردتكم. فوافقه الصحابة في ذلك؛ إلا في تضمين قتلى المسلمين فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: هؤلاء قتلوا في سبيل الله فأجورهم على الله. يعني هم شهداء فلا دية لهم فاتفقوا على قول عمر في ذلك. وهذا الذي اتفق الصحابة عليه هو مذهب أئمة العلماء والذي تنازعوا فيه تنازع فيه العلماء. فمذهب أكثرهم أن من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لا يضمن؛ كما اتفقوا عليه آخرا وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين. ومذهب الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى هو القول الأول. فهذا الذي فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودهم إلى الإسلام يفعل بمن أظهر الإسلام والتهمة ظاهرة فيه فيمنع أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدرع التي تلبسها المقاتلة ولا يترك في الجند من يكون يهوديا ولا نصرانيا. ويلزمون شرائع الإسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير أو شر ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسير إلى بلاد المسلمين التي ليس لهم فيها ظهور، فإما أن يهديه الله تعالى وإما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين. ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب؛ فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين والصديق وسائر الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب؛ فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه. وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين. (...) ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم؛ بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله. ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله؛ فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى؛ وقد قال الله تعالى لنبيه (ص) يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم(1). وهؤلاء لا يخرجون عن الكفار والمنافقين. والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فإن المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم؛ كما قال الله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس(2). قال أبو هريرة كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الإسلام. فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الإمكان فمن هداه الله سعد في الدنيا والآخرة ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره. ومعلوم أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو أفضل الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله تعالى(...). والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لسنا لنتدخّل في فتوى ابن تيمية، سوى في حدود توضيح الجانب التاريخي، فالافتراء على الفتوى كالافتراء على النار، كما يُقال. والظروف التي عاشها بن تيمية تختلف عن الظروف في الحرب ضدّ المرتدين، كما تختلف عن ظروف سوريا في الربع الأخير من القرن العشرين، وكما اعتمد هو القياس كما لاحظنا، فقد أعتمدت الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين أيضاً القياس...

وبالنتيجة، فبعد حادثة مدرسة المدفعية في حلب بتاريخ 16 حزيران/يونيو 1979، والتي كانت نتيجتها مقتل 83 طالب ضابط من العلويين النصيريين(3)، توالت حوادث الاغتيالات في مدن سوريا الشمالية، حلب وحماه وحمص واللاذقية وإدلب ومعرّة النعمان وجسر الشغور، ردّت السلطة على هذه الأحداث بتخصيص 25 ألف مقاتل تحت

(1) سورة التوبة، الآية 9.
(2)سورة آل عمران، الآية 11.

(3) أُشيع أنّ باقي طلاب الضباط من ذات المجموعة، من السنّة قد أُعدموا من قِبَل السلطة بعد أحداث المذبحة!

تصرّفهم 400 دبّابة ومصفّحة عسكرية، بعد أن أعدمت في الساحات العامة جميع المساجين من جماعة الإخوان المسلمين شنقاً، وكان أغلبهم من سكان مدينة حماة.

في بداية شهر آب/أغسطس 1980، اغتيل الشيخ العلوي النصيري يوسف صارم، بيد أحد العلويين النصيريين في اللاذقية. ولكن أمر اغتياله لم يتضح إلا متأخراً، فبدأت الاضطرابات في المدينة بين السنّة والعلويين النصيريين، وتدخّل 2000 من رجال رفعت الأسد بجانب العلويين النصيريين وأخمدو التمرّد على حساب عشرات القتلى.

ثمّ أخذت الأحداث تمس العاصمة دمشق، كان ذاك بعد توزيع منشور يدعو للمظاهرة ضدّ السلطة، بتاريخ 10 آب/أغسطس عام 1980، الموافق ليوم الجمعة 17 رمضان،

ويطلب من المصلّين الخروج بعد الصلاة باتجاه القصر الرئاسي لمطالبة حافظ الأسد بالتخلي عن السلطة. وتحضّرت قوات آل الأسد للتصدي لهذه الدعوة للتظاهر في كل مكان في المدينة، وأطال أئمّة المساجد الخطبة حتى قريب صلاة العصر، وحين شعروا بأنه قد تحصل مذبحة في المدينة، طلبوا من المصلين العودة إلى بيوتهم دون تظاهر.

شكّلت السلطة في خريف هذا العام لجنة لدراسة تتطور الأحداث في سوريا وبشكل خاص للنظر في الوضع الذي آلَ له حزب البعث مع المنتمين الجدد منذ سنة 1970، وكانت اللجنة مؤلّفة من 17 عضوا، بينهم 12 علوي نصيري وأربعة من السنة وعضو مسيحي. واجتمع بهم حافظ الأسد مرّتين. وخرجت تلك اللجنة بعرض النقاط التالية:

1- تسليح الحزبيين.
2- إقامة انتخابات جديدة في الحزب من القاعدة إلى القمّة.
3- التحقيق مع الحزبين الذين انتسبوا للبعث منذ سنة 1970، والتحقيق في ثرواتهم المالية، (من أين لك هذا)، وبشكل خاص القياديين منهم حتى يتم إبعاد كل الذين أثروا بشكل غير قانوني.
4- تقوية العلاقات مع الاتحاد السوفييتي.

رفض حافظ الأسد هذه النقاط، وخاصة فيما يتناول البعثيين الذين دخلوا في الحزب بعد حركته التصحيحية، بتاريخ 16 تشرين ثاني/نوفمبر 1970، واعتبر أنّ ذلك سيكون مثابة إدانة لحركته. وسلّح بالمقابل البعثيين العلويين وأعضاء اتحاد الفلاحين في محافظتي اللاذقية وطرطوس. وبدأت قوات حافظ الأسد تقحم كل من يقيم صلاة ويطلق لحية بدون تمييز بين جماعة الطليعة المقاتلة والصوفيين والمسيحيين والناس العاديين... فقد كان خياره هذا أكبر دليل على غبائه في تسيير الدولة، وأدى هذا الخيار إلى عواقب ومصائب حلّت بسوريا ولبنان والفلسطينيين والعراق لم تنتهي بعد، ويمكن أن نضعها تحت فكرة الهروب إلى الأمام، والهروب إلى الأمام لا بدّ وأن يرتطم إن عاجلاً أم آجلاً بجدار الزمان، وكأنه لويس الخامس عشر، ملك فرنسا والذي حكمها 52 عاماً وقال كلمته المشهورة: *ومن بعدي الطوفان*.

لقد رفض أن يتراجع عشر سنوات من حكمه توالت فيها الأخطاء في السياسة الخارجية أمام هنري كسينجر بنتائج حرب 1973 التي لم يحصل من خلالها سوى النتائج التي أسلفنا ذكرها، وكذلك كانت نتائج تدخله في لبنان الذي أصبح سوقاً لمساعديه الكبار ومقبرة لأكثر من ثمانية آلاف جندي سوري قتلوا بسبب طموحاته السياسية البذيئة. وفي الداخل ترك للمنتفعين من العلويين النصيريين وأذنابهم من المستعبدين من ضباط السنة كمصطفى طلاس الذي راح يوقع حكم الإعدام خبط عشواء بأرواح الأبرياء... وبالرغم من شعور الأكثرية أنّ جماعة الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين لا تمثّلهم، فلم يفرّق بين أحدٍ من الناس، لا هو ولا رفعت الأسد، أخوه الذي سيخونه، كما سنرى في الصفحات المقبلة. وبدأ الناس يشكّون في أنّ السلطة تتجه لإقامة دولة علوية للأسباب التالية:

1 - السلطة الفعلية في أيدي ضباط الجيش، حيث نجد على رأس سرايا الدفاع، الدولة ضمن الدولة، رفعت الأسد، أخوه من عشيرة الكلبية، وعلي حيدر عن عشيرة الحدّادين، يقود الوحدات الخاصّة، وعلي دوبا من عشيرة الخياطين، يقود الأمن العسكري.

2 – منطقة بلاد العلويين استفادت أكثر من جميع المناطق ما بين عامي 1971 و1975، فتم فيها بناء جامعة ومطار في اللاذقية، ومصفاة بترول وطريق أوتوستراد للسيارات ومعمل للإسمنت. والمنح الدراسية في الخارج كان أكثر المستفيدين منها أبناء الطائفة العلوية النصيرية، وباقي المنح كانت متوزّعة لأعضاء حزب البعث وليس حسب الكفاءات الدراسية، وكان باقي السوريين يعلمون جيداً أنّ أولئك الطلاب الموفودين كانوا يعملون إلى جانب دراساتهم، مخبرين على أبناء جلدتهم في الخارج بدلاً من أن يتحدوا معهم وأن يكونوا مخبرين على تحرّكات الصهاينة ونشاطاتهم في البلدان التي أوفدتهم السلطة إليها(1).

من جانب الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين، فقد أعلنوا حرباً على السلطة دون هوادة وحاولوا تخطي جميع القوى السياسية المعارضة من ناصريين وشيوعيين وحتى الإخوان المسلمين جناح الأستاذ عصام العطار، وذلك لإنشاء بنية شعبية في الداخل بجانبهم

وحدهم. ونشروا بياناً سياسياً موجهاً لباقي قوى المعارضة بعنوان: *عودوا إلى جحوركم*، قرأناه شخصياً وأشارت إليه صحيفة اللوموند ديبلوماتيك بتاريخ آذار/مارس 1983.

هذه المعارضة حاولت إيجاد أنصار لها في الجيش بين الضباط السنيين والنقابات بمختلف المهن، وإن كانت قد فشلت بضم الضباط، فقد نجحت بتحريك النقابات من أطباء ومعلمين ومحامين، والذين راحوا يطالبون برفع الأحكام العرفية المفروضة على البلاد منذ 8 آذار 1963. كما كانوا يطالبون بإعادة الحريات الديمقراطية للشعب ومحاكمة المساجين السياسيين أمام محاكم مدنية، وإيقاف المحاكم العسكرية، ولكن لم تصل بهم الحدة ليعلنوا طائفية الدولة والسلطة كما كانت تنادي الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين.

(1) Cf. *Le Monde Diplomatique*, n° octobre, 1979, p.7 et n° avril. 1980, PP.4-5. et N. VAN DAM, *op-cit*, pp.98-99.

وانظر أيضاً باللغة العربية أعداد مجلّة *النذير والغرباء والرائد* بين عامي 1979 و 1980.

هذه الطليعة المقاتلة، برأينا، وقعت في أخطاء استراتيجية كانت أشدّ وقعاً على البلاد مما كان يُتوقّع لها. سواء أكان خلال فترة تمرّدهم بالسلاح، أو في الفترة التي تلت ذلك، عليهم وعلى جماعة الإخوان المسلمين وحتى على الإسلام. وقد استفاد حافظ الأسد من هذه الأخطاء لتقوية موقعه إلى أقصى الحدود، ولكن على حساب الوحدة الوطنية، حيث أنّ الفاصل ما بين السنة والعلويين النصيريين ازداد اتساعاً.

هذه الأخطاء سنتوقّف عليها ضمن معلوماتنا التي أوردناها في أطروحتنا للحصول على درجة الدكتوراه عام 1983(1).

1- كثرة التناقض بين مطالب الطليعة المقاتلة، بشرحهم لأسباب الثورة أو التمرد على السلطة، فكانوا أحياناً يطالبون بإيقاف الأحكام العرفية، وأحيانا يدعون للحرب ضدّ

الطائفة العلوية النصيرية(2) وفي ذات الوقت كنّا نسألهم عن برنامجهم إذا ما وصلوا إلى السلطة، فكانوا يجيبون أنّ برنامجنا هو الإسلام(3) هذا ما دعى الكثيرين بالتردد للإلتحاق بهم وبشكل خاص في دمشق. وقد كنّا نشعر من خلال الحوار معهم أو قراءة مجلاتهم ومناشيرهم، بأننا نجد كتاب "*معالم في الطريق*" ، لسيد قطب، مع العلم بأننا إذا تعمّقنا في هذا الكتاب نجد أنفسنا أمام مذهب الخوارج وليس أهل السنة والجماعة.

(1) علمنا بأنّ السيد عدنان سعدالدين قد كتب مذكراته منذ سنوات قليلة وأورد فيها الأحداث من خلال وجهة نظره، فلسوف نحاول التعرض لرأيه، باعتمادنا على ما نُشر منها من الصفحات الالكترونية، حيث لم نستطع الحصول على كتابه المؤلف من عدة أجزاء. كذلك على ما أورده باتريك سيل في كتابه *الاسد*، ذلك أنّ الكتابين صدرا بعد حصولنا على درجة الدكتوراه بسنوات، وكنّا استعرضنا من خلال أطروحتنا تاريخ سورية حتى 1982.

(2) *" وأنتم يا أبناء الطائفة النصيرية- إنّكم تعلمون أنّ معركتنا ليست مع طائفتكم، وها هم أولاء أبناء الطوائف الأخرى يقفون معنا في الثورة على الظالمين، لكنّ معركتنا على أولئك المتسلّطين منكم على رقاب هذا الشعب، الواقفين في وجه ثورته، وهذه هي فرصتكم الأخيرة لإنقاذ أنفسكم وطائفتكم من هلاكٍ محقق، لأنّ ساعة الخلاص من الطغات والظالمين أضحت قريبة. فاحقنوا دماءكم وقفوا مع أبناء شعبكم ضدّ المتسلّطين. فإن فعلتم نجوتم بأنفسكم من غضبة الشعب، أمّا إذا ركبتم رؤوسكم، ووقفتم مع الطغات من أعداء الشعب.. فستعلمون أنّ معركتم مع شعبنا معركة خاسرة، وستندمون حين لا ينفع الندم*" هذا جزء من أحد المناشير التي وزّعتها الطليعة المقاتلة في سوريا خلال صيف 1979.

(3) أوّل برنامج عمل قدمته الطليعة المقاتلة كان عام 1981، أي بعد عامين من بدئهم بإعلان الثورة أو التمرد على السلطة.

كنّا نسمع دائماً: الحاكمية أو الحكم لله وحده، والديمقراطية، التي كنّا نسألهم عنها هي حاكمية البشر للبشر، وهي من الجاهلية، وكانوا يتهمون الآخرين بعبادة الزعماء والرووؤساء والشرك، وأنّ الوحدويين ديانتهم القومية العربية، والشيوعيين ديانتهم الماركسية...> دون النظر في **القول المأثور**: مَن كفّر مسلماً فقد لاذ بها أحدهما... ولربما لم يطّلعوا على خطبة الإمام علي(رض) في الرد على الخوارج: *لا حُكم إلاّ لله*، فأجابهم بإحدى خطبه: *"كلمة حقّ يُراد بها باطل! نعم إنّه لا حكم إلاّ لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلاّ لله، وإنّه لا بدّ للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ يعمل في إمرته المؤمن*

ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ فيها الله الأجل ويُجمَع به الفيْء، ويُقاتلُ به العدو، وتأمن به السُبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح به برٌّ ويُستراحُ من فاجرٍ" فأصبح كل مغايير لأفكارهم في موقع الكافر، مما نفـّر الكثيرين من الاتصال بهم والمساهمة معهم... ففتحوا لحافظ الأسد باباً لم تستطع جماهير الشعب إغلاقه حتى كتابة هذه السطور.

2- رفضت الطليعة المقاتلة التعاون مع القوى السياسة الأخرى، ولم تستجب للتعاون معهم سوى بعد مجزرة حماة، وأسسوا بالنتيجة جبهة تحرير سوريا بالتعاون مع بعث العراق والاتحاد الاشتراكي العربي، ولكنّ هذه الجبهة تأسست بعد فوات الأوان.

3- عدم التفاهم بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية لتلك الجماعة (2).

4- تحرك الطليعة المقاتلة عسكرياً لم يشمل العاصمة دمشق، بالرغم من شجاعة مقاتليها الذين كانوا لا يبالون بالموت. ولكن عدم التحرك في العاصمة التي تستند السلطة عليها كان من أهم أسباب انكسارها.

أمّا حافظ الأسد، فلم يحرك ساكناً نحو ديموقراطية النظام ولا حتى بتطبيق بنود ومواد الدستور الذي كان قد فرضه هو وحزبه على البلاد، وبالعكس وجّه كل قواته لسحق الشعب بلا رحمة، ليس فقط ضدّ الإخوان المسلمين بشكل خاص، ولكن ضد كل من

(1) *نهج البلاغة*، تحقيق صبحي الصالح، ص.82.

(2) أنظر صحيفة اللوموند الديبلوماسية، عدد آذار/مارس 1983. ص. 13.

ينبث بكلمة ضده. ويتابع سياسته المأساوية بالحكم بالإعدام على كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين، ويسلّح العلويين النصيريين في كل أنحاء البلاد(1)، وكان هناك تعبير متبادلٌ بينهم: أنت مع الأسد، إذاً أنت مع نفسك(2)، ويدعون الفتيان للتطوع في سرايا رفعت الأسد، وليس في سرايا الدفاع كما كان اسمها معروفاً بشكل رسمي، هذه السرايا التي كانت تحيط بمرتفعات دمشق وتوجه فوهات مدافعها على المدينة(3)، تلك القوات التي كانت تؤدي حساباتها فقط لقائدها رفعت الأسد(4).

وبعد أن اتهم حافظ الأسد الامبريالية الأمريكية بأنها وراء هذه الأحداث، كان يستقبل فيليب حبيب، مستشارَ الرئيس الأمريكي "رونالد ريغان"، لشوؤن الشرق الأوسط. وبالرغم من استخدامه كافة القوى العسكرية والمخابرات بكافة تنظيماتها، لم يستطع إيقاف اغتيالات المقرّبين منه، حتى أنّه نجا بأعجوبة، حين حاول أحد الضباط اغتياله بتاريخ 26 حزيران/يونيو 1980. ولكن بعد محاولة الاغتيال هذه قام رفعت الأسد بجريمة ضد الإنسانية في سجن تدمر. ذلك بأنّه أعطى أمراً بحفر خندق على مدخل السجن، وطائرات الهليكوبتر تحلّق فوق السجن، وأمر السجّانون السجناءَ بالخروج إلى ساحة السجن، وبدأت بوابل الرصاص بالرشاشات تتجه إلى أجسادهم، فحاولوا الخروج من الباب الرئيسي، فوجدو الحفرة في وجههم وراحت بوابل الرصاص تأتيهم من طائرات الهيلوكوبتر، وقتل مّن قتل وطُمرَ الأحياء مع الأموات، ثمّ أنّ قسماً منهم

(1) Cf. *Maghreb Machric*, n° 90, octobre-décembre, 1980.

(2) (2) برأيننا وكما كنّا نرى بأعيننا، أنّ أكثر العلويين النصيريين كانوا مسلّحين، فقد حصل معي شخصياً أنني حين كنت أمرّ في سنوات الستينات وبداية السبعينات في أحياء الخضر وعكرمة والنزهة، حيث كان أكثر سكانها بمدينة حمص من العلويين النصيريين، كنت أشاهد أبناء هذه الأحياء ينظفون الأسلحة الفردية من مسدسات وبنادق فترة بعد الظهر أمام بيوتهم وكذلك في بعض قراهم.

(3) Cf. M.SAURAT, *La Syrie d'aujourd'hui*, p. 94.

(4) Idem.

(5) Cf. *Libération*, 1er mars 1982, p.2.

تنبّه للخندق فعادوا إلى زنزاناتهم، وهناك تابع السجّانون رميهم بالرصاص، وكان عدد الضحايا ما بين 900 و1800 سجين(1) بعد هذه الجريمة فإنّ رفعت الأسد أعلن في إحدى كلماته، بعد أن استشهد بستالين، الزعيم السوفييتي الذي قضى على أكثر من ثلاثين مليون مواطن في بلاده، بأنّه على استعداد لإعلان مئة حرب وقتل مليون مواطن إذ اضطّرّته الظروف للقضاء على جماعة الإخوان المسلمين(2).

وهكذا تمّ إرسال الطيران لقصف أحياء في جسر الشغور وإدلب... وذاقت حمص ما ذاقته بين عامي 1980 و1981، حيث قتل من أبنائها بشكل خاص في سجن تدمر مواطنين لم يتمّ معرفتهم بالآلاف.. أوقفوا الكثير من النقابيين وسحلوهم في الشوارع، وقطّعوا أجساد بعضهم ورموها في بعض القرى العلوية(3)، ولاحقوا المعارضين بالاغتيالات في خارج البلاد، فقتلوا صلاح الدين البيطار في باريس والصحفي اللبناني سليم اللوزي، مدير تحرير مجلّة الحوادث في بيروت، بعد أنّ مثّلوا به فمزّقوا يده التي يكتب بها، وحاولوا قتل الأمين العام لجماعة الإخوان المسلمين عصام العطّار، ولكنّهم لم يجدوه في بيته، فقتلوا زوجته، إبنة المفكر الكبير علي الطنطاوي، وقتلوا ظافر الأتاسي في باريس بمنزله المتواضع فوق السطوح، كما قتلوا معارضين في إسبانيا والإمارات العربية المتحدة، وحاولوا اغتيال بعض ناشطي الإخوان في الأردن(4).

في الداخل أيضاً اتخذت المخابرات بكافة تنظيماتها أساليب للقبض على أنصار الطليعة المقاتلة، وذلك باحتجاز أفراد من عائلاتهم كرهينة حتى يُسلّموا أنفسهم، ضدّ كل مبدأ إنساني(5) والمعاكس للآية القرآنية: *ولا تزر وازرة وزر أخرى*...

(1) Cf. Le Monde, 6-7 juillet, 1980.

(2) Loc-cit, 24 juillet, 1980, p.4.

(3) فعلوا ذلك بنقيب أطبّاء الأسنان في مدينة حماه، خضر الشيشكلي، عن عمر يناهز الثمانين عاماً، وكذلك ابنه.

(4) أنظر أعداد مجلة النذير، رقم 41-43 كانون أوّل/ديسمبر1981 وشباط/ فبراير1982. وكذلك مجلّة Nouvel Observatoir, 26 juillet 1980. p.27.

(5) Voir les differents rapports d'Aminsty International, entre 1979-83.

وخلال عام 1981، تمّ اتفاق ضمني بين السلطات السعودية والسلطات السورية، لتسليم المعارض السعودي، ناصر السعيد، الذي كان ملتجئاً في بيروت، على أن يساعدوهم بإيقاف حركة الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين، فكشفوا لهم عن عنوان سبعة عشر وكرٍ للأسلحة في سوريا وجدوا من بينها ثلاثة عشر في مدينة حلب وحدها. مما أدّى إلى التباعد ما بين القيادة السياسية والقيادة المقاتلة لجماعة الإخوان

المسلمين منذ صيف 1981. ومنذ الخريف بدأ مقاتلوا الطليعة المقاتلة يتوجّهون بعملياتهم في العاصمة، دمشق، وقاموا بعدة عمليات انتحارية فجّروا خلالها مراكز للمخابرات، مما أدّى إلى مئات القتلى من الطرفين(1).

في نهاية شهر كانون أوّل/ديسمبر عام 1981، بدأ الجيش بحصار مدينة حماة(2). هذه القوات كانت مؤلّفة من سرايا الدفاع، رجال رفعت الأسد، ومن الوحدات الخاصة، رجال محمّد علي حيدر، واللواء 47 من قوات الجيش العامة. وبدأوا الهجوم على المدينة، وظنّ سكّان حماة أنّ كل المدن السورية قائمة بذات الوقت ضدّ السلطة، معتمدين على بيان أطلقته إذاعة بغداد، ولم يكن من الأمر شيئاً.

حينذاك أطلقت القيادة العسكرية للإخوان المسلمين طلب النجدة من كافّة فرقها المقاتلة للدخول في المعركة ضدّ النظام في المدن الأخرى، وإن لم يحصل ذلك فكل ما هو إسلام وإخوان مسلمين سينتهي عن بكرة أبيه في سوريا(3).

في مطلع عام 1982 دخلت الطليعة المقاتلة في حرب انتحارية ضدّ السطة. وكان هناك سببٌ لم تنشره الصحافة والمناشير السياسية لهذه المعركة، وكان السبب اقتصاديا

(1) Cf. *Le Monde*, 1er décembre, 1981, p.6, et le n° 43 d'*an-Nazir*, du 9 fevrier, 1982, pp.2-5.

(2) Cf. *Magrheb-Machric*, n° 95, janvier-mars, 1982, p.104.

Cf. Ch.KUTSCHERA, *L'opposition démocratique et la difficile intégration du mouvement islamique*, in *Le Monde Diplomatique*, mars 1983, p.13 et George CORM, Le *Proche-Orient éclaté*, p. 181.

بحتا. فمنذ تولّي حافظ الأسد بدأ ثقل الاقتصاد يأخذ اتجاه دمشق- بيروت، ومع استياء الأحوال السياسية مع العراق، فقد خسرت مدينة حلب ومنطقتها علاقاتها التجارية مع العراق، والتي كانت تمتد لفجر التاريخ، وأدّى ذلك لتراجع التجارة الداخلية في مدن شمال وسط وشمال سوريا بشكل عام كجسر الشغور وإدلب... ومع إغلاق الحدود بين سوريا والعراق ازداد الأمر سوءاً، بينما ازدهرت الحياة التجارية في دمشق،

وهذا من أهمّ الأسباب الذي دعى مدينة دمشق للوقوف على الحياد، إن لم نقل أنهم أخذوا جانب السلطة. ولهذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه: من أين كان تمويل المقاتلين بالسلاح والعتاد؟ نقترح أنّ العراق ساهم بذلك، ولكن أكثر التمويل برأينا كان يأتي من السوريين الأغنياء المستائين من النظام من شمال وسط سوريا.

حين بدأت عائلة الأسد بتدمير مدينة حماة، ولم تستجب قوات الطليعة المقاتلة في المدن الأخرى لنجدة المدينة، عّلل عدنان عقلة، أحد قادة الطليعة المقاتلة ذلك بسبب قاتل وهو: أنّهم لم يهبّوا لنجدة المدينة كي لا تدّعي قيادة الإخوان المسلمين السياسية المقيمة في الخارج، بأنّ هذه المعارك تُسجّل باسمها(1).

منذ بدء تدمير حماة، في 3 شباط/فبراير 1982، أصبح من المستحيل الدخول أو الخروج من المدينة. مرتزقة رفعت الأسد كانوا في الصف الأوّل من المعركة(2)،

فأثناء احتلالهم للمدينة اتبعوا أسلوباً وحشياً لم يسبق له مثيل إلا ربما منذ زحف المغول على بلاد الشام. وكان قتل الأولاد والرجال يتم أمام أعين الأمهات بدون شفقة. 120 شخصاً من آل الكيلاني، العائلة الحموية العريقة، قُتلوا معاً... مجموعة كبيرة من السكان فرّوا إلى القرى المجاورة، بعض تلك القرى التي يسكنها العلويون النصيريون في غرب حماة، قضوا عليهم بدون رحمة أو شفقة، قسمٌ من اللواء 47 حاول التمرد

(1) Cf. *Le Monde Diplomatique*, Mars 1983, p.13.

(2) حين نتجرأ بكلمة مرتزقة رفعت الأسد، نعني بذلك الأسئلة التي طرحها الكاتب السوري، ممدوح عدوان على رئيس الوزراء، محمود الأيوبي، بلقائه مع الأدباء السوريين للسعي لحل المشكلة السياسية في سوريا، عام 1980.

على الأوامر، ولكن ذلك لم ينفع في إيقاف المذبحة، فقد وضع رفعت أسد تحت إمرة رجاله كل أنواع الأسلحة، المدفعية والدبابات وطائرات الهيلوكبتر، وبلغ عدد الضحايا حسب تقارير السلطة ما بين 10000 و11700 قتيل، بينما كانت تقارير المعارضة تصل من 30000 إلى 32000 ضحية.

كنّا نودّ أن لا نصدق ما حصل في تلك المذبحة والجريمة التاريخية التي نفّذها حافظ ورفعت الأسد في حماة، وقبل كلّ شيء استباحة أرواح الناس، لا فرق بين طفل وامرأة وشاب وشيخ، دفن بضع مئات أو آلاف الجرحى أحياء في مقابر جماعية... إخوان مسلمين أو إخوان شياطين وسعادين ووو، وحتى البعثيين... استخدموا مادة المازوت لحرق الناس جماعات جماعات أمام أعين أهاليهم، أحرقوهم في حوانيتهم أحياء، زجّوهم في أفران معمل البورصلان، اغتصاب النساء والبنات أمام أعين أهاليهن، ومن ثمّ بعد قتلهن تمتدّ أيديهم القاتلة وبكل وقاحة لجمع الخواتم والعقود والأساور الذهبية من أيديهن وأعناقهن... تبعوا الأطفال والنساء الذين التجأوا إلى عيادات الأطباء، ضربوهم بأعناق البنادق ثم تلوها برشاشات الرصاص في أكثر من عيادة، نذكر منها عيادة أحد الأطباء بالقرب من قبو آل طيفور... الملعب البلدي شهد مجزرة تعدت الألف بريء وبريئة، سوق الشجرة ذو الأزقة الضيقة، دخله مرتزقة رفعت وجمعوا جميع سكان الحي بعد أن أعطوهم الأمان، فدخلوا بيوتهم بحجة البحث عن السلاح ولم يجدوا شيئاً، وسرقوا كل ما وجدوه مما خفّ وزنه وارتفع ثمنه، وأمام النساء والأطفال قتلوا جميع الرجال. وظلّت الجثث أمام أعينهم عشرة أيام. تمرّد بعض الجنود، وحصل إطلاق نار بينهم، لكنّ رجال رفعت وقفوا لهم بالمرصاد فقتلوهم عن بكرة أبيهم. مجزرة في حي الوادي الفقير، وأخرى في المحطة و حي الباشورة وسوق المرابط، وسوق الصاغة الذي أبى رجال محمد علي حيدر إلاّ أن يتقاسموا شرف سرقته مع رجال رفعت، أليسوا من خريجي مدرسة حافظ الأسد مثلهم!؟

الضحايا، منهم 1000 موظف من مديرية التربية، 200 من مديرية الأوقاف، 105 من البلدية، 88 من معمل الحديد، 86 من معمل الغزل، 66 من مؤسسة الكهرباء، 59 من معمل الإطارات، 50 من مديرية الإصلاح الزراعي، 48 من معمل الإسمنت، 42 من معمل البورسلان، 30 من مديرية الأشغال العامة... وفي كلّ حيّ من الأحياء ما بين 200 و500، وتصدّرتهم أحياء الكيلانية والمحطة والحوارنة..(1). رائحة المدينة كافية

وحدها للتعبير عن المجزرة التي حلّت بتلك المدينة، فالقلم يعجزعن ذلك حتى ولو كان قلم عمر أبي ريشة الذي قال في حافظ الأسد بعد تلك المذبخة:

نشر الخسيسُ من السلاح أمامهُ = واختار منه أخسـّه وتقلّدا...

ما كان هولاكوا ولا أمثاله = بأشدِّ أفئدةٍ وأقسى أكبُدا

هذي حماةَ عروسة الوادي على = طرفِ الحداد تردّ طرفاً أرمدا

هذا صلاح الدين يُخفي جرحهُ = عنها ويسألُ كيف جرح أبي الفدا؟

إعادة الوحدة الوطنية في البلاد، بعد مذبحة مدينة حماة أصبح ضرباً من ضروب المستحيلات. فسوريا لم تعرف أمراً مشابهاً منذ غزو المغول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وقد وصل الأمر بكثير من الناس البسطاء أنّ يتقبّلوا حتى التدخل الإسرائيلي، مع الأسف، لتخليصهم من آل الأسد. وقد وصلتنا أخبار من اللاجئين السوريين واللبنانيين، عسكريين ومدنيين، بأنّ السلطة في دمشق، أعطت الأوامر للواء 47 الذي رفض قسم منه الانصياع للمساهمة في مذبحة حماة، أن يعبروا في منتصف النهار إلى لبنان خلال العدوان الإسرائيلي صيف عام 1982، بالقرب من قرية ربلة، فأفناهم الطيران الإسرائيلي عن بِكرة أبيهم، وادّعت السلطة حينذاك، أنّه مجرّد حافلة كانت تنقل مدنيين، أصابتهم قذيفة من الطيران الإسرائيلي...(2).

(1) أنظر باللغة العربية، *مجزرة حماة*، من منشورات التحالف الوطني لتحرير سوريا، شباط/فبراير 1983. 120 صفحة، مجلّة *الحوار الديموقراطي*، عدد نيسان/ أبريل، 1982، الصفحات 12-18 ومجلّة *النذير*، عدد 45، 15 آذار مارس 1982, وباللغة الفرنسية:

Libération, du 1er au 5 Mars 1982, *Le Monde*, entre 12 et 24 février, 1982, *Maghrib-*

Cf. *Le Monde*, 2*Machrec*, n° 96, juillet 1982, pp.105-06. et George CORM, *op-cit*, p.181.

du 25 au 27 juin, 1982

قلّةٌ قليلة من أبناء الطائفة العلوية النصيرية شجبت سياسة آل الأسد في البلاد، لم يصلنا من شجبهم هذا سوى البيان التالي:*" نحن- جماعة النصوحيين(فرقة من أبناء*

الطائفة العلوية) في قريتي خان العسل وكفَر داعل، بمحافظة حلب في سوريا... نعلن شجبنا لممارسات النظام التي لا تمتّ إلى الدين ولا العروبة ولا الأخلاق بصلة. ونعلن شجبنا هذا أمام الله والشعب والتاريخ، لا سيّما أنّ انتماء الأخوين الأسد إلى طائفتنا قد سبب لنا الكثير من الويلات والعداوات بيننا وبين جيراننا وإخوتنا في القريتين والقرى المجاورة.

وجهاء وشيوخ الطائفة النصوحية في قريتي كفر داعل وخان العسل: أحمد رجّال زعرور، علي أبو صالح العلي، حسن قوجة، أحمد ديبو عرعور، رجب عرعور، عبد الحميد مطر (حلب – سوريا)"(1).

مواقف دول الجامعة العربية، وكأنّ شيئاً لم يكن، ما عدا العراق والأردن. أمّا العراق فكما هو معروف عداؤه للنظام السوري كان حزبياً، وما بين حافظ الأسد وصدآم حسين كان العداءُ شخصياً.. أمّا الأردن فكان أهم أسبابه محاولة زعزعة الدولة الأردنية بواسطة المخابرات التي أُرسلت لإشعال الفتنة في المملكة... الدول الكبرى لم تنبث بكلمة انتقاد واحدة، تحت مفهوم واحد وهو خوفهم من التيار الإسلامي بعد الذي حصل قبل سنوات في إيران. ومرّت المذابح التي ذاقها الشعب السوري دون أيّ اهتمام.

لم تتوقف جرائم حافظ الأسد بعد مذبحة حماة، وتابع جرائمه في السجون، مصطفى خليفة، إسم مستعار لمواطن **مسيحي** وكتابه *"القوقعة"* الذي صدر عام 2008 اتهمته السلطة بانتمائه لجماعة الإخوان المسلمين وسُجِن 14 عاما، وكتاب *"الرحلة إلى المجهول"* الذي نشره الصديق إرام قرابيط الذي أمضى ثلاثة عشر عاماً في سجون حافظ الأسد يجعلنا نكاد لا نصدّق لولا ما نراه الآن من سياسة نجل حافظ الأسد، طبيب العيون، بشار الأسد. شاهدان على تاريخ سجون آل الأسد ومساجينهم من سن العاشرة حتى الثمانين عاماً، خسئت سجون النازيين وأمثالهم أمام سجون آل الأسد.

(1) *النذير*، عدد 28. 6 كانون الثاني/ يناير 1981.

في داخل سوريا، بعد مذبحة حماة عمّ الهدوء في الداخل، وفتحت إسرائيل عليه باب اجتياحها للبنان، وما خلا إرسال اللواء 47 في وضح النهار، الذي حطمته القوات الصهيونية، فإنّ حافظ الأسد، ضابط الطيران السابق، أرسل ما يُقارب من 92 طائرة لمحاربة أحدث طيران تقني في العالم، سقط من الطيران السوري 88 طائرة، ترك الجيش السوري محاصراً في بيروت، وأخرجته إسرائيل صفر اليدين، وكان هدفها قبل كل شيء إخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان، فوصلت إلى مأربها باحتلال جنوب لبنان حتى بيروت، ولكن حين عاد ياسر عرفات مع بعض رجال المقاومة إلى طرابلس لبنان، حيث تعجز إسرائيل عن إخراجهم تولّى حافظ الأسد ذلك بقتل المئات من المدنيين، وستظل كلمة وزير خارجيته، عبد الحليم خدّام تجلجل في آذان الناس، حين كان جيش حافظ الأسد يقصفها بالمدافع، قال وزيره خدّام: *طرابلس ليست أغلى من حماة*.

في ختام هذه الفترة العصيبة من تاريخ سوريا، السؤال الأهم الذي كان مطروحاً هو: إلى أين تمضي سوريا؟

عدة احتمالات كانت مطروحة ولا يزال بعضها قائماً حتى كتابة هذه السطور. منها مخطط أمريكي لتقسيم دول المنطقة إلى دويلات على أسس طائفية مبنية على الحدود الوهمية لهذه الدول منذ اتفاقية سايكس- بيكو، ونهاية الدولة العثمانية، وبسبب ضعف الشعور الوطني السوري مقابل الشعور الوطني العربي أو الإسلامي(1).

الطرح الثاني هو طرح الدولة الصهيونية، والذي يكمّل الطرح الأمريكي، وينحو باتجاه بلقنة الشرق الأوسط، أي بتفريقه إلى دويلات كدويلات البلقان قبل الرئيس تيتو وبعد الرئيس تيتو. وهذا المخطط يهدف لبناء دويلات في الشرق العربي بالشكل التالي: العراق وتقسيمه إلى ثلاث دويلات: دويلة كردية في الشمال ودويلة عربية سنّية في الوسط ودويلة عربية شيعية في الجنوب... الأردن بدويلة فلسطينية ودويلة أردنية، تستمران بصراع حرب أهلية بينهما. الدولة الثالثة هي لبنان، دويلة مارونية

Cf. E.BICARD, La Syrie d'aujourd'hui, p.180(1)

في المنطقة التي كان يسيطر عليها حزب الكتائب وباقي الأحزاب المارونية من أتباع كميل شمعون وآل فرنجية، دويلة شيعية في الجنوب، أمّا طرابلس تُضمّ مع منطقة عكّار إلى الدولة العلوية. والدولة الثالثة سوريا لتنقسم إلى دويلة جبل الدروز ويُضم إليها منطقة جبل الشوف في لبنان والجولان وجبل الدروز، على الحدود مع الدولة الصهيونية، ثمّ دويلة في دمشق ودويلة عاصمتها حلب، على أن تُشعل حرب مستمرّة بينهما، ودويلة العلويين في منطقة جبال العلويين على أن يُضمّ إليها شمال لبنان، عاصمتها اللاذقية(1). برنارد لويس، رئيس تحرير الموسوعة الإسلامية باللغة الإنكليزية، من أكبر الصهاينة الحاقدين على العرب، كان وراء هذا المخطط الذي لم يتحقق بكامله حتى الآن، ولكن الفكرة لم تعد تُخفى على كلّ متطلع، كما رأينا في العراق، ونخشى رؤية باقي المخطط يتحقق في سوريا ولبنان والأردن.

برأينا، أنّ السلطة في سوريا لم يكن لها يد في تلك المخططات، لسببين وهما أولاً أنّ العلويين النصيريين انتشروا في العديد من المدن السورية وبكثرة، وخاصة في مدينتي حمص ودمشق. والسبب الثاني أنّ فئة البرجوازيين الجدد وأكثرهم من الطبقة الحاكمة كانت تستثمر في جميع أنحاء البلاد حيث الربح السريع وخاصة في المدن الكبرى.

كان هناك أيضاً إمكانية لقيام دولة شيعية كبرى، لو أن العراق كان سيخسر الحرب ضدّ إيران، تضمّ اتحاداً أو محوراً بين سوريا وإيران والعراق، ولكنّ مخططات الدول الكبرى في الغرب كانت تسير نحو اتجاه آخر مرسوم، ولسنا لنستعرض للقارئ كيف تمّت تلك المؤامرة ببساطة، وهي تغلّب العلم على الجهل والتخطيط الغربي على العشوائية المعاصرة في الدويلات العربية، والأنظمة الديموقراطية على الأنظمة الديكتاتورية، إن لم نقل على الطغات الذين لا يزالون يُتقنون قهر شعوبهم فقط.

(1) Cf. O. YINON, *Stratégie pour Israël dans les années 1980*.art.reproduit par *la revue d'études palestiniennes ;* n° 20 Juillet- septembre 1982. G.CORM, *op-cit*, pp. 184-86. *La*

balkanisation du Proche-Orient, in Le Monde Diplomatique, n° janvier 1983, pp.2-3 et enfin *Al-watan al'arabi*, du 29 avril au 5 mai, 1983, pp.30-32.

الصراع على السلطة بين حافظ الأسد ورفعت الأسد.

أصبح قوام قوات رفعت الأسد في سوريا 55 ألف مقاتل في سرايا الدفاع، لهم معاملتهم الخاصة كمرتزقة وطنيين، وبدأت أحلام رفعت تتصاعد، وأصبح يعتبر نفسه الحامي الحقيقي لسلطة أخيه، وتلك الآمال والأحلام لم تبدأ مع رفعت، فكم من ملوك وسلاطين قتلوا أو قاتلوا إخوتهم من أجل السلطة! ولما يشذّ رفعت عن هؤلاء؟ ألم يقل كسرى أنو شروان في ابن العم أنّه: *عدوّك وعدوّ عدوّك*؟ كم من سلاطين بني عثمان قتلوا إخوتهم أو نفوهم من أجل سلامة السلطة المركزية. ورفعت الذي ساهم بالقضاء على أمين الحافظ ومحمّد عمران وعبد الكريم الجندي ومجموعة صلاح جديد وأخيراً مذبحة حماة. ولكنه لم يحارب دولة إسرائيل التي تحتل الجولان السوري!

لقد أصبح موقع رفعت حرجاً أمام أخيه حافظ، الذي بدأ ولا بد بالتحضير لابنه باسل الأسد ليتسلم الأمور مكان عمه، ومن بعدها مكان أبيه على رأس السلطة. ولا بدّ أنّ رفعت بدأ يشم الرائحة، وكل ذلك على حساب الوطن والمواطن. فأموال عائلة الأسد راحت تتخطى المليارات من الدولارات على حساب سوريا ولبنان أيضاً.

وعندما مرض حافظ الأسد في شهر تشرين ثاني/نوفمبر عام 1983، تجمّع كبار الضبّاط والقيادة الحزبية خلف رفعت، وسانده أيضاً أخوه جميل الأسد، الذي جعل من جمعية المرتضى حزباً سياسياً ودينياً في منطقة اللاذقية في وجه حزب البعث. ولكن بعد أن تماثل حافظ للشفاء تلاشى تأييد الضباط البواسل والحزبيين العقائديين بسرعة، إنما بشكل سري، حيث كانوا يخشون انقلاب الموازنة لصالح العريف رفعت، وحيث أنّ أربعة ألوية من الجيش، منها ثلاثة مدرّعة، كانت تحيط بدمشق وعلى بعد بضعة كيلومترات من العاصمة تأتمر بأمره.

في دولة اتخذت الجمهورية نظاماً لها، وتدّعي التقدمية بحزبها الحاكم، راح جميل الأسد يشفع لرفعت الأسد لدى حافظ الأسد، ويكون جواب حافظ الأسد لهذه الشفاعة هو التالي: *أنا أخوكم الأكبر الذي أنتم مدينون له بالطاعة، لا تنسوا أنني أنا صنعتكم جميعاً* "(1). ثم يرسل حافظ الأسد طائرة خاصة لتأتي بوالدته، زوجة الخائن سليمان الأسد، لتهدئة طموحات ابنها الصغير، رفعت، وينصاع لأوامر أخيه الكبير الذي صنعهم جميعاً على حدّ قوله، ولكن على حساب سوريا وشعبها وحزبه... هو ورفعت وفواز ومضر وآل زوجته من آل المخلوف، ولكن في ذلك الحين كان مستقبل ابنه باسل بالنسبة له فوق الجميع.

وفي السابع والعشرين من شباط/فبراير 1984، كان خطّ المواجهة في العاصمة، بدلاً من أن يكون في الجولان، بين رجال رفعت بقبعاتهم الملونة بلون القِرفة، ورجال حافظ الأسد بقبّعاتهم الحمراء، بقيادة علي حيدر، وكانت دمشق على شفير الهاوية.

وظلّت تلك الحالة، والناس تعيش على أعصابها، حتى يوم 11 آذار/مارس 1984، حيث أصدر حافظ الأسد مرسوماً جمهورياً بتعيين ثلاثة نوّاب لرئيس الجمهورية، الأوّل عبد الحليم خدّام، والثاني رفعت الأسد والثالث زهير مشارقة. وكان هدف حافظ الأسد من تعيين أخيه في هذا المنصب هو تكسير مقامه العسكري وهو أعلم الناس بأنّ الجيش هو القوة التي ترفع وتضع. وتمّ نقل عدد من أنصاره من الضباط إلى وحدات أُخرى وإعدام بعضهم. وبدأ رفعت يشعر بأنّ دوره اقترب من النهاية، فأمر سرايا الدفاع بالتحرك مع دبّابتها ت 72 بالتوجه لعدة اتجاهات في جبهة العاصمة، كفر سوسة حيث المخابرات العسكرية على طريق المطار وحول فندق الشيراتون والحدائق الكائنة حول القصر الجمهوري الجديد وفندق المرديان وما حوله من القيادة القطرية إلخ. أمّا قوّات العدو فكانت مواجهة لهم بقيادة الضبّاط الأحرار، شفيق الفياض وعلي حيدر(2). تدخّل السوفييت لصالح حافظ الأسد ضد رفعت، وراح هذا الأخير يجمع من حوله مرتزقته من المثقفين من أتباع جمعيته، رابطة خريجي الدراسات العليا، ألم يكن يحمل هو شهادة دكتوراة من جامعة موسكو، التي كتبها بالنيابة عنه، أحمد

داود(3) وحين أصبحت دمشق مقسومة بين قوّات الأخوين الغازيين، ولا يمكن تشبيههما

(1) باتريك ستيل، *الأسد*، ص. 699.

(2) ذات المصدر، ص. 701.

(3) ذات المصدر، ص. 705.

بالفاتحين، لبس حافظ الأسد لباسه العسكري واتجه بسيارة مع وريثه للمستقبل، باسل الأسد، يخترق شوارع دمشق الموحشة الفارغة حيث مواقع أخيه المحصنة في حيّ المزّة ومقر قيادة سرايا دفاع رفعت، وأمر الضابط المسؤول بالعودة إلى ثكناته مع قوات الجيش، والتقى الأخوان بمنزل رفعت حيث كانت الأم ناعسة أيضاً، وتعهد له بأنّ أرصدته المالية سوف تُحترم، فأفرغ البنك المركزي، وأخرج أرصدته، ولكن معمّر القذافي عوضه ذلك على حساب الشعب الليبي، كما عوّض حافظ الأسد أخاه على حساب الشعب السوري(1)، ثمّ نفاه إلى الاتحاد السوفيتي وانتهت قضيته بعد أخذ وردٍّ على حساب الوطن والشعب. ليبدأ دور باسل الأسد كوريث لأبيه على عرش سورية، الجمهورية الملكية. ولم يكن وحده بين الحكام العرب الذي انتهج هذا السبيل، فصدام حسين ومعمّر القذافي وعبدالله الصالح وحسني مبارك وزوجة زين العابدين بن علي ساروا على ذات النهج، إلاّ أنّ ثورات الشعوب أو تدخل الولايات المتحدة أوقفت هذا المدّ الجمهوري الوراثي، ولم ينجح سوى حافظ الأسد مع ابنه بشار بعد وفاة باسل الشهيد في حادثة سيارة كان يقودها بسرعة هائلة على طريق مطار دمشق.

أمّا عن رفعت الذي انتهى في المنفى بين موسكو ثم جنيف ثمّ باريس فإسبانيا فإنكلترا، كان خير تصوير له ما قاله نزار قبّاني عنه في قصيدته: *في قريتنا ديكٌ ساديٌّ سفّاح*.

وما كتب عن حافظ الأسد وأمثاله: *السيرة الذاتية لسفّاح عربي*.

(1) المصدر السابق، صفحات، 703-707.

حافظ الأسد من مصائب إلى أخرى

لسنا لنبرر في هذه السطور سياسة صدّام حسين في العراق على المستوى الداخلي أو الخارجي، ولكن رأينا في إعلان الحرب على إيران كان خطأً استراتيجياً قاتلاً... فلو أنّ قادة البعث في سوريا أو العراق قرأوا سيرة معاوية بن أبي سفيان وفهموها وعملوا بها، لكانوا جنّبوا الشعب العربي الكثير من الويلات، لقد أوصى معاوية ابنه يزيد قائلاً: *لو طلب منك أهل العراق أن تغيّر الوالي مرة كل يوم فافعل، فهذا خير لك من أن تجرّد عليهم مئة ألف سيف*... وليت يزيد عمل بنصيحة أبيه قبل أن يقوم بتلك المذبحة المشؤومة، مقتل الحسين(رض) في كربلاء، التي لم تنتهي أثارها إلى اليوم...

وليتهم عملوا بنصيحة ملك فرنسا، لويس الرابع عشر لحفيده لويس الخامس عشر أن يتجنّب قدر استطاعته الحروب... ولكن صدّام حسين فعل العكس، كحافظ الأسد، وتشدّق كل منهما بحماية العروبة، مع ترك أبناء العراق وسوريا تحت نير الذلّ والاستعباد. وذاقت عروبة البيان من سياستيهما أمرّ ما ذاقت على مدى التاريخ ما بين الكبرياء والجهل وما بين الباطنية والحقد. فالعراق مكمّل لسوريا كما أنّ سوريا مكمّلة للعراق في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية والإنسانية وفوق كلّ هذا وحدة التراث، من أبي تمّام إلى المتنبي، ومن الوليد إلى الرشيد، ومن دمشق إلى بغداد، ومن الموصل إلى حلب، ومن أبي الفداء إلى ابن الجوزي، ومن الجزيرة العليا إلى الفرات...

من الجانب العقائدي، سقط البعث الذي كان يحكم البلدين أمام الفكر الطائفي، فالمتسّتر وراء حجاب البعث، حافظ الأسد، العلوي النصيري، كانت ولا زالت الفكرة التي كتبها سليمان أفندي الأضني، في كتاب الباكورة السليمانية، منذ عام 1862، وهي: *أنّ النصيرين لا يقبلون أحداً من الطوائف الغريبة إلاّ إذا كان من أهل العجم، لآنّ أهل العجم يؤمنون بألوهية علي بن أبي طالب*(1) لا زالت راسخة في معتقداتهم. وبعد أن اتخذ حافظ أسد موقفاً إلى جانب إيران الخميني أثناء تلك الحرب التي وقع فيها صدام حسين بتشجيع من الغرب، قطع البترول الذي يمرّ عن طريق سوريا. ومُنِع السوريون على جوازات سفرهم بالتنقّل بين سوريا والعراق، وكان يُكتب على جوازات السفر بالسماح بالتنقل إلى جميع دول العالم ما عدا إسرائيل والعراق. وانتهت الحرب العراقية الإيرانية بانتصار العراق شكلياً كما نعلم بعد أكثر من مليون قتيل من الطرفين، وكان اقتصاد العراق مهدّماً كما نعلم، وأقدم صدّام على الخطوة التالية باحتلال الكويت، ولا زالت حيّة في أذهاننا نتيجة الحرب التي خاضها تحالف الدول الغربية مع تمثيل رمزي لبعض الدول العربية التي أصبحت لا حول لها ولا قوّة، وتشارك في هذه القوات سوريا الأسد ليخلو له مقابل ذلك التصرّف في مصير لبنان من جديد بإذن من الولايات المتحدة، ويتحول عدو العراق في البارحة إلى ناصح بين ليلة وأخرى فيرسل حافظ الأسد رسالة إلى صدّام حسين، وهذه بعض فقراتها:

لقد عزمت أن أتوجّه إليكم بهذه الرسالة على رغم ما بيننا منذ سنوات عدة من خلافات في وجهات النظر وعلاقات غير ودّية... فأي أذى يصيب العراق هو في نهاية الأمر أذى يصيب بشكل من الأشكال سوريا والأمة العربية.

وعندما نرى أنّ العراق يواجه خطراً جدياً كما هي الحال الآن، فالخلافات بين قطرين شقيقين تضمحل وتزول، لأنّ ما يجمع بيننا أكبر وأهم كثيراً من أيّة خلافات ومكاسب آنية قد تترآى لنا، هذا إذا صح أن نقول أننا أمام أية مكاسب.

وإذا كنت أشدد على الخطر الجدّي الذي تواجهه الأمة عامة والعراق خاصة، وأدعو إلى تفويت الفرصة على الأعداء، فلست في صدد مناقشة وجه الحق ووجه الباطل في اجتياح العراق للكويت، فهذه مسألة أخرى ليس هذا مكان وأوان مناقشتها، وإنما المهم في الظرف الراهن هو ما نواجهه من وضعٍ خطرٍ وخطير يهدد العراق.

Kitab al-Bakura, in *Journal of the amercan oriental socity*, 1875, p.293.(1)

إنّ حرصنا على العراق بأرضه وشعبه وجيشه كحرصنا على أنفسنا، لأنّ العراق جزءٌ عزيز غال من أرض العرب وأمة العرب(1).

إنّ الحرص الذي ادعاه حافظ الأسد في هذه الرسالة ليس سوى الحرص الذي ادعاه صدّام حسين على أرضه وشعبه وجيشه... فقد وصلا بالعراق وسوريا إلى ما وصلا إليه، وهو خروج البلدين من السباق الحضاري وجعلوهما يعيشان في قلق على مدى عشرات السنين، وحتى هذه اللحظة من كتابة هذه السطور، يعيش أهل العراق كما يعيش أهل سوريا في قلق دائم، كان نتيجة إبعاد شعبيهما بالمشاركة في اتخاذ القرار السياسي بواسطة ممثلين عن الأمة. وهذا يعني بغياب القانون، وتعريف الدولة هو عدم خضوع الإنسان للإنسان، ولكن خضوع الإنسان للقانون، والقضاء فوق كل مواطن سواء كان رئيساً أو ابن رئيس أو مواطناً عادياً...

راح حافظ الأسد يتابع طريقه بالتمهيد لبناء سلالة لحكم الجمهورية العربية السورية، يتمثّل ذلك بتحضير ابنه باسل لرئاسة الدولة من بعده، الفارس الذهبي الرياضي والعالم والضابط الركن ومليارات الدولارات في حساباته وباسمه في البنوك الغربية، ولكن يد القدر طالته بالموت في حادث سيارة على طريق مطار دمشق، فتحوّل إلى شهيد بمفهوم حافظ الأسد وعبدانه، ويبدو أنّ الموت أقسى من كل شيء. لم يعد باستطاعة حافظ الأسد

الانتقام من الشعب السوري بعد هذه الحادثة، وكما يقول المثل العربي الجاهلي: *يداك أوكتا وفوك نفخ*... ولكن لا بدّ وأنّها كانت أكبر صدمة في حياته.

وجُلِب بشار الأسد من إنكلترا ليتمم رسالة أبيه بدلاً من رسالة الدكتوراة. لم يكن يفكر بإعداده لهذه المهمة سابقاً كما تشير جميع المعلومات، أخرجه من الجامعات البريطانية ليتخرّج من كليته العسكرية التي يُعد فيها الضباط لتثبيت سلطته وليس للدفاع عن الوطن، واستمرّ في تدجين الشعب السوري على محبّة القائد الخالد، أي على محبّته أو للعبودية

(1) محمد مصباح مهندس، *أحداث في حياة صدّام حسين*، ص. 139.

له، ونال ولي عهده درجات ورتب في جيشه من ضابط أركان لقائد لواء وما شابه...

وظلّ منزوياً يلعب بمصير البلد ويسيره بإعطاء أوامره بالهاتف، ولتنحصر الولاية بين أبنائه وأقرباء زوجته ما بين إذلال للشعب ونهب خيرات سوريا ولبنان، وما بين نهب واختلاس لثروة الدولة بشكل لا يعرفه تاريخ الشرق سوى مع متسلطين من أمثاله كصدام حسين في العراق ومعمر القذافي في ليبيا وزين العابدين بن علي في تونس وحسني مبارك في مصر وعبدالله الصالح في اليمن وجنرالات الجزائر... هذه هي جبهات الصمود والتصدي والممانعة ومحاربة الأمبريالية وضد الإرهابية وسبعة عشر جهاز أمني في البلد لحماية الحاكم المتسلّط من أبناء البلد... حتى أنّ الجماهير المُستعبدة راحت تهتف مرّة ببانياس في شهر آذار/مارس عام 1996: *حلّك يا الله حلّك = حافظ يقعد محلّك*... وتستمر سوريا في مسيرتها خارج مضمار التاريخ، وهي البلد من الناحية الجغرافية والاستراتيجية تشكّل نقطة الوصل بين قارات العالم القديم، آسيا وأوربا وأفريقيا، فصلها حافظ الأسد عن العالم، فكان الداخل إليها شبه مفقود والخارج منها يتنفّس الصعداء، وكان المواطنون السوريون الذين يعيشون في الخارج يحسبون ألف

حساب قبل العودة لزيارة أهاليهم وحين يخرجون لا يحملون سوى الذكريات الأليمة والمحزنة عن وطنهم، بدلاً من الانتعاش بانتمائهم إلى ذلك الوطن المُعذّب.

ولكن " ألا كلّ نفسٍ ذائقة الموت" ومات حافظ الأسد وأعلن عن موته بتاريخ 10/ حزيران/ يونيو 2000، ومجلس الشعب مجتمع لتغيير الدستور الذي فرضه حافظ الأسد منذ سنة 1973، حيث أنّ هذا الدستور لا يتوافق مع سِنّ وليّ عهده، بشار الأسد، وشاهدنا على شاشة التلفيزيون السوري مهزلة الاستعبداد، حيث كان يبكي جميع أعضاء مجلس الشعب بدموع التماسيح، ويأخذ عبد الحليم خدّام الكلام في الجلسة ليقول بكل بساطة: نرجو أن تنتظروا قليلاً حتى نغير الدستور، وتمّ ذلك خلال ربع ساعة، بتحويل سنّ رئيس الجمهورية من 40 سنة إلى 34 سنة، بشكل ينطبق مع سنّ بشار الأسد تماماً، وتمّت تلك المهزلة المؤلمة أمام أعين الناس بالصورة والكلام، بكلّ وقاحة وبدون خجل...

ربيع دمشق 2000-2001

في 2000/1/17 وقبل وفاة حافظ الأسد، رياض الترك، الأمين العام للحزب الشيوعي، وفي أول حوار سياسي له، بعد عام ونصف عام على إطلاق سراحة، يقول لصحيفة "الحياة البيروتية": *خرجت من السجن الصغير الى السجن الكبير، وعلينا جميعا أن نسعى إلى فتح أبوابه. أنا لن أتخلى عن حقي في ممارسة السياسة أيّا تكن الظروف. وأهلا بالسجن إذا كان ثمناً للتمسك بالرأي وحرية التصريح بالمعتقد". وفي الحوار نفسه :"لم يبق للمجتمع إلا الصمت ليعبّر من خلاله عن وجوده وعن رفضه للوضع القائم: إذاً الصمت هنا موقف، لكن هذا الصمت لا يمكنه أن يدوم إلى ما لا نهاية ولا بد للمجتمع بقواه الحية من أن يفرز تعبيرات جديدة تنتمي الى عالم البيانات والمواقف العلنية والفعل".*

في 2000/6/10 الإعلان عن وفاة حافظ الأسد، في وقت كان مجلس الشعب مجتمعا لتعديل الدستور وخفض سن الرئيس من 40 عاما إلى 34 عاما، في جلسة استمرت ربع ساعة، وكانت مهزلة أمام العيان في مجلس الشعب، تلك الجلسة ستبقى لطخة عار في تاريخ

سوريا تمسّ عهد حافظ الأسد وكيف دجّن شعب سوريا حتى وصل لمستوى العبودية التي لم يرَ التاريخ لها مثيلا.

في 2000/7/21 انعقد مؤتمر حزب البعث في العاصمة دمشق، وتمّ الإعلان عن قيادة قطرية جديدة منتخبة، وتم انتخاب بشـار الأسـد أمينا عاما لها، وتقديم ترشيحه لمنصب الرئاسة إلى مجلس الشـعب، الـذي صوّت بالإجماع على هذا الترشيح. ودعا المواطنين الى الاستفتاء.

رياض الترك هو الصوت الوحيد الذي يرتفع من داخل سوريا إحتجاجا على تعديل الدستور، بتاريخ 2000/6/28 ويصرح في حديث إلى مراسل صحيفة "لوموند" الفرنسية: "لن أذهب إلى التصويت لبشار الأسد، وأقول هذا علناً..".

إجراء الاستفتاء على منصب الرئاسة لانتخاب مرشح وحيد هو الدكتور بشار الأسد في شهر 2000/7 وإعلان فوزه بنسبة 97،3 في المئة من أصوات المقترعين، كما كانت النتائج تُفرض لأبيه.

بشار الأسد يلقي خطاب القسم أمام مجلس الشعب بتاريخ 2000/7/17، ويقول فيه: *"إن الفكر الديموقراطي يستند الى أساس قبول الرأي وهو طريق ذو اتجاهين"، مشيراً إلى أنه "لا يجوز تطبيق ديموقراطية الآخرين على أنفسنا" بل يجب "أن تكون لنا تجربتنا الديموقراطية الخاصة بنا المنبثقة من تاريخنا وثقافتنا وشخصيتنا الحضارية..".*

ومتى كانت هناك تجربة ديموقراطية في عهد أبيه!

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس إغناطيوس الرابع هزيم، يخاطب بشار الأسد في حفل الأربعين التأبيني لحافظ الأسد في 2000/7/20 بالعبارات الآتية: *"في ظننا أنك تريدأان يعرف المواطنون أنك تريد أن تكون الإنسان مع الناس، لا المتعالي والمترفع - أو كما يريد البعض- المتأله.*

رياض الترك ينشر في ملحق "النهار" بتاريخ 2000/7/15 مقالاً يقول فيه: " *من غير الممكن أن تظل سوريا مملكة الصمت"* أي قبل يومين من خطاب القسم. وقال فيه: *"إن مهمة كل سياسي ونقابي ومثقف، بما يملكه من رأسمال رمزي وثقل معنوي، هي إخراج شعبنا من*

بحر الأكاذيب إلى بر الحقيقة". وطالب الرئيس الجديد بالعدل وقال: *"أول العدل رد المظالم الى أهلها"*.

المثقف السوري أنطون المقدسي يوجه رسالة مفتوحة الى بشار الأسد بتاريخ 2000/8/13 على صفحات جريدة "الحياة"، يهنئه فيها بمنصبه الجديد ويطالبه بنقل البلاد من الرعية الى المواطنة.

منتصف أيلول/2000، النائب رياض سيف يطلق منتدى الحوار الديموقراطي في منزله بدمشق.

صدور "بيان الـ99" مثقفا سوريا بتاريخ 2000/9/27 يطالب برفع حال الطوارىء وإطلاق الحريات العامة والافراج عن المعتقلين السياسيين. والمثقفون اللبنانيون يصدرون بياناً للتضامن مع موقّعي بيان الـ99.

بيان المحامين السوريين بتاريخ 2001/1/1 يطالب بمراجعة دستورية شاملة وبإلغاء القوانين والمحاكم الإستثنائية وإطلاق الحريات العامة.

الوثيقة الأساسية للجان المجتمع المدني بتاريخ 2001/1/10 تتسرب الى الصحف، ويطلق عليها اسم "بيان الألف". ومن أبرز الموقعين عليها والداعين إليها ميشيل كيلو وعبد الرزاق عيد وصادق جلال العظم وعارف دليلة.

منتدى "جمال الأتاسي" يعلن عن نفسه كمنتدى مستقل عن الأحزاب بتاريخ 2001/1/16 ويعيّن المحامي حبيب عيسى ناطقا بإسمه. وظاهرة المنتديات تبدأ بالانتشار في كل المدن السورية .

بشار الأسد يصدر عفوا عن مئات المعتقلين السياسيين من جميع التيارات الاسلامية واليسارية بتاريخ 2001/1/17 .

وزير الإعلام عدنان عمران يصرح بتاريخ 2001/1/29 بأن *دعاة المجتمع المدني إستعمار جديد..*

لغة جديدة لم يعهدها قاموس السياسة سابقاً ولا حتى خلال حياة حافظ الأسد.

الإعتداء على الروائي السوري نبيل سليمان في مدينة اللاذقية بتاريخ 2001/1/30 والمثقفون السوريون يتضامنون معه ويطالبون السلطات بالكشف عن الفاعلين الذين لا يزالون طليقين حتى اليوم..

بشار الأسد يدلي بحديث إلى صحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ 2001/2/28 يهاجم فيه البيانات ويقول: "*أنا شخصياً لم أقرأ مثل هذه البيانات. سمعت عنها. شخص يخاطبك من خارج بلدك فمن الطبيعي أن لا تهتم به. النقطة الثانية سُميت بيانات مثقفين، هل هم مثقفون فعلاً أم ماذا*؟" وأبسط تعليق يمكن أن نكتبه هو: هل لا يزال يعيش على وجه الكرة الأرضية أم أنّه يعيش في كوكب آخر. .

نائب بشار الأسد ـ عبد الحليم خدام- يشن هجوما عنيفا على المثقفين بتاريخ 2001/2/18 ويقول: *لن نسمح بتحويل سوريا إلى جزائر أو يوغوسلافيا أخرى*، وأجهزة الأمن تجمّد نشاط المنتديات وتستثني منتدى جمال الأتاسي .

"الأخوان المسلمون" يصدرون في الخارج وثيقتهم بتاريخ 2001/3/3 ويطرحونها للنقاش على المعارضة والسلطة تحت إسم "*ميثاق الشرف الوطني*". وفيها تبنّي لمعظم أطروحات بيانات المثقفين ودعوة إلى العمل السلمي تحت سقف التعددية السياسية.

بشار الأسد يقول في مناورة للجيش بتاريخ 2001/3/17: "*في سوريا أسس لا يمكن المساس بها، قوامها مصالح الشعب وأهدافه الوطنية والقومية والوحدة الوطنية ونهج القائد الخالد الأسد والقوات المسلحة*. برأينا فإن بشار الأسد لم يفهم الوطنية ولا الوحدة الوطنية، ولكن الذي لا يزال يحكم سوريا من قبره هو أبوه الخالد بجرائمه وبواسطة قواته المسلحة.

صدور الوثيقة الثانية للجان إحياء المجتمع المدني في عنوان "توافقات وطنية عامة" بتاريخ 2001/4/12 .

بيان لـ 185 مثقفاً ومبعداً سوريا في الإغتراب بتاريخ 2001/3/31، يتضامن مع البيانات الصادرة داخل الوطن ويطالب بإطلاق الحريات العامة وبعودة المبعدين.

وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس يصرِّح في مقابلة لمجلة "المجلة" بتاريخ 2001/5/6 بالآتي: "*أننا أصحاب حق ولن نقبل بأن ينتزع أحد منا السلطة لأنها تنبع من فوهة بندقية ونحن أصحابها. لقد قمنا بحركات عسكرية متعددة ودفعنا دماءنا من أجل السلطة*.

صدق بكلامه ولكن هذا يتناقض بما قاله أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة = فلا بدّ أن يستجيب القدر.

أربعون ناشطاً سورياً يجتمعون في دمشق بتاريخ 2001/7/3 ويعلنون تأسيس جمعية حقوق الإنسان في سوريا وينتخبون المحامي هيثم المالح رئيسا لها..

رياض الترك يلقي محاضرته في "منتدى جمال الأتاسي بتاريخ 2001/8/5 بحضور حشد كثيف من الناس، ويدعو فيها إلى نقل سوريا من حال الإستبداد إلى الديمقراطية من طريق التوافق السلمي..

مأمون الحمصي يعلن إضرابه عن الطعام في مكتبه بتاريخ 2001/8/7 ويصدر بياناً يطالب فيه برفع حال الطوارىء وإطلاق الحريات العامة.

إلقاء القبض على مأمون الحمصي ونزع الحصانة البرلمانية عنه بإذن من رئيس مجلس الشعب عبد القادر قدورة بتاريخ 2001/8/9..

إعتقال رياض الترك في عيادة أحد الأطباء في طرطوس بتاريخ 2001/9/1. موجة احتجاج عارمة وبيانات لمثقفين سوريين ولبنانيين وجمعيات حقوق الانسان تدعو للإفراج عنه.

بتاريخ 2001/9/6 اعتقال النائب رياض سيف.

اعتقال الاقتصادي عارف دليلة والطبيب وليد البني وكمال اللبوني وحبيب صالح وحسن سعدو بتاريخ 2001/9/8. .

إعتقال حبيب عيسى، محامي رياض الترك والناطق باسم "منتدى جمال الأتاسي"، واعتقال فواز تللو بتاريخ 2001/9/12.

محكمة الجنايات في دمشق تصدر حكمها بالسجن خمس سنوات على النائب مأمون الحمصي بتاريخ 2002/3/20 .

محكمة الجنايات في دمشق تصدر حكمها بالسجن خمس سنوات على النائب رياض سيف بتاريخ 2002/4/3 الذي صرح بأنه ضحية احتكار الهاتف الخلوي، من الأملاك الخاصة لآل الأسد وآل المخلوف..

بتاريخ 2002/4/28 بداية محاكمة رياض الترك أمام محكمة أمن الدولة في دمشق.

نيسان 2002 إعتصامات وتظاهرات لدعم الانتفاضة في جميع المدن السورية، بعيداً عن سيطرة السلطة التي حاولت احتواءها .

الجلسة الثالثة لمحاكمة رياض الترك، وللمرة الاولى يتم الاعتصام بتاريخ 2002/5/27 في الشارع أمام المحكمة، وترفع لافتات لإطلاق سراح "مانديللا" سوريا، وقوى الأمن تفرّق المعتصمين.

بتاريخ 2002/6/24 تصدر محكمة أمن الدولة حكماً بالسجن على عارف دليلة وحبيب صالح لمدة عشر سنوات وعلى المحامي حبيب عيسى بالسجن خمس سنوات...

وهكذا تمّ وأد ربيع دمشق في المهد. وكتبنا في رثاء عمر أبي ريشة ننوّه لهذه الحادثة:

وطنٌ تعذّر أن يجنّ ربيعه = فاستوطن الكبثُ الثقيل مُجدّدا ...
ما بين خسيسٍ رضيع خسيسةٍ = وأخسّ منه زرافةٌ ليُخلّدا
تيمور مُضّجع وخلّف بعده = أمثال تيمورٍ وجلّق للعدى

عهد بشار الأسد

بضعة أسئلة تُطرح على كل مراقب لمسيرة سوريا من قريب أو بعيد، هل حافظ الأسد لا يزال يحكم سوريا من قبره؟ وهل كلمة مصطفى طلاس لمجلة المجلة، بتاريخ مقابلة 2001/5/6 بالآتي: *"أننا أصحاب حق ولن نقبل بأن ينتزع أحد منا السلطة لأنها تنبع من فوهة بندقية ونحن أصحابها. لقد قمنا بحركات عسكرية متعددة ودفعنا دماءنا من أجل السلطة"*.. تؤدي إلى ذات الجواب؟ وهل الإشاعات التي تقول أنّ زوجة حافظ الأسد، أنيسة المخلوف كانت تقول، أنّه كان علينا تسليم رئاسة الجمهورية لابنها ماهر الأسد بدلاً من بشار صحيحة؟

المهم أنّ أربعة أشخاص في سوريا لا يمكن زعزعتهم من مناصبهم وهم بشار وماهر الأسد، آصف شوكت صهرهم وزوج ابنتها بشرى الأسد، وابن أخيها رامي المخلوف. ولهذا تمّ انتحار غازي كنعان، واليهم في لبنان بالطريقة الأسدية، وحين دارت الدائرة على عبد الحليم خدّام بالانتحار الأسدي هرب إلى باريس، ناهيكم عن انتحار محمود الزعبي، رئيس الوزراء الأسبق، ثلاثة أسابيع قبل إعلان وفاة حافظ الأسد...

الانتحارات أو التصفيات الجسدية أخذت أشكالاً أخرى في لبنان. فسياسة حافظ الأسد كانت تأخذ شكل الهجوم على الأضعف منه، كخير وسيلة للدفاع. وسارت عائلته على ذات الطريقة في لبنان، ودفع ثمنها رئيس الوزراء اللبناني، رفيق الحريري، وجبران التويني من بعده...

المهم أنّ السياسة التي اتُبعت في لبنان سحبت من آل الأسد وسيلة الهجوم، وأصبحوا في حالة المدافع بعد اضطرار بشار الأسد بسحب الجيش السوري من لبنان.

وراح يعتمد على تثبيت ما تبقى له بواسطة حزب الله وقائده نصر الله، لكنّ نصرالله بدون الإعانة الإيرانية لا يساوي شيئاً، وفرضت إيران مقابل ذلك مما فرضته السماح بنشر المذهب الشيعي في سوريا، وهذا مما كان لم يقبله حافظ الأسد في حياته، فخسر ابنه بشار نقطتين هامتين، الأولى خروجه من لبنان، والثانية دخول التأثير الإيراني في مملكة أبيه. وأراد أن تستمر الأمور بهذا الشكل الأعرج أو الأعوج، ولكن فاجأته شبكة الفايسبوك، وابتدأت الثورة في سوريا.

الثورة الشعبية السلمية في سوريا

متى بدأت الثورة الشعبية السلمية في سوريا؟ هل بدأت منذ خلع زين العابدين بن علي عن رئاسة تونس؟ أمّ قبل ذلك حين أوقفت السلطة شيخ المحامين هيثم المالح؟ واشتدت بالاستمرار بسجن الشابة طلّ الملّوحي ولم تكن قد تجاوزت التاسعة عشر من عمرها باسم التجسس لدولة عُظمى، حيث أنّ الولايات المتحدة الأمريكية لم تجد في سوريا مَن يتجسس لمصلحتها سوى تلميذة في المرحلة الثانوية؟! المهم أيضاً أنه في ذات الفترة سقط حكم عائلة حسني مبارك في مصر الشقيقة كما حصل بسقوط عائلة زين العابدين بن علي في تونس

الشقيقة... وهكذا راحت شبكة الفايسبوك بين أصابع أبناء سوريا تطالب كتابة ثم عملاً بحق الحرية بل وبحق الحياة بكرامة ، وبشكل سلمي لا مثيل له، ولكن نابع من وعي شعبها لعلمهم أنّ السلطة التي تملك وحدها حقّ الإعلام كما تملك حق الإعدام، ستقف في وجه كل مطالب بحق الكرامة. فكانت ثورة سلمية بلا عنف وكأنها الثورة الهندية بلا عنف كما فعل الهنود ضد البريطانيين بقيادة غاندي، ولكنّ السوريين لم يكن لديهم غاندي لقيادتهم، ولأن أعدائهم من بني جلدتهم وليس من دولة أجنبية مُستعمرة.

بدأت شرارة هذه الثورة من مدينة درعا، وبدأ الاحتجاج من الأطفال، وكتبوا: الشعب يريد تغيير النظام... ألا يحق لهذا الشعب أن يُغيّر نظاماً استبداديا يتحكم بمصيرهم بالشكل الذي توقفنا عنده في هذه الصفحات المتواضعة ومنذ 48 عاماً؟ وكانت قد انطلقت مظاهرة أخرى في دمشق لم تكن تعني السلطة من قبل، ولكن ضدّ إهانة رجل لا ناقة له ولا بعير بالثورة، من قبل قوات الأمن. فقط لأنّ رجال الأمن اعتادوا إهانة كل مواطن في هذا الوطن بسبب أو بلا سبب، فقد تمرّسوا على ذلك منذ عام 1963. وفي الخامس عشر من آذار/ مارس 2011 خرج ما يقارب الثلاثين مواطنة ومواطن نحو وزارة الداخلية يُطالبون بإخراج أبنائهم وأزواجهم من السجون أو على الأقل محاكمتهم، فكان جواب السلطة زجّ أكثرهم في السجون، لا فرق بين مواطن ومواطنة. واستنفر أهل مدينة درعا سلمياً للمطالبة بالتحقيق مع مَن خلعوا أظافر أولادهم بالتعذيب، والمطالبة بإخراج المساجين ومحاكمتهم. وكانت الثورة في ليبيا ضدّ معمر القذّافي قد أخذت مجالاً واسعاً نحو التخلص من ملك ملوك أفريقيا ومهدي ليبيا الغير المُنتظر هو وأولاده.

وبدأت قوافل الشهداء من درعا، وراح أبناء ريف درعا يطالبون بما يشعرون بأنه آن الأوان أيضاً لاستعادة ما هو مُغتصبٌ منهم ويناصرون الأبرياء الذين فقدوا أعز ما لديهم بسلاح سلطة من يتحكّم بمصير بلدهم، وكان من المفروض أن يُستخدم هذا السلاح للدفاع عن الوطن والمواطنين. ثم تبع انتفاضة ريف درعا، الذي زُهقت فيه أرواح الأبرياء، انتفض ريف دمشق ثم حمص ثم بانياس ثم اللاذقية ثم تلكلخ ثم حماه وإدلب ودير الزور والحسكة ومعرة النعمان وريف حلب وطلاب جامعتها وجسر الشغور وريف حماة ومدينة الرستن التي بدأ فيها انشقاق الشرفاء من العسكريين السوريين ضباطاً وجنودا، لا لشيء سوى أنّهم

حفظوا في ذاكرتهم القسم الذي يفرضه شرف الجيش وهو الدفاع عن الوطن ومواطنيه. وتعالى نفاق بشار الأسد في خطابه الهزلي أمام أعضاء مجلسه، أو ما يُسمّى بمجلس الشعب، بمسرحية تدجين نفوس ذوي النفوس الضعيفة، والصور شاهدة على ذلك أكثر من الكلمات المسطرة في الصحافة والكتب، وفرض رجال سلطته على الموظفين والطلاب الخروج بمظاهرات تأييد: الله سوريا بشار وبس، وإلاّ... فرددت الجماهير وراء إبراهيم القاووش: يالله إرحل يا بشار... وكانت النتيجة أن قتله شبّيحة بشار الأسد. قاموا بأفظع ما يمكن أو ما لا يمكن أن يتصوّره عقل الإنسان، كان ذاك بذبخه ونزع بلعومه من عنقه، كما فعل رجال أبيه بالصحفي اللبناني، سليم اللوزي، بسلخ جلدة يده قبل عشرات السنين... أكثر من ثلاثة آلاف شهيد بريء من بينهم 178 طفلاً حتى 15 تشرين أوّل/أكتوبر 2011، والمدافع تقصف للقضاء على الأبرياء وتتفنن بقذف مآذن المساجد بدون حياء. ويلتفّ على طاولته علماء السلاطين من سعيد البوطي إلى مفتي الجمهورية، بدر الدين حسّون، وبطريرك الروم الأرثوزكس لأنطاكيا وسائر المشرق، عميل روسيا، وهم يدّعون أنّها من أعمال المندسين الذين وصل عددهم في إحدى مظاهرات حماه إلى أكثر من 500 ألف متظاهر مندس، يطالبون بإسقاط النظام.

وسنحاول في الصفحات التالية سرد بعض القرارات التي صدرت عن بشار الأسد للقضاء على هذه الثورة.

(الخميس 2011/3/24 م.) بشار الأسد يأمر بالإفراج عن معتقلي الاحتجاجات: أصدر أمرا يقضي بإخلاء سبيل جميع الموقوفين على خلفية الأحداث التي جرت في درعا مؤخراً.

(السبت 2011/3/26 م) : أفرجت السلطات السورية عن 260 من المعتقلين السياسيين ومعظمهم من الإسلاميين.

(الثلاثاء 2011/3/29 م) استقالة الحكومة: قبل بشار الأسد الاستقالة التي تقدمت بها حكومة رئيس الوزراء ناجي عطري وكلفها بتسيير الأعمال إلى حين تشكيل حكومة جديدة.

(الخميس 2011/3/31 م) إنشاء ثلاث لجان: قرر بشار الأسد تشكيل 3 لجان، الأولى لإعداد قانون لمكافحة الإرهاب يحل محل قانون الطوارئ، واعتبر جميع المعارضين له إرهابيين ومندسّين من أبناء الشعب، والثانية للتحقيق في مقتل المحتجين الذين لم يُحقق في سبب قتلهم حتى كتابة هذه السطور، والثالثة لحل مشكلة الجنسية للأكراد. ولكنها لم تحلّ ولم تربط.

(الأحد 2011/4/3 م) : أصدر بشار الأسد مرسوما كلف بموجبه وزير الزراعة في الحكومة المقالة عادل سفر بتشكيل حكومة سوريّة جديدة.

(الأربعاء 2011/4/6 م) إعادة المنقبات للمدارس: رفعت سوريا الحظر عن المدرسات اللاتي يرتدين النقاب حيث أصدر وزير التربية في حكومة تسيير الأعمال قرارا بعودة 190 معلمة منقبة إلى عملهن. وكأنّ هذا القرار سيحل مشاكل البلاد السياسية والاقتصادية والروحية...

(الأربعاء 2011/4/6 م) إغلاق الكازينو: أمرت السلطات السورية بإغلاق نادي القمار الوحيد في البلاد، من أملاك ابن خاله، رامي المخلوف، لحين تسوية أوضاع أعمال الصالة بما ينسجم مع الأنظمة والقوانين النافذة، وبهذا القرار تمت استعادة هضبة الجولان المحتلة!

(الأربعاء 2011/4/6 م) إطلاق سراح أكراد معتقلين منذ سنة: قررت السلطات السورية إخلاء سبيل 48 من الأكراد السوريين بعد توقيفهم على خلفية أحداث عيد النيروز في مارس/آذار 2010 م. لماذا لم يُطلق سراحهم من قبل اندلاع الثورة، فهل هدفه سوى التفريق بين اتجاهات المعارضة للقضاء عليها، لكن الأكراد لم يقتنعوا بهذا النفاق.

(الخميس 2011/4/7 م) منح الجنسية للأكراد والإفراج عن معتقلين: أصدر الرئيس مرسوما يقضي بتجنيس الأكراد في شمال شرقي سوريا ممن كانوا مسجلين كأجانب كما أفرج عن 24 كرديا في الرقة.

(الخميس 2011/4/7 م) إقالة محافظ حمص: أصدر بشار الأسد مرسوما قضى بإعفاء محمد إياد غزال من مهمته محافظاً لـحمص، في خطوة لتلبية أحد مطالب المحتجين في المحافظة كما ادعى.

(الخميس 2011/4/14 م) قرر بشار الأسد إطلاق سراح بعض من اعتقلوا على خلفية المظاهرات. واستثنى من ارتكبوا أعمالا إجرامية بحق الوطن والمواطن. وفي الأغلب اعتدنا من بشار الأسد على إطلاق سراح المجرمين والمدانين بالحق العام والإبقاء على المساجين الذين يطالبون بحرية الرأي والتعبير...

(الخميس 2011/4/14 م) حكومة جديدة: أصدر بشار الأسد مرسوماً بتشكيل ألعوبة جديدة أو ما يُسمّى بحكومة جديدة برئاسة عادل سفر، علماً أن صلاحيات الحكومة محدودة في سوريا حيث تتركز السلطة في أيدي أسرة الأسد وهم ماهر الأسد وآصف شوكت ورامي المخلوف، وكذلك أجهزة الأمن، من المخابرات والشبيحة والجيش...

(الأربعاء 2011/4/20 م): أقالت السلطات السورية رئيس قسم الأمن السياسي في بانياس، بعد فضيحة ما ارتكبته قوات الأمن في قرية البيضا يوم الثلاثاء 2011/4/12 م. ولكنّه لم يُحاكَم على جرائمه.

(الخميس 2011/4/21 م) أصدر بشار الأسد مرسوما يقضي بإنهاء حالة الطوارئ، ومرسوما يقضي بإلغاء محكمة أمن الدولة العليا، ومرسوما يقضي بتنظيم حق التظاهر السلمي للمواطنين. وضمنياً بقتل العدد الأكبر من المحتجين الأبرياء دون العودة إلى محكمة أمن الدولة أو أيّة محكمة أخرى...

(الخميس 2011/4/21 م): أصدر بشار الأسد مرسوما بتعيين غسان مصطفى عبد العال محافظاً لحمص، بعد إقالة المحافظ محمد إياد غزال قبل أسبوعين. وبالنتيجة ازدادت الاحتجاجات في حمص كما ازداد عدد الضحايا لتصبح مدينة حمص على منصّة الشرف بين المدن السورية من حيث عدد الشهداء.

(الأربعاء 2011/5/11 م) أعلنت الحكومة السورية عن تشكيل لجنة لإعداد قانون جديد للانتخابات العامة على أن يتم إنجاز هذا القانون خلال أسبوعين. ومن شأن هذا أن يمهد السبيل أمام انتخاب مجلس الشعب المقبل (البرلمان) على أساس هذا القانون. قانون يشابه قوانين أبيه الخالد في تدمير شعب سوريا.

(السبت 2011/7/2 م) إقالة محافظ حماة: أعلن بشار الأسد عن إقالة محافظ حماة أحمد عبد العزيز من منصبه وقال المحافظ الجديد أن إقالة المحافظ القديم لا علاقة لها بالتظاهرات، لكن الواقع كان يشير إلى عكس ذلك. يذكر أن حماة شهدت مظاهرة ضخمة يوم الجمعة في 2011/7/1 قدرت بحوالي نصف مليون شخص. ثمّ أدخل الدبّابات لتدمير ما تستطيع تدميره من المدينة الشهيدة.

(السبت 2011/10/15م) يشكّل بشار الأسد لجنة للتمهيد لوضع دستور جديد للبلاد خلال أربعة أشهر، مستلهَمٍ من الدستور الحالي، وخلال ربع ساعة كان قد غيّر من الدستور المادة التي تفرض أن يكون سنّ رئيس الجمهورية 40 عاماً إلى 34 في شهر حزيران/ يونيو عام 2000. ويستمر بالسخرية من شعبه بكل وقاحة...

وتتوالى الأحداث، سلطة عائلة الأسد ضدّ شعب سوريا.

وتدخّلت الدول الكبرى عن طريق هيئة الأمم، والتي وصفها مرّة الجنرال ديغول بقوله: هذا الشيء الكبير الذي لا ينفع لشيء... وتدخّلت جامعة الدول العربية التي لا حول لها ولا قوّة، والتي أُريد لها منذ نشأتها أن لا يكون لها أي تأثير على السياسة الداخلية في أي قطر عربي ولو أنّ تلك الحكومات تزهق أرواح الأبرياء من شعوبها بالآلاف، ولا بدّ من أن نذكّر القارئ بأنّ ميزانية جامعة الدول العربية سنوياً هي 75 مليون دولار، وهذا المبلغ قد لا يُعادل ميزانية نادي رياضي لمحترفي كرة القدم، في العديد من الأندية الرياضية في مختلف البلاد العربية...
وشكّل السوريون المجلس الوطني بالتعاون بين أكثر الاتجاهات السياسية والمفكرين السوريين، مستقلّون وناصريون وإخوان مسلمون وشيوعيون... وترأس هذا المجلس،

الأستاذ برهان غليون، عالم الاجتماع ومدير مجلس دراسات الشرق الأوسط في جامعة باريس... ولا يزال بعض الوصوليين يزايدون على المشاركة أو عدم المشاركة في هذا المجلس الوطني، والذي يُشارك فيه المناضلون في المنفى أو المواطنون الذين أمضوا أعواماً طويلة في سجون آل الأسد منذ سنوات الثمانينات... ولكن كما يقول المثل العالمي: القافلة تسير والكلاب تنبح...

وكنّا ننظر إلى الجيش وننتظر منه وقفة صحيحة كما حصل في تونس ومصر، ولكن حافظ الأسد، ومن قبله صلاح جديد، ومن بعده بشار الأسد، كانت حساباتهم مختلفة، وذلك بجعل قيادة الجيش الفعالة طائفية... وبدأ تمرّده على الأوامر وانشقاق بعض الشرفاء منه، وننتظر الأكثر والأكثر، ويرجو شعب سوريا وقيادة المعارضة عدم تدخل عسكري كما حصل في ليبيا، ولكنهم يطالبون مجلس الأمن بإيجاد حلّ لحماية المواطنين العزّل، إلاّ أنّ روسيا والصين تقفان في وجه كل مشروع يؤذي زبائنها القائمين على السلطة في سوريا، ويستمر الشعب السوري بالتضحيات مستلهماً ثورته من نشيده الوطني:

حُماة الديار، عليكم سلام = أبَتْ أن تُذلّ النفوس الكرام

عرين العروبة بيتٌ حرام = وعرش الشموس حمىً لا يُضام

ربوع الشآم بروج العلى = تحاكي السماء بعالِ الثناء

فأرضٌ زهتْ بالشموس الوضاء = سماءٌ لعمركَ أو كالسماء

رفيف الأماني وخَفق الفؤاد = على علمٍ ضمّ شمل البلاد

أما فيه من كلّ عين سواد = ومن دمِ كلّ شهيدٍ بِداد؟

نفوسٌ أُباةٌ وماضٍ مجيد = وروح الأضاحي رقيبٌ عتيد

فمنّا الوليد ومنّا الرشيد = فلمَ لا نسود ولمَ لا نُشيد

المراجع باللغة العربية:

المخطوطات:

- كتاب تعليم الديانة النصيرية، *مخطوط رقم 6182* من المكتبة الوطنية بباريس.

- الخلائقي، مجموعة كتب عن الديانة الدرزية، المخطوط رقم 4338 من المكتبة الوطنية في ستراسبورغ.

- عبدالله الحسيني، *الجذور التاريخية للعلوية النصيرية*، القاهرة 1980.

- عبد الحسين المهدي العسكري، *العلويون أو النصيرية*، 1980.

- أحمد الشقيري، *على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب*، بيروت 1972.

من القمة إلى الهزيمة، بيروت 1971.

- أحمد الفوزان، أضواء على الديانة الدرزية، 1979.

- محمّد الغزالي، *فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة*، القاهرة، 1961.

- محمد كرد علي، *خطط الشام*، دمشق 1927.

- مصطفى خليل بريز، *سقوط الجولان*، عمّان 1969.
- تقيّ الدين بن تيميّة، *فتوى في النصيرية*.
- منير الشريف، *المسلمون العلويون، من هم وأين هم*؟ دمشق 1961.
- أبو الهيثم، *الإسلام في مواجهة الباطنية*، القاهرة، 1991.
- أسعد علي أحمد، *معرفة الله والمكزون السنجاري*، بيروت 1981.
- باتريك سيل، *الأسد، الصراع على الشرق الأوسط*، ترجمة باللغة العربية، المؤسسة العامة للنشر والتوزيع.
- محمد بن الحسن الطوسي، *أخبار معرفة الرجال*، مشهد 1348 هـ.
- محمد عمران، *تجربتي في الثورة*، بيروت، 1970.
- أحمد بن علي النجاشي، *رجال النجاشي*، بيروت 1988.
- جعفر الكنج الدندشي، *مدخل إلى المذهب العلوي النصيري*، الدار البيضاء، 2008.
  مبدأ الثنوية في المذهب العلوي النصيري، الدار البيضاء، 2008.
- جمال عبد الناصر، *فلسفة الثور – الميثاق الوطني*، القاهرة.
- سامي الجندي، *البعث*، بيروت 1969.
  عربٌ ويهود، بيروت، 1968.
- سيد قطب، *معالم على الطريق*، دار الشروق.
- سليمان أفندي الأضني، *كتاب الباكورة السليمانية*، بيروت 1860.
- زكي الأرسوزي، *المؤلّفات الكاملة*، دمشق، 1982.
- عبد الكريم زهر الدين، *مذكراتي عن تجربة الانفصال في سورية*، بيروت 1968.
- محمد حسنين هيكل، *بصراحة مع فؤاد مطر*، بيروت 1972.
  الطريق إلى رمضان، القاهرة، 1975.
- مصطفى طلاس، *مرآة حياتي*، دمشق، 1997.
- منيف الرزاز، *التجربة المرة*، بيروت 1967.
- ميشيل عفلق، *معركة المصير الواحد*، بيروت 1958.

في سبيل البعث.بيروت، 1963.

البعث والتراث.بغداد 1972.

- أبو موسى الحريري، *العلويون النصيريون*، بيروت 1980.

- هاشم عثمان، *العلويون بين الأسطورة والحقيقة*، بيروت 1985.

- عبد الكريم الشهرستاني، *الفرق بين الملل والنحل*، بيروت 1371 هـ

- عبد القاهر البغدادي، *الفرق بين الفرق*، بيروت 1980.

الصحافة: البعث، النذير، الرائد، النهار، الحوادث، الأسبوع العربي، الطليعة...

محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية، باللغتين العربية والفرنسية، حزيران/يونيو 1936.

مراجع باللغات الأوربية:

Bibliographie en langues européennes.

- AL KANGE Jaafar, *Isma'iliens, Nusayrites et Druzes en Syrie*, *Structure socio-religieuse et histoire de 1920 à 1982*, th. Strasbourg, 1983.

- BARRES Maurice, *Un enquête au Pays du Levant*, Paris 1933.

- BOURON Narcisse, *Les Druzes, Histoire du Liban et de la montagne horanaise*, Paris, 1930.

- CORM George, *La balkanisation du Proche-Orient entre le mythe et la réalité, in, Le Monde diplomatique*, janvier, 1983.
- Id. *Le Proche-Orient éclaté*, Paris, 1983.
- DAM Nikola Van, *The strugle for power in Syria*, London, 1979.
- DUSSAUD, René, *Histoire et religion des Nosairis*, Paris 1900.
- FLORY, M. – MONTAN, R. *Les régimes politiques arabes*, art. *Syrie*, Paris, 1968.
- GALYUN, Burhan, *L'enigme syrienne, in Politique étrangère*, Paris, 1979.
- GUYS, Henry, *Triologie des Druzes, ou Mokhtasar al-bayan fi magra az-zaman*, Paris, 1847.
- Id. *Voyage en Syrie*, Paris, 1955.
- HASSAN, Ibrahim, *La Syrie de la guerre civile, in peuples Méditerraniens*, n° 12, juillet-septembre, Paris, 1980.
- *Haut-commissariat de la République Française, en Syrie et au Liban*, 14 mai 1930.
- *Histoire des troupes du Levant*, Paris, 1931.
- Encyclopédie de l'Islam, *arts. Gulat, Ismamiliyya, Druze, Nusayriyya.*
- JALABERT, Louis, *Syrie et Liban, Réussite française* ? Paris 1934.
- JAQUOT, Paul, *L'Etat des Alaouites*, Beyrouth, 1929.
- JOUNBLAT, Kamal, *Pour le Liban*, France, 1978.

- KUTSCERA, Chris, *L'oposition démocratique et la difficille intégrationdu mouvement islamique, in Le Monde Diplomatique*, mars 1983.
- MALER, Paul, *La société syrienne contre son Etat*, in, *Le Monde diplomatique*, avril 1980.
- MOUSA, Munir Mushabik, *Etudes sociologiques des 'Alawites, Nusairis*. Th. Paris 1958.
- PALAZZOLI, Claude, *La Syrie, le rêve et la rupture*, Paris, 1977.
- PICARD, Elisabeth, *Clans militaires et pouvoir ba'thist en Syrie*. in *Orient*, juillet-septembre 1979, Hambourg.
- Id. *Y-y-il un problème communaitaire en Syrie* ? in Maghrib-Machric, n° 90. octobre, 1980.
- PAUX, Gabriel, Deux ans au Levant, 1939-1940, Paris 1952.
- RAYMOND, André et alii, *La Syrie d'aujourd'hui*. Paris 1980.
- RONDOT, Philipp, *La Syrie*, coll. Que sais-je, Paris 1976.
- SAAB, Edouard, *La Syrie ou la révolution dans le rancœur*, Paris, 1968.
- SACY, Silvestre de, *Exposé de la religion des Druzes*, Paris 1836.
- THARAUD, J.et J. *Alerte en Syrie*, Paris, 1937.
- VERNIER, Pernard, *Le rôle politique de l'armée en Syrie*, in *Politique étrangère*, 1964.
- Id. *Armée et politique au Moyen-Orient*. Paris, 1966.
- WEULERSSE, Jacque, *Le pays des Alaouites*, th. Paris 1940.

- Id. *Paysan de Syrie et du Proche-Orient*, Paris 1946.

Presses : Libération, Le Monde, L'expresse, La Nouvelle observatoire…

الفهرس

سلخ لواء الاسكندرون.

- الباب الثاني:

نشأة الديانة العلوية النصيريّة.

الجذور التاريخية القديمة للمذهب العلوي النصيري.

رأي العلويين النصيريين في الديانات السماوية وأتباعها

كتاب تعليم الديانة النصيرية.

- الباب الثالث:

الدروز تحت الانتداب الفرنسي.

أحداث الثورة السورية الكبرى 1925.

دراسة مُختصرة عن تاريخ العقيدة الدرزية.

(مخطوط) خبر اليهود والنصارى.

أشخاص العقيدة الدرزية .

- الباب الرابع:

تاريخ سوريا منذ الاستقلال 1946 إلى عام 1963.

حسني الزعيم وسامي الحنّاوي.

أديب الشيشكلي.

من الجمهورية السورية إلى الجمهورية العربية المتحدة.

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في 5 شباط/فبراير 1958 بمجلس الأمة.

بيان الرئيس شكري القوتلي في 21 تشرين أول/ أكتوبر 1961 بعد الانفصال.

- الباب الخامس:

أبناء المذاهب الباطنية(الغُلاة) في السلطة. 8 آذار/مارس 1963.

الدولة العلوية النصيرية تدخل التاريخ.

- حركة 23 شباط 1966، ونهاية حزب البعث، القيادة القومية.

نهاية دور الضباط الدروز والإسماعيليين.
